

الجزء ٢٢ و٢٣ و٢٤ السنة الثانية

الاسكندرية في (افريل) سنة ١٩٠١ — محرم سنة ١٣١٩

عجيبة الموسيقى في هذا الزمان



(بيبينو رودريكيز اربولا)

صبي صغير اشهر الموسيقيين اليوم

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

نابغة في فنّ الموسيقى

(بيبيتو رودريكيز اريولا)

سبقه موزارت · تاريخه وكيف ظهرت مواهبه · صفاته واخلاقه · قوته في الموسيقى ·
بيبيتو والسلام الحميدي · عرضه في معرض باريز وراي البوذيين فيه ·
اشراق شمسه حين افلت شمس فردي · نتيجة ادبية

ان الامر الذي نقصه على القارئ في هذا الفصل امر مفرد لا شبيه له في تاريخ فن الموسيقى منذ انشاء العالم · فانه لم يُسمع حتى الآن ان ولدًا في العام الثاني من عمره يوقع على آلات الموسيقى انغامًا قديمة ويبتكر انغامًا جديدة من غير ان يتعلم فن الموسيقى · نعم ان (موزارت) استاذ الموسيقيين بدأ بالتوقيع وهو في العام الرابع ونصف من عمره وغيره من مشاهير الموسيقيين بدأوا يوقعون الانغام في الخامسة والسادسة ولكنهم كلهم كانوا قد تعلموا التوقيع او حضروا تعليم اخوتهم · اما الولد الذي نحن الآن في صدده فانه لم يتعلم قط على يد استاذ فضلاً عن انه بدأ يوقع الالحان وعمره عامان ونصف · ولذلك تنبأ العارفون بانه اذا استمرَّ نمو هذا الولد بحسب الطبيعة والفطرة فانه لا يبلغ سن الرجال حتى يصبح اكبر موسيقيٍّ في العالم

***

❊ ترجمته وكيف ظهرت مواهبه ❊ واسم هذا الصبي (بيبيتو رودريكز اريولا) وقد ولد في ١٤ دسمبر من عام ١٨٩٦ في بلدة (كورونا) في اسبانيا وهو وحيد لامه · وقد توفي ابوه في عام ولادته وكان رجلاً مشهورًا بقوة الذاكرة ولكنه لم يكن ذا ميل للموسيقى · اما امه فانها كانت تضرب على البيانو وهي في سن الخامسة · وجدته لامه كانت مشهورة بالبراعة في التوقيع على القيثار · هذه حالته من حيث الوراثة

واما الطريقة التي ظهرت بها مواهب هذا الصبي العجيب فقد ذكرتها امه حين عرضته على علماء البسيكولوجيا في معرض باريز في العام الماضي واليك كلامها بنصه · قالت

« اتاني في ذات يوم من احد اصحابي الموسيقيين رقعة موسيقية جديدة (نوطة) فجعلت اوقعها على البيانو واكرر توقيعها · ومن المحتمل ان يكون الصبي قد انتبه الى اللحن ابان توقيعه واصغى اليه اما انا فلم ادرِ بانتباهه واصغائه · وكان له يومئذٍ من العمر عامان ونصف

« ففي صباح احد الايام كنت في غرفة مجاورة للقاعة التي فيها البيانو فسمعت في هذه الغرفة يدًا توقع اللحن المذكور وكان التوقيع في غاية المهارة فهرعت لارى الشخص الذي دخل بيتي واخذ يوقع على البيانو من غير استئذاني · فلما اطللت من باب القاعة وجدت ابني في القاعة وحده وهو جالس على مقعد البيانو ويداه عليه (كما ترى في الرسم) فلما رآني صار يضحك ضحكًا شديدًا ثم قال « كوكو · ماما » اما انا فاعتقدت لاول وهلة بحدوث عجيبة سماوية حقيقية »

ومنذ هذا الوقت صار الولد يصغي الى الالحان التي توقعها امه و يوقعها بعدها بنفسه · والامر الغريب انه لم يكن يكتفي باعادة توقيع ما يسمعه بل كان يبتكر من عنده انغامًا جديدة في غاية الصحة كأن نفسه مع صغرها ينبوع موسيقي يستخرج منه ما شاء استخراجه منها. وقد اشتهر امر هذا الولد في وطنه فقصده في ٤ دسمبر من عام ١٨٩٩ فريق كبير من الموسيقيين ورجال النقد فوقع الصبي امامهم على البيانو توقيعًا اعجبوا به ودهشوا له بالنظر الى سن صاحبه · وكان عمره اذ ذاك ثلاث سنوات فقط · وفي ٢٦ منه طلبت ملكة اسبانيا والملك ابنها ان يجيء بيبيتو الى القصر ليسمعوه فجاءت به امه الى مدريد فوقع امام الملك والملكة والبلاط توقيعًا مدهشًا · فعانقته الملكة وقبلته مرارًا و بالغت في توصية امه به · وكان عمره يومئذ ٣ سنوات و١٢ يومًا

***

☆ صفاته واخلاقه ☆ اما اخلاق حبيبنا بيبيتو فهي في غاية اللين والسهولة · فانه كما تراه في الرسم صبي لطيف جميل في غاية النباهة كثير الضحك والبشاشة · وهو ذو عينين سوداوين نافذتين تقدحان شرر الذكاء وتدلان على ما وراءهما من كنوز المواهب السامية · وكل حركاته سريعة خفيفة وهو يتأنق فيها تأنقًا ظريفًا

ومن صفاته انه شديد الميل للمزاح والمحادثة والعاب الاولاد · وهو مطيع لامه قلما يعصي لها امرًا ولعلَّ ذلك لانها لا تصنع شيئًا يكرهه · وانما يعصيها في حالتين الاولى اذا كان يوقع على البيانو وطلبت امه ان يترك التوقيع وكان لا يروم تركه والثانية اذا كان لا

يروم التوقيع وطلبت امه ان يجلس الى البيانو اكراماً لبعض الزائرين او السائلين . ففي هذه الحالتين تتخذ الام معه كل الحيل وكل وسائل الاقناع لتحمله على ما تريد . وذلك يصح ان يكون برهاناً على انه لم يتعلم ما يعمله بطريقة التدريس المنتظمة

اما بنيته فانها قوية لم يصب بها قط وثقله متوسط ولا اثر لتشويه او ضعف في كل بدنه . واما ذاكرته فانها حسنة ولكنها ليست خارقة للعادة

ولم يتعلم بيبيتو القراءة بعد وليس له ميل للرسم ولكنه يلذ له كتابة الانغام الموسيقية التي يوقعها . وله فيها طريقة مضحكة لا يفهمها احد غيره وذلك في منتهى الغرابة . فانه يتناول ورقة وقلماً ثم يرسم بالقلم في صدر الورقة بعض خطوط يقول انها اسم اللحن الجديد الذي اخذ يبتكره . ثم يرسم تحت هذا الاسم خطوطاً اخرى كثيرة ويقول انها اجزاء اللحن المذكور . وحين الفراغ من الرسم يجيل فيه نظره اللطيف مسروراً بعمله ثم يضعه امامه على البيانو ويقول « اسمعوا لاوقعه لكم » يقول هذا ثم يمد انامله الصغيرة الى البيانو فيوقع عليه لحناً مبتكراً جديداً يدهش السامعين . على انه اذا انطفأ المصباح وهو يوقع وغاب عنه الرسم الذي رسمه فانه يستمر في ايقاعه . وذلك مما يدل على انه يعتمد في الايقاع على الصور التي في نفسه لا على الخطوط التي رسمها على الورقة امامه

***

﴿ قوته في مسائل الموسيقى الثلاث ﴾ ومعلوم ان امهات المسائل في الموسيقى ثلاث : الايقاع او التوقيع . والحفظ . والابتكار . فالايقاع انما هو تلحين الالحان الموجودة بحسب العلامات الموضوعة لها (النوطات) . والحفظ بقاء صور الالحان حاضرة في الذهن حين الايقاع والا وقفت الانامل او شردت فانتقلت الى لحن آخر . والابتكار بمثابة التصنيف والتاليف في الكتابة وهما عبارة عن ايجاد مادة جديدة

الايقاع — اما قوته في الايقاع فانها محصورة في بيانو امه . اي انه لا يستطيع التوقيع على آلة اخرى غيره . واذا وقع على آلة اخرى غلط غلطات كثيرة وذلك لانه ألف تلك الآلة . وهو يوقع على آلته انغاماً في غاية الصعوبة كنشيد « هابانيره » الغاليسي وقد اتقن « السلام الحميدي » الذي وضعه موزارت الشهير اشد اتقان وبرع في بعض اجزائه براعة عجيبة . ومتى وقعه وقع بيديه معاً واحياناً تتقاطع يداه على مقاطع البيانو فيكون لها منظر جميل جداً . ولكن الاجمل منهما منظره حينما يرفع انامله عن البيانو بخفة غريبة في ابان التوقيع ثم يعيدها اليه بهيئة جديدة من غير خلل في التوقيع كما يصنع كبار الموسيقيين .

ولكن من اين تعلم هذه الحركة وكيف اهتدى اليها فان امه لم تصنعها قط ولا تقدر عليها. وربما شرد عن اللحن في ابان توقيعه فيتوقف هنيهة يجس بها المقاطع ثم يستأنف الايقاع الصحيح كما كان

غير ان ايقاعه لا يزال ناقصاً بالنسبة الى حقيقة الفن وان كان كثيراً عليه بالنسبة الى صغر سنه • وقد سمعه الموسيقيون وسمعوا امه لانها موسيقية كما تقدم فظهر انها ابرع منه فيما يختص بدقة الايقاع وضبط اللحن ضبطاً محكماً ولكنه ظهر منه ان ايقاعه اشجى واوقع في النفس • فانه اذا وقع لحناً محزناً او مفرحاً او عسكرياً او حماسياً وضع في توقيعه نكهة غريبة ولهجة عجيبة لا توجدان في توقيع امه • وكل من نظر اندفاعه وتحمسه ابان التوقيع علم ان يديه الصغيرتين اضعف من ان تطاوعاه على اخراج كل ما في نفسه من الصور الموسيقية العظيمة

الحفظ — اما ذاكرته في الموسيقى فهي قوية مع صغر سنه • فان هذا الصبي الذي لا يتجاوز السنة الثالثة ونصفاً من عمره يحفظ ٢٠ لحناً في ذهنه • وقد حفظها بالسمع فقط من غير تدريب معلم • وطريقة ذلك ان تجلس امه الى البيانو وتوقع امامه لحناً يجهله اربع او خمس مرات ثم تنهض عن البيانو فيجلس الصغير حينئذ مكانها ويوقع ذلك اللحن مثلها او احسن منها • فتامل

ومتى وقع الصغير اللحن مرة رسخ في ذهنه فلم ينسه طول عمره • وهو لا يطيق ان تُصلح امه توقيعه ولا ان تعلمه شيئاً على الطريقة التي تعلمها بل يجب ان يبقى حرًّا في التوقيع كما يشاء • ولا ريب ان الحق في جانبه فان امه تريد تعليمه بحسب الطرق الصناعية التي تعلمتها اما هو فانه يعتمد في فنه على الطبيعة امه الثانية • بل امه الاولى

الابتكار — اما قوته في الابتكار فقد أشرنا اليها فيما تقدم • فانه اذا جلس الى البيانو واخذ يوقع الالحان عليه تعذر التمييز بين القسم المبتكر الذي هو ابن ساعته في هذه الالحان وبين القسم غير المبتكر منها • ومتى شرع في الابتكار لا يغلق عليه ابداً بل يجد دائماً لحناً جديداً • والالحان التي يبتكرها ذات ثلاثة اقسام: التمهيد والوسط والخاتمة كأنه درس طريقة الابتكار على ابرع المعلمين • ويتخلل هذه الاقسام الثلاثة صور شجية واصوات مطربة يشعر السامعون انها جديدة على آذانهم • غير انه لا يُستفاد من هذا القول ان الالحان التي يبتكرها بيبيتو كاملة لا نقص فيها ولكننا ننظر الآن الى ما يحسنه لا الى ما لا يحسنه لاننا نتكلم عن صبي صغير لم يتقن النطق بعد • ومع ذلك فاننا رغبة في

الدلالة على حقيقة قوة بيبيتو في فنه نقول : لو اخذنا ١٨٠٠ فتى عمر كل واحد منهم ١٨ سنة وجعلناهم يصرفون ستة اشهر في تعلم التوقيع على البيانو دون ان يشتغلوا بامر غير هذا الامر لما قدر واحد منهم بعد الاشهر الستة على بلوغ شأو بيبيتو في الايقاع والابتكار مع ان عمره لا يتجاوز الثلاث سنوات ونصفاً

***

✻ بيبيتو في معرض باريز ورأي البوذيين فيه ✻ وكان عمر بيبيتو ٣ سنوات و٧ اشهر و٧ ايام لما عرضته امه في معرض باريز . وقد عرضته على علماء البسيكولوجيا (علم النفس والاخلاق) في المؤتمر الذي عقده في المعرض في ٢١ اغسطس من عام ١٩٠٠ . وكان هذا المؤتمر مؤلفاً من علماء جميع الامم وكلهم من رجال الجد والرزانة والرصانة . فلما دخل عليهم بيبيتو وراء امه اشرقت وجوههم سروراً بالصبي الموسيقي وابتسموا لذلك الجسم الصغير الضئيل الذي كان امامهم يضم نفساً كبيرة في اول ظهورها

وكان في جملة هؤلاء العلماء عالم بوذي من الهند . ومن المعلوم ان البوذيين يعتقدون بالتناسخ او التقمص وهو ان الانسان يتكرر وجوده في المخلوقات من قرن الى قرن . فلما سمع هذا العالم البوذي الحان بيبيتو دهش مع جميع الحاضرين وقال ان هذا الصبي دليل على صحة مذهب البوذيين في التناسخ فان نفس احد اكابر الموسيقيين متقمصة فيه ولذلك يجيد التوقيع هذه الاجادة

هذا ما قاله عالم الشرق . اما علماء الغرب فانهم عجزوا عن تعليل مسالة بيبيتو لان علم البسيكولوجيا لا يزال علماً حديثاً واصحابه يجهلون اكثر مما يعلمون . غير انهم نصحوا للام ان لا تضغط على عقل صبيها بل تتركه ينمو نمواً طبيعياً ليبلغ اشده واشاروا عليها بان لا تعلمه التوقيع بحسب الطرق المالوفة بل ان تطلق الحرية لمواهبه لتتحرك في دائرة خلقتها

***

✻ نتيجة ادبية ✻ وخلاصة الكلام ان بيبيتو من جملة العجائب في هذا الزمان . ومن حسن الحظ ان مواهبه آخذة بالنمو وذلك مما جعل الموسيقيين يؤملون ان يروه زعيماً لهم في القرن العشرين . وكانوا قد خافوا ان تقف مواهبه عند حد فلا يتم نموها كما يحدث احياناً لكثيرين من الاولاد الذين يكونون في صغرهم آية النباهة والذكاء فاذا شبوا وقويت الواحهم كانوا اناساً من عامة الناس . وكل واحد منا عرف كثيرين من هؤلاء الاولاد

ولا نريد بذلك اننا رأينا تحت سماء الشرق اولاداً نوابغ كالولد العجيب الذي نحن في صدده وانما نريد به انّ اولادنا لا ينقصهم الذكاء الطبيعي والاستعداد النظري فيجب علينا الاهتمام الشديد بمساعدة مواهبهم في نموها وان لا نتركهم يشبون همّلاً كالانعام السائمة متخلقين باخلاق الوسط الخشن الذي يعيشون فيه فيقتل ما فيه من اشواك الجهل والنفر ما في نفوسهم من ازهار النباهة والذكاء اذا لم يقتلهم انفسهم بالاهمال وجهل طرق التربية. وما اجدر بنا كلما دخلنا المقابر التي تبتلع في الشرق من الاولاد اضعاف ما تبتلعه في الغرب منهم مع حفظ النسبة بين سكان القسمين ان نقف فوق قبور اولئك الصغار المساكين وقفة ذلك الشاعر اللاتيني القديم الذي كان كلما دخل مقبرة في بلاده قصد قبور الاولاد ووقف عليها ينشد نشيداً بليغاً هذه خلاصته

« في هذه الاجداث الصغيرة اجسام صغيرة لولا الاهمال والفقر لكانت الآن كمصابيح ساطعة في العلم

« تحت هذا التراب اولاد فقراء لو وجدوا وسائل للارتقاء لبلغوا اقصى درجات العلياء

« في هذه الحفرة ايدٍ كانت جديرة بحمل الصولجان . وفي تلك رأسٌ كان خليقاً بحمل اكليل الرئاسة . وفي هاتيك فتى ضاق العالم عن نفسه ولم تسعه غير هذه الحفرة الباردة .

فعسى ان لا يقف على تربة الصبي « بيبيتو » شاعر اسباني ليقول هذا القول الاليم. بل ان يعمر بيبيتو عمراً طويلاً يخدم فيه العالم بمواهبه ثم يموت كما مات « فردي » الايطالي في هذا العام مشهوراً مكرماً . وقد مات (فردي) الشهير في نفس العام الذي ذاعت فيه مواهب بيبيتو فكأنه مات ولسان حاله يقول عنه « انا ذاهبٌ لانه آتٍ » — وهي الكلمة التي قالها لامارتين لما جاء فيكتور هيغو

باب المقالات

سوريا وفلسطين

(بين فرنسا وروسيا والدولة العلية)

السلطان محمد الفاتح و بطريرك اليونان في الاستانة · تخويله السلطة العليا · استقلال روسيا و بلغاريا عنه · الانتخاب الانطاكي · المزاحمة والملاكمة بين اليونان واللاتين في اورشليم · مساعي الجمعية الفلسطينية · فرنسا لا تريد الانصراف من وجه روسيا

عثرنا في احدى المجلات البار يزية الكبرى على فصل لاحد اكابر الكتاب الفرنسويين موضوعه تنازع فرنسا وروسيا النفوذ في سوريا وفلسطين فراينا من الفائدة تلخيصه للقراء لاطلاعهم على ما يُقال عن الدولة العلية العثمانية في البلاد الاوربية · ونحن نلخص هذا الفصل على عهدة كاتبه ونترك للقراء الحكم في صحة الكلام او فساده و يسوؤنا اننا لا نقدر لضيق المجال ان ننقله بحروفه

قال الكاتب تحت عنوان « مسالة بين فرنسا وروسيا في الشرق » ما خلاصته

***

ان الشرق خزانة للامور الماضية · فكل حادثة تحدث فيه يجب الرجوع الى اصلها في الماضي لنتمكن من فهمها او حلها · اذاً فلا يستغربنَّ القارىء ان نعود به الى زمن استيلاء الاتراك على الاستانة او الى ازمنة المسيحية الاولى في كلامنا عن المسائل الهامة التي سيرد الكلام عليها فنقول

السلطان محمد الفاتح وبطريرك اليونان

بعد استيلاء محمد الثاني على الاستانة في عام ١٤٥٣ احسَّ بضعف فرسانه عن حماية السلطنة العظمى التي اقدم على تاسيسها من كل الجهات فراى موادعة الروم (اليونان) ليأمن جانبهم و ينصرف الى الاحتفاظ بملكه الجديد من البلغار بين الذين كانوا يتهددونه في جهة الشمال ومن الفرس الذين كانوا يترصدونه في جهة الجنوب · وكان بطريرك الروم

قد قُتل في كنيسة آجيا صوفيا فأمر السلطان محمد الفاتح بانتخاب خلف له في الحال فانتخب الروم راهباً يدعى جورج سخولاريوس وسموه البطريرك جناديوس الثاني فاحتفل به السلطان محمد الفاتح احتفالاً لم يسبق له مثيل (١) ومنحه امتيازات تجعله حاكماً مطلقاً في شؤون رعيته اليونان دينياً ومدنياً الا في مسالة الحكم بالاعدام. فسرّ البطريرك بهذا المقام العظيم وكان يزداد سروره كلما اوغل السلطان الفاتح في فتوحه لان الفتح كان يزيد سلطة البطريرك على البلاد المفتوحة اذ يضم رعيتها اليونان الى رعيته . فاصبح بطريرك الروم في الاستانة في ذلك العهد رئيساً لامة وكانوا يسمونه « روم باشي » اي رأس الروم وصار حيّ الفنار في الاستانة مركزاً سياسياً يلتفُّ حوله اليونان في الروملي وآسيا الصغرى ومكدونيا واليونان وجزائر الارخبيل ومولدافيا (رومانيا اليوم) والفلاخ وبلغاريا وسربيا والبانيا ومصر وسوريا وفلسطين . وما زالت سلطة البطريرك عظيمة بهذا المقدار حتى ثورة اليونان واستقلالهم عن الدولة العثمانية فانشأوا يومئذ لانفسهم في اثينا كنيسة خاصة بهم ومنذ هذا الحين بدأ الضعف في سلطة البطريرك المسكوني وزاد الضعف ضعفاً ظهور مناظر عظيم له وهو « العصبية السلافية » اي روسيا

(١) ✻ الجامعة ✻ وقد رأينا تفصيل ذلك في الجزء الثالث من « تاريخ الانشقاق » الذي نشره اخيراً سيادة العالم الفاضل الارشيمندريت جراسيموس مسره رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية فآثرنا نقله لفائدته في هذا المقام وهذا نصه

« من بعد ان اتم السلطان محمد الثاني فتح القسطنطينية سمح للمسيحيين بحرية اقامة شعائرهم الدينية تحت حمايته ممتعين بالامان التام واذ علم ان الكرسي القسطنطيني بلا بطريرك سألهم عن الشخص الذي يريدونه بطريركاً وسر سروراً عظيماً حين اجابوه انهم يريدون الراهب جناديوس سخولاريوس فاصدر امره بحضوره. ومن بعد البحث والتنقيب وجد اسيراً عند احد الاتراك في جهات ادرنه . فلما حضر دعاه الى حضرته وخاطبه في جملة مواضيع واثنى على علمه وواسع اطلاعه ومن ثم امر بانتخابه على الاصول المرعية في ايام ملوك الروم . وقد كان ذلك في اواخر سنة ١٤٥٣ او اوائل سنة ١٤٥٤ . فجرى الانتخاب في كنيسة الرسل القديسين وهناك شرطن ودعي جناديوس الثاني . وبعد الشرطونية دعاه السلطان الى غداء على مائدته . فلما مثل بين يديه استقبله بكل ترحاب ومنحه امتيازات كثيرة وسلمه عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة للسلطة كما كان يفعل قياصرة الروم . ثم رافقه الى دار البلاط رغماً عن استرحام البطريرك ان يختصر السلطان هذا التنازل

استقلال روسيا

وكانت كنيسة روسيا قد بقيت الى القرن الحادي عشر خاضعة لبطريركية الاستانة . ففي هذا القرن قام جاروسلاو الاول امير موسكوفيا (الروس) وخول نفسه حق تعيين اسقف لكييف . فقام النزاع الشديد بينه وبين البطريرك وقد طال زمناً طويلاً . ثم حين فتح الاتراك الاستانة كان ايفانوس الثالث اميرًا على موسكوفيا وكان مقترنًا بحفيدة من الاسرة الامبراطورية اليونانية فلما سقطت هذه الاسرة في الاستانة اعلن ايفانوس الثالث انه وارث عهدها فنادى بنفسه امبراطورًا وزين قصره بالنسر ذي الراسين الذي كان شعارًا لامبراطرة الروم وجمع مجامع مقدسة للبحث في المسائل الكنائسية كما كان يصنع الامبراطرة . وفي القرن التالي لهذه الحوادث اي في عام ١٥٨٨ انشأ الروس بطريركية في موسكو مستقلة عن بطريركية الاستانة كل الاستقلال . ولكنه لما جاء القيصر بطرس الاكبر الغى البطريركية وابلغ هذا الالغاء الى بطريرك الاستانة بعبارات في غاية المجاملة والاحترام . وقد لقب بطرس الاكبر هذا البطريرك في رسالة « ابانا الروحي الكلي القداسة واكبر رعاة الكنيسة » فكان ذلك اعترافاً منه بسلطته ورئاسته . ولكن بطرس الاكبر انشاء مكان البطريركية الموسكوفية التي الغاها مجمعاً مقدساً (السينودوس الحالي) وجعل نفسه رئيساً له وللكنيسة الروسية . وهو عمل يناقض بعضه بعضاً . فانه اذا كان خاضعاً لبطريركية الاستانة فكيف يخول نفسه حق رئاسة الكنيسة الروسية والاستقلال بها .

العظيم . وفي الدار كان راس من الجياد السلطانية المطهمة عليه عدة ملوكية مزينة بافخر زينة فاركبه اياه وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوه بكل نظام بعض امامه وبعض وراءه الى كنيسة الرسل واعطاه حرساً خاصاً من انكشارية جنوده وبالاختصار لم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الا اجراها بل زاد عليها . ولكي يؤيد الامتيازات التي منحه اياها اعطاه البراءة السلطانية ومن مقتضاها ان البطريرك له السلطة العليا على ادارة كل الكنائس والاديرة . وانه له الحق ان يعزل المطارنة والاساقفة . وان الباب العالي بناء على تقريراته يصدر الفرامانات المقتضية . وانه هو الحاكم الاعلى في قضايا الاكليروس وحكمه عليهم نافذ وانها اذا صدرت دعوى على اسقف امام الباب العالي لا يحق له ان يضبطه ويحاكمه بلا رضى البطريرك . وان الكنيسة المسيحية مسموح لها بكل الاملاك والمعابد المعينة منذ القديم لاقامة الشعائر الدينية ولكن لا يسمح ببناء غيرها . وانه لا يغصب احد من المسيحيين على التدين بدين الاسلام الا اذا اراد الشخص بحريته . ثم انه منحه

والصحيح ان بطرس الاكبر كان يريد بذلك القبض على زمام كنيسته وحفظ مكان له في مسائل المسيحية في الشرق ليتداخل فيها كلما اراد المداخلة (١)

انفصال بلغاريا

وكانت المداخلة الاولى بشان بطريركية الاستانة في عام ١٨٦٠ يوم طلبت بلغاريا انشاء كنيسة بلغارية مستقلة. وقد ساعدت روسيا بلغاريا في هذا الطلب لان الاكليروس اليوناني كان كثير الصلف والاستبداد بالشؤون البلغارية. فاذن السلطان عبد العزيز للبلغار في عام ١٨٧٠ بان ينشئوا لهم اسقفية مستقلة فجمع البطريرك في عام ١٨٧٢ مجمعاً عاماً وعرض عليه هذه المسالة فقرر المجمع حرمان الكنيسة البلغارية وقطعها من الكنيسة. فلم يعباء البلغار بذلك لانهم علموا ان الحرمان لا يستنزل صواعق السماء وهكذا انشأوا

ايضاً حق الحكم في القضايا المدنية والجنائية المختصة بالاروام بكل انواعها اذا عرضت عليه منهم. ومنحه حقاً مطلقاً ان يحكم في الزيجات وما يتعلق فيها وان يضرب ضرائب على الاكليروس والعوام من ابناء امته للقيام باحتياجات الكنيسة وان يكون عنده قواسة ومحضرون. ومنح الكنيسة الحق ان تتصرف باملاكها واوقافها تصرفاً حراً. وان يكون البطريرك وائمة الدين معفيين من الاموال الاميرية عن هذه الاملاك. وان يكون كل مسيحي مكلفاً ان يوقف في وصيته ثلث ثروته للكنيسة لتستولي عليها بعد مماته. وكل هذه المواد امر بتنفيذها بالقوة عند الحاجة. وبالاجمال جعل البطريرك رئيس ملة الروم لا دينياً فقط بل مدنياً ايضاً. ومثل هذه الحقوق تقريباً منح المطارنة والاساقفة في كل جهات المملكة وامر بانه لا يجوز تقديم شكوى على احد منهم الا امام الديوان في العاصمة برضى البطريرك كما ذكرنا (تاريخ الانشقاق الجزء ٣ صفحة ٣٤٥)

(١) ﴿ الجامعة ﴾ يقول المؤرخون انه اذا كان السلطان محمد الفاتح قد اصاب في موادعة الروم بعد فتح الاستانة ليأمن جانبهم وينصرف الى ترصد البلغاريين والفرس الذين كانوا يتهددون ملكه الجديد كما تقدم فانه قد اخطاء في منحه الروم في الاستانة نظاماً مدنياً شبيهاً بالاستقلال التام كما ترى في الفقرة المنقولة عن كتاب الانشقاق في هامش هذا الفصل لان هذا النظام الشبيه بالاستقلال جعل اليونان يلتفون حول رئيس واحد دون ان تتفرق لهم كلمة وبالتالي نبه فيهم روح الاستقلال التام ومكنهم من النهوض اليه والحصول عليه

لهم كنيسة مستقلة لا تدعو للبطريرك اليوناني

البلغار والسرب واليونان في البلقان

ولا يزال هذا البطريرك عاملاً على مقاومة الكنيسة البلغارية لان اليونان يخافون البلغار خوفاً شديداً لقوة هؤلاء وثبات جاشهم وقناعتهم فضلاً عن مساعدة روسيا لهم . وهم يسمونهم « النسل المتهدد » لان البلغاريين يقولون انهم سيكونون العنصر السائد في شبه جزيرة البلقان كلها . واعظم سعي يسعاه الآن البطريرك اليوناني هو عدم زيادة الاساقفة البلغاريين في ابرشياته لانه يخشى ان يزداد عددهم فيتمكنوا من التغلب على العنصر اليوناني وانتخاب واحد منهم للبطريركية المسكونية وهناك المصيبة الكبرى على اليونان لاسيما وانهم يعلمون ان روسيا تطلب ذلك . ومن اجل هذا يكرهونها تلك الكراهة الشديدة . على ان الاساقفة البلغاريين آخذون في الزيادة فان لهم ٨ ابرشيات في البلاد العثمانية وهم يطلبون اربع عشرة ابرشية في مكدونيا وولاية ادرنه . واما سربيا فانها تسعى ايضاً سعياً حثيثاً في الحصول على ابرشيات سربية جديدة في مكدونيا وسربيا القديمة . وهي تطلب من الباب العالي تارة اعادة انشاء بطريركية سربية في ايبك وهي البطريركية السربية القديمة التي انشاها السرب في العصور الوسطى لما كان لهم الحول والطول والتي حرمها بطريرك الاستانة يومئذ وقطعها من الكنيسة . وتارة تطلب منه ان يعترف بجنسيتها في بلاده كما يعترف بسائر الامم . اما روسيا فانها تساعدها في هذين المطلبين كما تساعد بلغاريا في مطالبها . والدولة العثمانية تعطي هذه ما تاخذه من تلك ولذلك لا تنفك احداها راضية والثانية غاضبة . واما بطريرك الاستانة فانه يقاوم السرب مقاومته للبلغار وقد اضطر البطريرك انثيموس السابع ان يستقيل في عام ١٨٩٧ امام غضب السينودوس في الاستانة لانه تساهل مع السرب في مساله اسقفية

كرسي انطاكية

وكما حدثت مقاومة من جانب الروس والبلغار والسرب كذلك حدثت مقاومة شديدة من جانب بطاركة انطاكية واورشليم والاسكندرية . فان هؤلاء البطاركة كانوا لا يالون جهداً في دفع مطامع البطريرك المسكوني . وقد ساعدتهم على ذلك الخطوط السلطانية التي نالوها والتي تنقض الامتيازات التي نالها البطريرك اليوناني من السلطان محمد الفاتح كما تقدم . ولذلك صارت الدولة تعتبرهم مستقلين في شؤونهم . واما البطريرك المسكوني فهو يعتبرهم مستقلين في داخليتهم ولكنه لا يعتبرهم منفصلين عن سلطته . وبناء على ذلك كان يتداخل في انتخاب البطريرك حين خلو الكرسي البطريركي ويرشح اسماء من قبله

ولكن حدث اخيرًا في كنيسة انطاكية حادث قضى على ما بقي فيها من سلطة البطريرك المسكونية

ثم قص الكاتب هنا قصة الانتخاب البطريركي الذي حدث في انطاكية في المدة الاخيرة · وغني عن البيان انه يعزو الى روسيا هذه الحركة الوطنية كما عزى اليها الحركة البلغارية · وبعد ان اتى على تفاصيل ذلك الانتخاب بدقة قال

الزحام والنزاع في اورشليم

ولكن سعي روسيا لا يقف عند سوريا بل هو آخذ بالامتداد نحو اورشليم (بيت المقدس) وما هذه الحركة التي ظهرت في سوريا الا تمهيد للحركة الكبرى التي تحدث في اورشليم · ولا يخفى ان لفرنسا في تلك الجهات وغيرها مصالح كبرى عليها صيانتها · فان النزاع مستمر بين الاكليروس اللاتيني والاكليروس اليوناني في البلاد المقدسة · فقد كان القبر المقدس في عام ١٦٠٤ في ايدي اللاتين وقد استطاعت فرنسا في ذلك العهد ان تعيد الى الكثلكة اكثر الابنية المقدسة التي يرجع اصلها الى عصر المسيحيين الاولين · ولكنه ما مر على ذلك ١٥ عامًا حتى اعاد اليونان الكرة على اللاتين فاستصدروا فرامانات موافقة لهم · ثم صارت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى كانت سنة ١٨٠٨ فاحترقت يومئذ كنيسة القبر المقدس ونُهبت مدافن امراء اللاتين فاذن الباب العالي يومئذ لليونان ان يعيدوا بناء الكنيسة فبنوها وابقوها في ايديهم واخذوا فوقها خمسة مذابح كانت للاتين · ولا يزال الفريقان الى الآن يتنازعان الاماكن المقدسة مع انه قد ورد في المادة ٦٢ من معاهدة برلين وجوب ابقاء الحالة الحاضرة كما هي وصدرت في سنة ١٨٥٣ فرمانات بوجوب ان يحفظ كل واحد ما في يده دون ان يطمح الى ما في يد غيره

اما اليونان فانهم اكثر من اللاتين اعتداء لانهم يقولون ان في يدهم صكًا من الخليفة عمر بن الخطاب (رضه) يخولهم الامتيازات دون سواهم مع ان (١) هذا الصك مزور (كذا) ويقولون انهم هم وحدهم ورثاء القديسة هيلانة التي بنت كنيستي القبر وبيت لحم لانها يونانية

(١) ✻ الجامعة ✻ لم يختلف مؤرخو العرب في مسالة هذا الصك ولكن بعضهم سكت عنها فلم يذكرها وبعضهم ذكرها · ومن الذين سكتوا عنها المؤرخ ابو الفداء حيث قال في تاريخه عند الكلام على فتح بيت المقدس « واما بيت المقدس فطال حصاره وطلب

وكل واحد من الفريقين يتخذ للاستيلاء على ما في يد الآخر طرقاً لا تليق بالمجاورين للاماكن المقدسة . فتارة القوة وطوراً الخديعة وآونة المباغتة . فان بعضهم قد يكنس دهليزاً بجانب كنيسته ويقيم على كناسته سنة فسنة ثم اذا جاء خصمه لكناسته نازعه ودافعه عنه وبعد سنتين يدعي ملكية الدهليز ويضمه الى املاكه . ومنهم من ياتي في جنح الليل ويسد بالحجر والطين باباً لكنيسة خصمه استئثاراً بها . نعني ان كل ما يقع في قبضة واحد منها يصير ملكه وتُسفك الدماء في سبيله . ومن هذا القبيل مسالة المرور في كنيسة بيت لحم وهي المسالة التي يكون لها في كل عام شأن عظيم . وتفصيلها باختصار ان لمغارة بيت لحم حيث ولد السيد المسيح طريقين الاولى من جهة الجنوب وهي لليونان والثانية من جهة الشمال وهي للاتين . ففي ليلة عيد الميلاد عند اليونان من عام ١٨٩٥ اراد الرهبان اليونان في ابان الاحتفال ان يمروا في الطريق الشمالية التي هي للاتين . فوقف الرهبان الفرنسيسكان في وجوههم ومنعوهم من المرور لئلا يدعوا بعد ذلك ان لهم حق المرور من هناك وهو تمهيد للامتلاك . فتضارب الفريقان وتلاحما ولم يفترقا حتى تداخل البوليس العثماني بينهما . وفي عام ١٨٩٧ تكررت هذه الحادثة وهي تتكرر في كل عام فينقل التلغراف خبرها الى اوروبا لاهميتها وخوف الناس حتى السفراء انفسهم من ان تفضي الى اسواء العواقب كما حدث في مسالة سرقة النجمة الفضية في بيت لحم في عام ١٨٤٧ فان هذه المسالة لم تنحل الا تحت اسوار سيباستوبول . وكم من الرهبان اليونان والفرنسيسكان قد قُتلوا في وسط الكنائس اثناء تنازعهم على ملكية الاماكن المقدسة

ولو لم يكن للاتين خصم غير اليونان لقدروا عليهم ولم يعبئوا بهم ولكن روسيا واقفة

اهله من ابي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل الشام بشرط ان يكون عمر بن الخطاب متولي امر الصلح فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك فقدم عمر رضي الله عنه الى القدس وفتحها واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضي الله عنه» هذا كل ما قاله ابو الفداء عن فتح بيت المقدس وصلحه . واما الواقدي فقد كتب صفحات جميلة بهذا الشان جاء فيها « فلما سمعت الروم (في بيت المقدس) كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت انفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسالونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة تواضع لله وخرّ ساجداً على قتب بعيره ثم نزل اليهم » وقال الواقدي في موضع آخر هذا الكلام الصريح « وارتحل عمر بعد ان كتب لاهل بيت المقدس كتاباً اي عهداً واقرهم في بلدهم على الجزية »

بالمرصاد وراءهم تشد ازرهم وتساعدهم استناداً الى المادة السابعة من المعاهدة المعقودة بينها وبين الدولة في عام ١٧٧٤ وفحواها « اعطاء سفراء روسيا حق مباحثة الباب العالي في شوؤن المسيحيين في الشرق » . وفضلاً عن ذلك فان الروس مدفوعون بحكم طبعهم الى اورشليم لانهم قوم صادقون في تدينهم خلافاً لليونان الذين ليسوا في شيء من التدين الصادق . ولذلك اخذوا يسعون اليها سعياً حثيثاً

جمعية فلسطين

فبعد حرب القريم عينت وزارة الخارجية لجنة سمتها لجنة فلسطين وعهدت اليها تدبير امور الحجاج الروس . فانشأت هذه اللجنة الابنية الروسية الاولى في اورشليم وجعلت لروسيا قنصلاً فيها . ولكن هذه اللجنة كانت تسير سيراً بطيئاً لا يوافق رغائب الامة فقام بعض من اكابر الروس في عام ١٨٨٢ وانشئوا تحت رعاية الغرندوق سرجيوس « جمعية فلسطين » .

وقد ورد في نظام هذه الجمعية انها جمعية دينية لا دخل للسياسة فيها . اما اعضاؤها فهم من اكابر الروس والاكليروس ويغلب فيها العنصر الروسي القديم ولكن كثيرين من الرجال العصريين يهتمون بها ويخدمونها . ومن الصعب ان يعرف الانسان هل ان الجمعية متسلطة على الحكومة الروسية فتجعلها تصنع ما تريد او ان الحكومة متسلطة على الجمعية وراسمة لها خطة تجري عليها . اما غنى الجمعية فلا حد له . لان الروس يتبرعون لها خاصتهم وعامتهم . وقد انفقت لغاية سنة ١٨٩٠ من ١٥٠ الى ٢٠٠ الف روبل في العام الواحد . اما بعد عام ١٨٩٠ فقد زادت نفقاتها لان اعمالها قد تضاعفت ولو شاءت وطلبت المال من الامة الروسية بالحاح لجاءتها الريالات ملايين ملايين

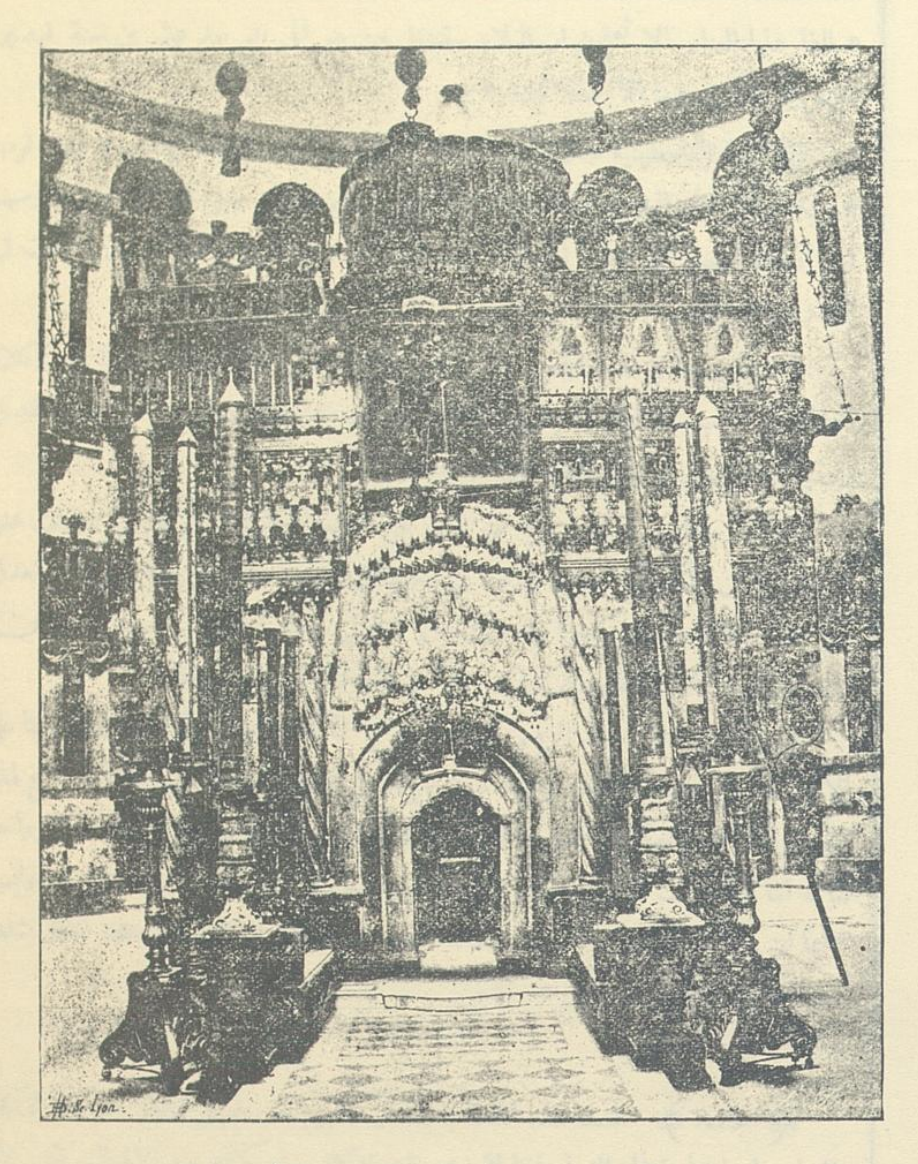
اما غرض هذه الجمعية فهو حماية الحجاج الروس في اورشليم وحض الروس في روسيا على الحج الى اورشليم . وقد اخذت تهتم بتعليم اولاد الارثوذكس في فلسطين وسوريا وهي تعلمهم تعليماً روسياً باللغة الروسية وتبعث بعثات علمية الى جميع الاماكن التي فيها آثار مسيحية لاكتشافها وتؤلف الكتب والكراريس في مواضيع مختلفة وتنشرها بلا عد ولا حساب . وقد اكرهت شركات السكك الحديدية والبواخر على انقاص اجورها فصار الحاج الروسي قادراً على الحج من أقصى بلاد الروس الى اورشليم بمبلغ لا يتجاوز المائة فرنك ذهاباً واياباً . ويفد الى اورشليم من هؤلاء الحجاج في كل عام عشرة الاف روسي مع انه لا يفد من اللاتين اكثر من ٨٠٠ حاج

اصعد الى سفينة من السفن الروسية التي تقل الحجاج من بلادهم تجدهم جالسين افواجاً افواجاً او وقوفاً يصلون امام ايقونة معلقة في سارية السفينة · وهم يصلون منذ الصباح الى المساء· تقدم منهم وسلهم من اي ولاية جئتم واية قرية قريتكم ترهم يترددون في الجواب لانهم يودون نسيان كل شيء وهم على طريق الحج · وقد سألهم مرة احد المسافرين هل نظرتم في طريقكم المناظر الجميلة في البحر الاسود والبوسفور وشواطىء اليونان ومصر فاجابوه « لم ننظر شيئاً لاننا مشتغلون بالصلاة طول النهار »

فهذا يدل على ان روسيا هي الآن في دور ديني يشبه الدور الديني الذي كان فيه الاوربيون ايام الحروب الصليبية · فلا بدع ان تكون مندفعة نحو اورشليم هذا الاندفاع· واول ما يطل المسافر على المدينة المقدسة يعرف قوة روسيا فيها من مجرد النظر اليها · فان قباب الكنائس الروسية في المدينة وفي جبل الزيتون تناغي السماء في علوها · والدار الروسية الكبرى المبنية قرب المدينة تسع اكثر من الفي شخص · وهي اذا بنت شيئاً كبيراً قوياً وعلى الخصوص عظيماً ليستلفت الانظار ويدل على مبلغ قوتها· وقد اخذت في بناء الديور والملاجيء في كل مكان هناك فانشأت كثيراً منها في الجثمانية والناصرة وكل نواحي الجليل · ومع ذلك فانه ليس للروس كنيسة ضمن كنيسة القبر المقدس الكبرى التي تسمى كنيسة القيامة ولم يصلِ كهنتهم في هذه الكنيسة الا منذ سنتين وذلك في كنيسة الجلجلة · انما يقال ان الاحباش سيبيعونهم الكنيسة التي لهم في داخل كنيسة القبر فاذا تم هذا البيع سرّ الروس به ولكن سروراً خفيفاً لانهم يطلبون اكثر من ذلك بكثير

هذا ما يسعون اليه في جهات فلسطين· واما في جهات سوريا فانه لا يوجد كنائس مقدسة للاستيلاء عليها وانما يوجد شعب يجب استمالته اليها · ولذلك تتساهل الجمعية الفلسطينية مع اساقفته وتجعلهم يربحون ارباحاً تقضي عليهم بالتعلق بها · واعظم اعمال الجمعية في سوريا انشاء المدارس فانها فتحت فيها وفي فلسطين اكثر من مائتي مدرسة الى الآن اما المدارس التي تدفع لها اعانة فيتعذر احصاؤها

واما التعليم في هذه المدارس فهو باللغة الروسية · وهذا هو الامر الذي ادهش الاهالي وجعلهم يفرون منه · فانهم اعتادوا ان يعلموا اولادهم اللغة الفرنسوية او الانكليزية لما يؤملونه لهم من وراء هاتين اللغتين من المنافع في التجارة او الاستخدام ولكن اللغة الروسية ماذا يصنعون بها واية فائدة منها· فرغبةً في استمالة الاهالي وازالة نفورهم جعلوا يقولون لهم



﴿ مدخل قبر المسيح في بيت المقدس ﴾
وهو داخل كنيسة القيامة الكبرى وعليه الخلاف
بين الامم المسيحية

« لماذا هذا العناد الا تعلمون ان البلاد ستنتقل من يدٍ الى يدٍ بعد عشرين سنة فيصير الناس لا يحكون فيها الا اللغة الروسية »

وللجمعية الفلسطينية مدرستان لاعداد المعلمين والمعلمات واحدة في بيت جعل قرب اورشليم وهي لتعليم البنات وواحدة في الناصرة وهي لتعليم الفتيان ومتى اتم التلامذة دروسهم فيها ارسلوا انبههم الى اودسا ليدخلوا المدارس الكبرى واتخذوا الباقين معلمين ومعلمات في المدارس الصغيرة

وقد يكون مفتشو هذه الجمعية من اكابر رجال الروس علماً ومقاماً وربما كان وكلاء الوزارات انفسهم مفتشين لها يطوفون البلاد لانتقاد مدارسها. ويقولون ان جناب قنصل روسيا الجنرال في دمشق الشام كان من مفتشيها

ولو كانت الجمهورية الفرنسوية قد تخلت عن حماية الكاثوليك في الشرق وعدلت عنها لما جاز لها ان تشكو من وقوف روسيا في وجهها في سوريا وفلسطين ولكن فرنسا لم تعدل عن هذه الحماية ولذلك كثيرًا ما حدث ان قناصل روسيا وفرنسا — وهما الدولتان المتصادقتان المتحالفتان يقاومون بعضهم بعضاً في هذه المسائل بشدة وحدة

ومن الغريب ان يعتقد الروس في بطرسبرج اننا قد رضخنا لحكم التقادير وعزمنا على الانصراف من وجيهم في سوريا وفلسطين حرصاً على محالفتهم وصداقتهم فاننا لا نرضخ لهذا الحكم واذا كانت حكومة الجمهورية الفرنسوية تنوي الرضوخ له فلتصرح بذلك ليرى كل واحد شأنه اما اذا كانت لا تنوي الرضوخ فيجب عليها السعي في نصرة حزبها والاهتمام به. وليس عظيماً ان ينشأ بين دولتين متحالفتين مسالة كهذه المسالة فان في الامكان عقد اتفاق بشانها وهذا الاتفاق يرضي الفريقين » انتهى

﴿ الجامعة ﴾ لخصنا هذه المقالة باختصار كثير بسبب ضيق المقام ومراعاةً للمكان والزمان ولسنا بحاجة الى القول اننا لا نرى راي الكاتب في كثير من الاقوال التي قالها وانما نقلناها على امل ان تكون نافعة ومنبهة للذين نقلناها لهم وبالله التوفيق

لغة مشتركة بين الانسان والحيوان

يهتم العلماء منذ القديم بوضع لغة عامة يفهمها جميع الناس في اي بلاد كانوا وقد امتاز منهم في هذا الأمر باكون و باسكال وديكارت وليبنيز ولوك و كونديلاك وديديرو وفولناي وامبير . والظاهر ان التجار ورجال العلم والصناعة في هذا العصر قد عادوا الى هذه المسألة لما رأوه من الحاجة اليها رغبة في سهولة المعاملة بين جميع الامم في العلم والتجارة والفنون فعزموا على تاليف لجنة دولية كبرى للبحث في شؤون اللغة العامة التي يطلبونها وقدم كثيرون من علماء الرياضيات والطبيعة والفسيولوجيا والتاريخ عريضة الى المجمع العلمي في باريز يسالونه فيها الاهتمام بهذه المسالة . وذلك مما يدل على ان اصحاب العريضة معتقدون بامكان الامر الذي يطلبونه

ولكن اذا كان البشر لم يصطلحوا بعد على لغة يتفاهمون بها عامة فقد وُضعت لغة عامة للحيوانات . وضعها الدكتور " ديكروى " الترنسوي الذي توفي في الشهر الماضي

وقد كان هذا الدكتور رئيساً « لجمعية مقاومة التدخين » في فرنسا فاستطاع تكريه التبغ والتدخين الى اكثر الطبقات الارستوقراتية العليا فيها . ثم جُعل رئيساً للقسم الاول من جمعية تربية الحيوانات فبدت منه في هذه الجمعية على الحيوانات شفقة جعلت الناس يلقبونه " صديقها ورفيقها " . ومن آثار هذه الشفقة وضعه لغة واصطلاحات اذا تعلمها سائقو المركبات والخيل والحمير والبغال وما اشبهها وعلموا حيواناتهم اياها استراحوا واراحوها من القسوة والضرب والتعذيب التي كثيرًا ما يصيبونها بها لعدم فهمها او لسوء فهمها

اما هذه اللغة فهي مؤلفة من اربع كلمات فقط وهي — حي . رحه . حا . حو(١)

(السير) حي

حا (اليمين) (اليسار) رحه

(الوقوف) حو

---

(١) في الاصل : هي ده ها هو فابدلنا الهاء حاء متابعة للساقة في مصر الشام

فاذا شاء السائق ان يقول للحيوان تقدم صرخ به (حي) وان رام ان يقف صرخ (حو) وان رام ان يسير الى اليمين صرخ (حا) وان رام اليسار صرخ (حه) . و بذلك يُكفى السائق والحيوان عناءً وعذاباً

ذلك ان كل نزاع يقوم بيننا و بين رفاقنا الحيوانات ينحصر في وقوفها وعنادها حين رغبتنا في ان تسير او سيرها حين رغبتنا في ان تقف فلغتنا معها اذاً مقصورة على الامور التي تقدمت : السير . الوقوف . السير نحو اليمين . السير نحو الشمال

وقد ذكرنا في الرسم الاول اصل هذه اللغة فنرسم الان فرعها

حي حي . سر ركضاً
حي . سرخطوة خطوة

حا : سر في جهة اليمين — حِه : سر في جهة الشمال

حاحا : انحرف لليمين من غير سير — حِه حِه : انحرف للشمال من غير سير

حو . قف
حو حو . ارجع الى وراء

فاذا رام السائق او الراكب اركاض الحيوان صاح به (حي حي) مكرراً هذه الكلمة وان رام ان يسير الهوينا اكتفى (بحي) واحدة . واذا كان يطلب انفتال الحيوان الى الشمال والسير في هذه الجهة صاح (حِه) اوالى اليمين مع السير صاح (حا) واذا رام الانفتال الى الشمال دون سير كرر (حه حه) او اليمين دون سير ايضاً كرر (حا حا) واذا اراد ايقافه صاح (حو) — خلافاً للصياح المالوف بين الساقة في مصر والشام وهو " هوش هوش " — واذا رام منه ان يعود الى وراء صاح به " حو حو "

ولكن الصعوبة ليست في وضع هذه الاصطلاحات او في تعليم البشر اياها ولكن في جعل الحيوانات تفهمها . فكيف يعلمون الحيوانات اياها

لذلك طريقة ليست صعبة بقدر ما يظن القارىء وهي

خذ اولاً الكلمة " حي " وهي كلمة الامر من فعل السير وجيء بفرس من افراس عربات النقل وقف وراءه . ثم مره بلهجة لطيفة " حي " فيبقى واقفاً حيث هو دون ان يفهم للكلمة معنى . فارفع صوتك حينئذ قليلاً وناد " حي " فيبقى الفرس ايضاً جامداً في مكانه . فاصرخ بـه حينئذ باعلى صوتك " حي " واردف الصوت بضربة قضيب او سوط على كفله فيثب الفرس بالطبع متقدماً . فدعه يسير مسافة قريبة ثم ناده بفعل الامر " حو " وهـو الامر بالوقوف فيستمر سائراً فارفع صوتك واصرخ به " حو " بلهجة اشد فيبقى سائراً ايضاً فاصرخ للمرة الثالثة باعلى صوتك " حو " واردف ذلك بشد العنان فيقف

فاغتنم حينئذ فرصة وقوفه وامرّ يدك على جبهته ورقبته اشارة الى رضاك عنه لطاعته امرك

ثم كرر هذا التعليم مراراً على الطريقة التي تقدمت حتى يتعلم الفرس ويدرك ان كلمة " حي " القوية يتلوها السوط وكلمة " حو " يتلوها اللجام فيتعلم ان يسير بعد سماعه الاولى و يقف بعد سماعه الثانية . ومتى تعلم هاتين الكلمتين جيداً فاشرع في تعليمه كلمتين اخريين ولكن حذار ان تعلمه اكثر من كلمتين في كل " درس " فانك تضيع عناءك سدى

وقد كتب الدكتور ديكروى عدة مقالات ورسائل بهذا الموضوع يستفزّ بها الناس الى الرفق بالحيوان ومعاملته باللين لانه رفيقنا وخادمنا الامين في هذه الحياة . وقد اعلن انه يمنح مكافاة لكل سائق يأتيه بفرس مدرب على الطريقة التي تقدمت فجاءه كثيرون من الساقة الذين علموا خيولهم طريقته فنالوا جوائزه . ومن جملة هذه الجوائز مدالية خصوصية جميلة انشاها الدكتور ديكروى لهذا الغرض خاصة وتعرف بمدالية لغة الحيوانات . وقد قال هذا الدكتور ان غرضي من هذا المشروع اسمى مما يظنه بعضهم . فانهم يقولون انني اريد به الرفق بالحيوان فقط مع انني اريد به الرفق بالحيوان والانسان معاً . فان الانسان متى تعلم ان يكون متادباً حتى مع حيواناته فذلك دليل على حدوث ارتقاء حسي في نفسه . واللغة التي اقترح تعميمها بين الساقة في جميع اقطار العالم تكفيهم خشونة القسوة على حيواناتهم وتعلمهم ان يكونوا اكثر تادباً معها

سياحة في غربي اوربا

﴿ كتاب في مقالة ﴾

بقلم حضرة الوجيه الفاضل عزتلو نسيم افندي خلاط الطرابلسي

اعتادت الجامعة ان تزف الى قرائها في كل جزء منها مقالة متضمنة زبدة كتاب من اطايب الكتب فيقرأ فيها القارىء في لحظة ما تتعب هي في مطالعته وترتيبه وتلخيصه اياماً طوالاً . فيكون مثلها والقارىء في ذلك مثل من ياخذ خروفاً ويعالجه فيستخرج جميع مواده المغذية ويحصرها في كأس واحدة فيصبح من يتناول هذه الكأس كانه يتناول الخروف كله ...

ولقد راينا القراء راضين كل الرضى عن هذا الاسلوب فعقدنا النية على مواصلة ذلك في كل جزء من اجزاء الجامعة . ووجدنا من الفائدة ان لا نجعل التلخيص مقصوراً على اطايب الكتب الافرنجية او الكتب القديمة بل ان نجعله شاملاً لكل الكتب التي يجب توجيه الانظار اليها وتُرجى الفائدة منها

اما موضوعنا في هذه المقالة فهو كتاب صدر حديثاً ولا يزال تحت التجليد وهو بقلم جناب عزتلو نسيم افندي خلاط احد اعيان طرابلس الشام وعنوانه « سياحة في غربي اوربا » . ومما يسر في هذا الكتاب بنوع خاص انه مكتوب بقلم تاجر غني مشهور بالميل الى العلم والادب لا بقلم كاتب صناعته الكتابة . ولذلك يجب على الكتاب ان ينظروا اليه « بالعين الكليلة » فضلاً عن الاحترام الواجب للمال متى اهتمّ بالعلم واشتغل به

وانا كلما راينا المال في الشرق مهتماً بالعلم استبشرنا واتخذنا ذلك دليلاً محسوساً على التقدم . ثم تساءلنا : ايهما يشرف صاحبه . المال الذي يطلب العلم ام العلم الذي يجتذب المال اليه بنفحاته القدسية

ولقد ابتدأت هذه السياحة في الثامن من شهر ابريل (نيسان) من عام ١٩٠٠ فسار المؤلف من طرابلس الى بيروت فبورسعيد فالاسكندرية ومنها سار الى باريز عن طريق مرسيليا فوصلها في ١٢ مايو فزار المعرض وكثيراً مما في باريز وفرساليا من الآثار الفخيمة . ثم سار الى لندن فوصلها في التاسع والعشرين منه فزار كثيراً من متاحفها واماكنها العمومية . ثم قصد ليفربول ومنشستر وعاد منها الى فرنسا فسافر الى سويسره وايطاليا ووقف في اطلال رومه وزار مبانيها . ومن هناك كر راجعاً في ١٢ يوليو الى وطنه سوريا عن

طريق الاستانة بعد الوقوف على آثارها

وانما اشرنا الى هذه الاماكن في الاسطر التي تقدمت تمهيدًا للكلام الذي سيجيء عنها . لانه لو لم يكن في هذا الكتاب من شيء سوى ذكر الذهاب والاياب ووصف المدن والجدران والابنية والمعروضات والسلع التي شاهدها السائح لما كلفنا القارىء عناء النظر فيها ولكننا رأينا الكتاب يتخلله آراء ادبية وملاحظات جديرة بالاعتبار وامور يلذ للقارىء الاطلاع عليها وافكار وتصورات واقعة احسن موقع في مكانها فرأينا من الفائدة ان نورد اهمها

استقبال جبال ايطاليا

قال حين استقباله جبال ايطاليا

« في صباح السابع من ايار اي بعد مضي ثلاثة ايام ونصف من مبارحتنا الاسكندرية اطلت علينا جبال ايطاليا وكان الهواء ساكنًا والبحر هادئًا فذكرني منظرها جبال لبنان حتى خلتهنّ لعظم المشابهة اخوانًا اشقاء شقهنّ البحر حسدًا واوقفهنّ على جانبيه يتغامزن عليه الى يوم تغيض البحار وتندك الجبال . ثم قابلنا جزيرة سيسيليا فرأينا على قمم جبالها مآزر من الثلج وعلى سهولها وشاحًا مطرزًا بياقوت ترابها وزبرجد نباتها واغراسها الى ان وصلنا الى مضيق ينفرج احيانًا ويضيق اخرى رأينا على احدى عطفاته موقع مدينة مسينا فاشرفت عليها عن كثيب فاذا هي بلدة صغيرة كان لها شان في منتصف القرن الحالي غصبته منها اسكلة برنديزي واضاعته عليها ثم نخرت الباخرة في جون رأينا على يمينه الفلكان اتنا رابضًا فوق الماء بشكل هرميّ تام المخروطية لكننا لم نرَ على راسه اثرًا لنار او لدخان كأن القدم والهرم ابلياه بالخمود او اناماه ليستريح من شواغل اضرار الجوار بثورته فتذكرت ما قيل

تبارك من توفاكم بليلٍ ... و يعلم ما جرحتم في النهار »

المقامرة واسطة التعارف

وقال في المقامرة كلمة لطيفة

« وكان البحر بين درجة ٣٦ و٣٩ عرضًا هادئًا والجو صافيًا ازالا عني وعن سائر الركاب وعكة الدوار فاستطعت اذ ذاك ان الاحظ أننا كلما اقتربنا من مدينة مرسيليا تزداد السفينة نظافة و يحسن طعامها كان الربان يخشى الملام او عقبى الشكوى اذا اتصلت بمقام ادارة الشركة . وقد كانت الايام التي مرت بين السادس والتاسع من الشهر ايام سرور وحبور

صرفنا معظمها مسامرة واقلها لعباً وقد ثبت وليته لم يثبت لديَّ ان اللعب لمن اشد دواعي التعارف والائتلاف لاني شاهدت اللاعبين المختلفين جنساً ولغة كانهم اخدان واخوان منذ الولادة حال كونهم لم يروا بعضهم يوماً قبل ذلك الحين وما ذلك الاَّ لان الميسر اصبح كجواز سفر يُدخل كل غريب الى الجمعيات على اختلاف اقوامها ومشاربها ولغاتها باسرع من لمح البصر لا يحتاج الى اكثر من وضع يده على جيبهِ . حقاً ان ابليس اللعين لم يفتح عليه بخدعة مضلةٍ لبني الناس اشد مكراً وضرراً منها »

حمالو مرسيليا وساقتها

وقال في حمالي مرسيليا وساقتها

« رايت حماليهم عند نزولنا من الباخرة الى الرصيف حيث كان الزحام شديداً وامتعة الركاب ركاماً يتمهلون او يقفون عند نقلها على المساحب المجرورة اذا صادفوا في طريقهم شخصاً واقفاً او يقولون له بلغتهم تفضل مولاي وحدْ قليلاً ان شئت . ورايت لسائقي المركبات خلة لم اعرفها في بلادي وذلك اني ما اشرت مرةً بطلب سائق وجاء في آخر ولا وقفت امامهم وانا في هيئة مريد الركوب وتسابقوا اليَّ كما يفعلون في طرابلس و بيروت حيث يحيطون بالراكب و يتخاطفونه كحبة قوت القيت في حوض سمك »

مقتل هابيل

ونظر في متحف في مدينة ليون رسماً لمقتل هابيل فقال فيه

« وقد استوقفتني صورة لمقتل هابيل رايته فيها طريحاً معفراً على الثرى تغشى وجهه الضاحي كمدة الموت وصفرته وحوَّاء حوله تتراوح بين ملامح الياس والرجاء والدهشة والحزن وآدم واقفاً مكفهر السحنة غضوباً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال وقايين يعدو مدبراً يرمق المشهد بلحظٍ خفي — صورة جمعت اقصى ما يستطاع للمخيلة تصوره لذاك الحادث الاثيم غير المسبوق وقوعه في اول عائلة انسانية »

كنيسة المادلين في باريز

« ولما كان دخولي اليها ابان القداس حضرته مرتاحاً لوقوفي على حالة لم اعهدها في الشرق وذلك من حيث السكينة والهدوء الشاملين الكنيسة والمصلين فيها على اتساعها ومن سماعي صلاة الكاهن والبعد بيني و بينه لا يقل عن خمسين متراً . حالة ولا بد تأتت عن السكينة وعن احكام هندسة البناء حتى ليكاد يسمع فيها همس المصلي ولو كنت في

اقصاها. ثم انصرفت منها مفكرًا بهندسة كنيسة طرابلس الجديدة التي لا تُسمع فيها الصلاة الا لغطًا لسوء الهندسة »

متحف كرافين

« ورحت الى متحف كرافين حيث التماثيل الشمعية فادهشني ما رايت من دقة التشبيه واتقان التمثيل حتى كدت لا اميز بينها و بين الاحياء الوقوف والمتفرجين في ذلك الايوان ولقد اضحكتني سيدة كانت جالسة على مقعدٍ بقرب احدى التماثيل لما حدقت نظري فيها لاتبينها ان كانت تمثالاً او بشرًا حيًا بحملقتها بوجهي وتبسمها لان الكلام بحسب الاداب الاوربية ممنوع مع من لا يعرفونه ولو في هذا الظرف المفضل فيه ادبًا الكلام على الحملقة كما لا يخفى »

وقد رأى في هذا المتحف « كتشنر باشا في سفينةٍ راسيةٍ امام فشوده جالسًا والى جانبه القائد مرشان ونجت باشا ينظرون في خريطة منشورة على طبلةوهو ينص على مرشان و رفقائه شروط خروجهم من الخطة المجاورة النيل التي افتتحوها بماضي عزائمهم »

المولين روج

« وقد حضرت غير مرة في ملعب « مولين روج » حيث يتناهى فيه الممثلون باشارات التهتك وعبارات اقبح المجون والرقص المائل المرتج فسالت سيدة انكليزية كانت وزوجها فيه على قرب مني عما نراه في هذه المشاهد فاجابت انها رات في سياحتها مع زوجها في مصر رقصًا اكثر عيبًا واشد بلاءً على الشبيبة ونظرت في اواسط افريقيا وفي جهاتٍ من جنوبي اميركا من مشاهد الخلاعة والقصف حتى بين الامم المتحززة الى التمدن ما يحسب هذا بالنسبة اليه ادبيًا محتشمًا ثم اردفت كلامها بقولها ان الحشمة في الناس نسبية لن يتم لها الكمال اصلاً وان اطالة البحث فيها تاريخيًا ربما يفضي الى الظن بانها قهرية لا اختيارية. انتهى. وقد رايت في هذه المراقص وفي غيرها من غرائب حركات الراقصات ما يستوقف النظر و يحير الفكر و يوجب الاندهاش واشدها غرابة ان الراقصة تنهض باحدى رجليها الى ام راسها ثم تلفت القدم على قذالها حتى تمسي اخمصها على الخد الايمن اذا كانت المرفوعة يسرى وتظل راقصةً على رجلٍ واحدة على وفاق توقيع انغام الموسيقى »

المعرض المصري

« ورايت المعرض المصري غير حاوٍ الا ما يصنعه الاجانب من حلي ومصاغ وما كل

وحلوى لا ما يصنع ويطبخ في قطرها السعيد غير اني رايت على باب معرضها جوقاً من الضارِبين على الدربكة والنافخين على المزمار والعازفين على العود وشممت عند الدخول اليه رائحة الند وشربت فيه القهوة على توركا لكن بثمن غالٍ ورايتُ على جدرانه في الخارج رسوم تماثيل واصنام مصر بقلم الاجانب عنها ولعل المعرض العثماني لا يختلف عن هذه الهيئة كثيرًا او انه يرجح على ما مرّ لاستحضار ملتزم مرسحه زمرة من القيان الحسان من اطراف الشام واواسط لبنان لابسات ملابس مهجورة استلفاتاً للنظر واستجلاباً للمتفرجين. يُسقى في احدى زواياه الضيقة القهوة على توركا والاركيلة بالفحم الحجري فاظنه واظن سابقيه غير فالحين»

ابرع ممثلي باريز

«وبعد تناول العشاء ذهبتُ الى تياترمارتن المختص بالمشخص الشهير المسيو كوكاين فدخلته في الساعة الثامنة بعد الظهر فوجدته غاصاً بالحضور ولولا مساعدة صديق لامتنع عليّ الحصول على تذكرة الدخول وفي الساعة الثامنة ونصف ارتفع ستار المرسح وبعد هنيهة برز كوكاين فدوى المكان وارتج تصفيقاً له وهكذا كان كلما اضحك بتشخيصه او ابكى يقوم له الحضور تكريماً وتهليلاً حتى اذا انتهت فصول الرواية رجعت الى فراشي متفكرًا كيف يكافأ من يبرع في حرفته في هذه البلاد وكيف يُعرض عمن نجب في بلادنا في امر من الامور»

التقدم والدماء

وقد وصف قبر نابوليون الاول في سراي الانفليد وصفاً جميلاً اردفه بقوله «ان الفرنسو بين قوم يعشقون بل يعبدون العظمة الوطنية مهما اختلفت آراؤهم وصبغاتهم ويجلون من يوصلهم اليها باي الطرق سواءٌ كان بالانتصار الملوث بالدم او بالاكتشافات النافعة او بالمشروعات التجارية الجسيمة. ويحبون الكسب ويطلبونه بكل الوسائل لكنهم يناقشون عظماءهم الحساب عن اقل غلط ولا يخجلون فيما لو ذموهم بعد المدح» ثم قال عند كلامه على «البانثيون» الذي هو مدافن الرجال العظام ان الحكومة اخذت تقرب القبور بعضها من بعض لتفسح مجالاً لرجالها القادمين اليه لانها انتبهت الى كثرة عددهم. واردف ذلك بهذا الفكر البديع «انقص الله عدد من يصل اليه على ظهور الناس واعناقهم ملوثاً بدماءهم وزاد في عدد من يبلغه حاملاً علم الفضل والرفق والانسانية» ولعل هذه العبارة ابلغ ما في الكتاب

اما حكم المؤلف على الفرنسويين واخلاقهم وتاريخهم الحديث منذ الثورة فقد دلّ على انه ممن لا يحبونهم وكثيرًا ما كان في كلامه تحامل عليهم . وقد ظلم معرضهم باستصغاره ونسبة الفشل والخسارة اليه

نكتة

« والاعجب من كل ذلك ان من النساء من يتخذن مراحيض في معاطف الطرق وفي بهوات نفس المعرض العام ويدعون اصحاب الحاجة اليها ببدل معلوم قدره عشرون سنتمًا فاذا نهض الطالب دون قضاء الحاجة لامساك عارض وهمّ بالخروج من باب الكنيف ثم احس وجلس ثانيةً على المقعد تقاضته اجرة مرتين فان ابان العذر علت وجهها صفرة السماجة لا حمرة الخجل وزودته باشنع الالفاظ — حكايةٌ كنت لا اثبتها لولا النكتة فيها » اما نحن فقد اثبتناها لنقول بانه كان الاولى بحضرة المؤلف ان لا يثبتها

كتاب عربي

ولما زار مكتبة باريز الكبرى عثر على كتاب عربي مفتوح على المحفظة بين الكتب المجموعة في القرن الرابع عشر فقرأ في صفحته اليمنى هذه العبارة « انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله لم يبقَ صافٍ ولا مصافٍ ولا معين ولا مُعين وفي المساوي بدا التساوي فلا امين ولا يمين » وفي الصفحة اليسرى « مني النفس وعديها واجمي الرقاع وعدّيها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع قد غالت رقعة من الرقاع فقال تعسًا لك يا لكاع » وفي هذا الكتاب رسوم ملونة تمثل رجالاً وفرسانًا من الاسلام . ومن الاسف ان المؤلف لم يخبر عن اسم الكتاب

المعرض الروسي

« وظننت قبل الدخول اليه انني لا اجد فيه شيئًا يستحسن لما نقرأه في صحف القوم وعلى الخصوص صحف الانكليز من تاخرها في الصنائع وفي كل شيء حسن فاذا به من مصنوعات البلور والاجواخ والفرو واطقمة الخيل ما تفضل بها على الاكثر مصنوعات الممالك الا فرنسا وفيه رايت الخريطة التي اهداها قيصرها الى بلدية باريس وهي بقدر الزراع مربعًا حوت رسم مملكة فرنسا وكل اقليم بجوهرٍ كريم غير ما ترصع به الاقليم الآخر من ياقوت والماس وزبرجد وعقيق الخ وتلبس ما حولها وما فيها من البحور باللازورد الازرق مكتوبًا عليها اسم كل اقليم بحروف من ذهب . هدية سنية كلفت خزانة القيصر مليونًا ونصف مليون من الفرنكات »

مصر في فرساليا

« ورايت على جدران احدى المخادع في قصور فرساليا صور ستة رجال من علماء مصر وكبرائها منها واحدة لعالم من عائلة السادات الوفائية واخرى للمعلم جرجس الجوهري واخرى للشيخ الشرقاوي

راي الفرنسويين في حكومتهم

« واعجب من هذا اني وجدت في من حادثته من ساقة المركبات الماماً بسياسة البلاد فمنهم من اجابني على سوءالي عما يراه في حالة الحكومة بقوله « اني لا احب هذه الحكومة لانه يتولاها رجال لاهمَّ لهم غير الشهرة » وسالت آخر فقال « ان رئيس الجمهورية محالف لليهود » وثالثاً قال « ان الراي لاصلاح الحكومة انما قاله مسيو دروليد المنفي الآن في اسبانيا » فقلت له وما رايه قال « اذا لم يكن الرئيس منتخباً بالصوت العام فلا شرع في الامة » ورابعاً قال « انا كنا قبل سنة ١٨٧٠ تحت حكم يلوح عليه صبغة الاستبداد فاصبحنا منذ ذلك التاريخ تحت حكم اللصوص » وخامساً قال « لقد بعد عنا عهد الحكم الملكي المطلق حتى امسينا لا نعرف شيئاً كثيراً عنه غير ما نقراه في المؤلفات المتضاربة بحسب اهواء كتبتها . لكن الحكومة الامبراطورية لقرب عهدها منا ما برحنا نذكرها بالخير ونظنها احسن حكومة تناسب بلادنا »

نقول ولكن الاعجب منه ان لا يكون بين هؤلاء الخمسة واحد راضياً عن الحكومة الحاضرة

خيول باريز

« اني لم ارَ فرساً مركوباً او جاراً مركبة الا وقد بُتر ذنبه كانه عضوٌ اخطات الطبيعة في وضعه في اقفية الخيل او ان راكبه يقوم مقام الذنب في دفع اذى الذباب عنه حتى خشيت مع الاستمرار على البتران تاتي مواليده بحسب ناموس الوراثة المكتسبة مبتورة الذنب ويصبح الذنب للفرس كما اصبح على رأي داروين للانسان عضواً اثرياً . غير اني مدحت من اصحاب الخيول اعتناءهم بها لاني لم ارَ حيواناً مركوباً او يجر مركبة الا وهو قوي ممتلئ الجسم لا كالحيونات الخاوية البطون الهزيلة المشدودة من الصباح الى المساء بين طرابلس واسكلتها »

عملية خياط

« ولما اصبح السادس والعشرون من الشهر ذهبت الى حانوت خياط كنت بالامس فصلت

عنده ثياباً فلما البسنيها للتجربة تباعد عني قليلاً ثم دار حولي ثم تقرب مني ببطءٍ واخذ يرفع يدًا وينزل اخرى وينهض راسي ثم يطاطئه ويشكل دبوساً وينزع آخر حتى كدت ازهق كما ازهق روحي عند التفصيل فانه وضع زاوية تحت ابطي وجيباً هندسياً فوق صلبي ثم اخذ بالقياس وصار يمر القياس والادوات المذكورة على العضو الواحد طولاً وعرضاً فقد قاس بين الرسغ والكعب وبين الركبة والفخذ وبين الكتف والذراع لا اقل من عشر مرات وانا واقف صابر حتى اذا انتهى من عملية التشريح على الوجه المشروح سالته وما الداعي الى كل هذا العمل الشاق فاجابني فورًا ان لم يكن كذلك فباي شيءٍ تفضل باريس غيرها»

المسلة المصرية

«ومررت بساحة الكونكورد وكنت قبل اليوم طرقتها مرارًا دون ان تناجيني المسلة المصرية الواقفة في منتصفها وهي المنقولة من مصر اليها سنة ١٨٣٦ كما ناجتني الان بلسان حالها تسالني وكانها علمت بمجيئي من ارض ابآئها عن حال اخواتها الباقيات في تلك الديار وتقول هل علمنَ اني احضرتُ ذليلة الى هذا الموقف واني ما برحت باكية على اغترابي شاكية من ظلم التمدن الحالي كيف اباح اختطافي واستئساري وقد تظاهر بمنع الاختطاف والاسر. او ليس في استعباد الاثر والمتاع ما في استعباد النفس من المغبة والظلم لها. فاطرقت ولسان حالي يقول. ما دام لك عمرٌ يطاول الاجيال لا بد من يوم تاتيك صروفه بما يفرج عنك وينسيك الغربة. اما انا فلست بالباقي الى حين الصيحة الكبرى وتبدل الاحوال»

سواد لندن

«وقد شاهدت اثناء جولاني في شوارع لندن ان كل ظواهر بناياتها وجدرانها مدهونة بلون اسود قاتم فسألت وما السبب لاختيارهم هذا اللون على غيره من الالوان الزاهية اجبت انه لم يكن عن قصدٍ بل جاءهم عفوًا وكرماً من الدخان المتصاعد ليلاً ونهارًا من مداخن المعامل ومطابخ بلدٍ حوت من السكان ما ناهز الستة ملايين نفساً ثم انتبهت الى يديَّ وعنقي واكمام قميصي فوجدتها قد صبغت بالدهان الفاحم كما صبغ بصاقي وما حواه المعطس»

احترام النساء في اوربا

«ان الشيءَ الوحيد الذي تُعاب به هذه البلاد انما هو تغالي اهلها في تسويد النساء على الرجال ليس من جهة وجوب احترامهن وتقديم السجدة لهن في البيوت والمحافل والشوارع والممرّات وسكك الحديد والسفن والسلالم (كنت اكشف راسي من اول السلم خينة

ان تفاجئني سيدة فيها واكون غافلاً عن كشفه لعدم اعتيادي كشف الراس) وتقديمهن على الرجال في كل محفل وطرد واهانة من يتجاسر على التدخين بحضرتهنّ بل فيما اعطينه من السيادة العلياء والسطوة الشماء على الحكام والحكومة وقد سمعت باذني من اولي الوقوف والادراك ان المراة في باريز اذا وقفت او وقف ظلها في طريق حق ضاع ذلك الحق على صاحبه واذا لطمت رجلاً على قارعة الطريق او داست عنقه وابدى ادنى شكوى او تأفف من فعلها رجمه القوم برجومٍ من السباب والتعيير كأن المراة معبود لا يُسأل عما يفعل ولهذا تراهنّ آمنات في عروشهنّ حاميات ذمار بعولهنّ واقاربهنّ متكئات على وسائدهن كأنهن عند انفاذ اغراضهن لم يحركن خنصرًا او ماشياتٍ في الشوارع مشية الطاؤوس بخترة وريشًا وبرقشةً فويل لمن لا يوسع لهنّ طريقًا عند الاصطكاك او يدوس لاذيالهن ذَنبًا في المجامع المزدحمة والمراقص الحافلة . هذا وهنّ عزلٌ من سلاح حق اعطاء الراي في الانتخابات العمومية فكيف بهنّ اذا اعطينه »

نيل مصر في الفاتيكان

« ورايت في غير حجرة في متحف الفاتيكان تمثالاً لنهر النيل جسيمًا ماتحيًا عليه من علامات الشيخوخة الغضون ومن الشبيبة غضاضة العضل ضجيعًا مسنود الراس على وسادةٍ وعلى جسمه ستة عشر طفلاً عراة مثله منهم من هو واقف على مساواة سطح فراشه ومنهم من يتسلق فخذه ومنهم من صعد الى صدره ومنهم الى عنقه وآخرون الى لحيته وآخرهم الى قمة راسه مادًّا يده اشارة الى معنى كفى . فهذا التمثال واطفاله الستة عشر كناية عن النيل وعن زيادته تدريجًا والواقف على هامه رمزٌ عن وصول زيادته لحد الطغيان »

زيارة البطريرك المسكوني . والانتخاب الانطاكي

وفي اليوم الرابع من يوليو وصل الى الاستانة فزار فيها عمود قيصر واضرحة السلاطين والمسلة المصرية والحية النحاسية ومعرض التماثيل الشمعية الذي تمثل فيه ازياء الجنود العثمانية واسلحتهم وجامع السلطان احمد وجامع آجيا صوفيا الكبير وقد اسهب في وصفها . وفي صباح اليوم السادس منه قصد حي الفنار لزيارة البطريرك المسكوني صاحب الغبطة قسطنطين الرابع الذي استقال حديثًا « فرايته ربع القوام صبيح الوجه وضاحه حنطي اللون خالطه الشيب كانه في آخر درجات الكهولة . وهو انيس المحاضرة يحسن التكلم بالافرنسية » وقد دار بينهما حديث طويل عن الانتخاب الانطاكي فاعترض غبطته على صحة الانتخاب وقال له ان ارثوذكس سوريا الذين يطلبون لانفسهم بطريركًا عربيًا « ليسوا باعراب من

البلاد العربية بل هم من ارومة يونانية تعلموا العربية عقيب الفتح الاسلامي لا كما يدعي الآن بعض محازبيهم » فقال الزائر كما ورد في كتابه « ان الاولى بنزاهتكم وغيرتكم على الملة في اي يد كانت ازمتها ان تتفضلوا بمعاودة الصلة الروحية مع بطريركنا الجديد كيما لا يقال ان البعض لبولس والآخر لا بلوس » فاجاب « ان من احب الاشياء عندي ان اسمع عن تمتع جميع الكنائس بالراحة والهناء وارتباط اعضائها برباط الحب الصادق والوئام لكن قد يسوؤني ما يبلغني من حين الى حين من اخبار الهرج والتقاطع والتضاغن والتخاصم الواقع بين اعضاء ابرشيتكم الطرابلسية دون اكثر ابرشيات الكرسي الانطاكي نفسه فلو صرف مطرانكم الموصوف بالفضل والتقوى جهدًا في ملافاة هذا الخلل المعيب يساوي نصف ما صرفه في المسالة البطريركية كما بلغني لكان قام بخدمةٍ لرب الكنيسة ولرعيته يُثاب عليها يوم يُسأل كل راعٍ عن رعيته ولكان قدّم بخورًا ذكي الرائحة امام العرش الالهي . وليته علم او يعلم ان التاريخ والناس اجمع لا يثبتون الفضل والحكمة لمن يتصدى للقيام بمشروع كبير او يتجشم ادارة مملكة و يكون مهملاً ومتراخيًا عن ادارة بيته . فالتمستُ اذ ذاك عن نيافة راعينا اعذارًا بكثرة مهامه واشغاله وافتتان رعيته وتعاقب غيابه عن كرسيه . قال اجلْ ما المحتُ فيك من الاخلاص والتنكب عن المداهنة ان تلتمس عذرًا لقصوره في اهم ما يجب عليه بمثل كثرة اشغاله وافتتان رعيته وتعاقب اسفاره لان الرئيس الفاضل يقدّم الاهم على المهم ولا يُعد فاضلاً ما لم يمهد جبالاً من العثرات و يغلب ابليس في قومه . ثم انصرفنا نثني على لطفه ودعته و بلاغة عبارته »

هذا ما راينا تلخيصه من هذا الكتاب . على انه يحتوي هنا وهناك كثيرًا من الملاحظات والافكار التي يجدر الالتفات اليها . منها قوله عن وضع تمثال للوزير ديزرئيلي بازاء كنيسة وستمنستر « فاجلت امة تضع تمثالاً في كنائسها و بين آثار ملوكها وتماثيل عظمائها لرجل نبغ فيها من ارومة يهودية وقد مات مشكوكاً بنصرانيته » وقوله في لندن « لم ارَ في الامكنة التي زرتها اثرًا للبعوض والبق والبراغيث والذباب حتى كدت احكم ان هذه الاحياء ليست من قاطني تلك الاصقاع وطوبتُ بلادًا بلغت فيها النظافة ان تفني احياء خُلقت منذ الازل لتكون عقابًا للانسان على الاقذار والوساخة » وقوله عن الايطاليين « فوجدت اهل مراتب الدنيا منهم اقل احتلابًا لجيوب الاغراب واكثر حياء في استدرار الايدي من جيرانهم الفرنسويين » وفي الصفحة ١٣١ كلام عن التنازع بين

العمل والمال والمذاهب السياسية والاشتراكية يدل على ان كاتبه من حزب اصحاب الاموال الراضين عن الحالة الحاضرة كل الرضى . وقوله عن اخلاق الاتراك « هم قوم يلينون لكل كلام لطيف ولو كانوا في اشد حالات الغيظ و يكرمون النزيل والجار ولا يانفون من تحية الغريب و يغضون الطرف عن هفوات لا يغض عنها غيرهم من الامم الا اذا كان لها مسيس في الشان الوطني » وقوله عن توقيت مواعيد الطعام في انكلترا « وخرجت باكرًا من حجرتي كي اتناول طعام الصباح كأن المعدة في انكلترا غيرها فيما سواها تراقب مواقيت الطعام مراقبة المشوق المستهام » وغير ذلك كثير

هذا ولا يؤخذ على المؤلف بعض هفوات او اصطلاحات في كتابه مثل كتابته (نوترضام) مكان (نوتردام) و (مضام) مكان (مدام) و (غائر) بدل مغير و (الملي) بدل (الوطني) — لان الملة شيء والوطن شيء آخر وهذا امر نعرفه جيدًا في الشرق — وكقوله التغالي بدلاً من المغالاة . وغير ذلك . فان الكتّاب انفسهم كثيرًا ما يسقطون في مثل هذه الهنات . ولم يكن يُطلب من سائح دقيق النظر ليست صناعته الكتابة الالتفات اليها ولكن الى ما وراءها من الفوائد والافكار الحسنة وعوائد القوم . وقد جاءنا بكثير من هذه الافكار والعوائد والفوائد وان كان بعضها لا يسلم من التحيز والاعتلال . فنثني على همته وفضله خير ثناء ونرجو ان يكثر الله امثاله بيننا من الاغنياء

وقد نظم حضرة العلامة المفضال صاحب الفضيلة الشيخ حسين الجسر من اكابر علماء طرابلس الشام بيتين شائقين قرظ بهما رحلة صديقه النسيم وهذا نصهما

قالوا نسيم اللطف حرر رحلةً اهدى بها للشرق عرف المغربِ
لا تعجبوا ان النسيم اذا سرى اهدى سراه كل عرفٍ طيبِ

المسلمون في بلاد الصين

﴿ وارسال وفد ديني اليهم ﴾

الاسلام في الصين· ثورة اسلامية كادت تثل عرش الصين منذ ٣٠ سنة · ترجمة زعيمها
وهو امام مسلم في الصين عالي الهمة يجهله المسلمون · لولا اختلاف المسلمين لكانت
الصين الآن سلطنة اسلامية ·قصة للمسعودي عن الصين

للمسلمين في الصين تاريخ كبير راينا ان نقصه على القراء بمناسبة ارسال الخلافة الاسلامية وفداً دينياً اليهم· وقد وصفناه « بكبير » لان حوادثه بلغت من الكبر والاهمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما كاد يقضي على الصين ويملك المسلمين ناصيتها · ولو تم هذا الامر لتجدد شباب تلك الدولة القديمة الضخمة ولما كانت حيث هي من اوروبا اليوم · ولبيان ذلك نقول

﴿ الاسلام في الصين ﴾ ان الاسلام دخل الى الصين مع تجار العرب والفرس الذين كانوا يترددون على الثغور الصينية منذ صدر الاسلام · وما برحت التجارة قبل ذلك العهد وبعده سبيلاً لنشر تمدن البشر واديانهم وعاداتهم · وكان العرب يسمون ملك الصين « فغفور » وهي كلمة مشتقة من كلمة « بغفور » الفارسية ومعناها « ابن الله » اي ابن السماء كما يسمون امبراطور الصين اليوم · وقال المسعودي في تاريخه مروج الذهب ان العامة كانت تسميه « يعبور » وتفسير ذلك ابن ماء السماء · والاول هو الاصح · وقد كتب عن الصين المسعودي وابو الفداء وابن بطوطة الرحالة الشهير الذي يقول انه ساح فيها في ذلك العهد وغيرهم من كتاب العرب اموراً بعضها صحيح وبعضها غير صحيح وربما اشرنا الى شيء منها في ختام هذا الفصل

الا ان سير الاسلام في الصين كان بطيئاً لاول عهده واستمر كذلك حتى وفاة «جنكيزخان» الفاتح التتري فحل الاسلام محل البوذية في جهات دجاجاتي ثم قامت على تخت فارس دولة اسلامية في اواسط القرن السابع عشر فبدأ النزاع يومئذ بين الاسلام والوثنية فحارب ملك الفرس واحفاده ملوك الصين من عام ١٧٥٥ الى عام ١٨٢٨ فانتشر الاسلام في اثناء هذه المدة في اطراف الصين انتشاراً عظيماً

﴿ الثورة الكبرى ﴾ ولما انتصف القرن التاسع عشر كان المسلمون منتشرين في جميع الاقطار الصينية غير انه كان لهم اقليمان خاصان بهم لكثرة عددهم فيهما وهما اقليم يونان

واقليم تيينشان · ففي عام ١٨٥٥ كان مسلمو يونان والصينيون مواطنوهم مكبين على استخراج الرصاص والكبريت من معادن في اراض واقعة على مسافة خمسة ايام من « تاليفو » وكانوا جميعاً في احسن حال من السعة والغنى · غير انه لما كان الصينيون اقل نشاطاً وتدبيراً من المسلمين فقد افضى الامر الى غنى هؤلاء واضاعة اولئك كل مكاسبهم فاصبح المسلمون في نعمة وخير بسبب اجتهادهم واقتصادهم وكادت تتم لهم ملكية جميع تلك المعادن فحسدهم الصينيون وهم مشهورون بالحسد والطمع فجاؤهم افواجاً افواجاً وطلبوا منهم ان يشغلوهم في معادنهم فرفض المسلمون ذلك فهجم عليهم الصينيون فتضارب الفريقان تضارباً افضى الى قتل بعض من الجانبين ولكن المسلمين تمكنوا من رد الصينيين عنهم وهزيمتهم · وكان هنالك حاكم صيني فخاف على نفسه من هذه الفتنة ففر الى مدينة يونانفو عاصمة يونان وكتب تقريراً القى فيه تبعة الحادثة على المسلمين دون سواهم فاخذ المسلمون يتحصنون في معادنهم واماكنهم وقد احسنوا في ذلك لان الصينيين لم يلبثوا ان اعادوا الكرة عليهم بعدد عظيم من رجالهم وهاجموهم حتى الى قراهم ومزارعهم وذبحوا كل من وصلت اليه ايديهم من النساء والرجال والاولاد المسلمين · فتداخل حكام الجهات بعد هذه المذبحة واخمدوا ثائر الفتنة وسكنوا خواطر المسلمين وما درى المسلمون ان هذا التسكين خديعة ارادوا بها ذر الرماد في عيونهم ليغمضوها عما كانوا يعدونه لهم

وبيان ذلك انه كان في وزارة الحربية رجل يدعى هنغ تشنغ وهو وكيل الوزير وكان هذا الرجل شديد البغض للمسلمين فسعى في السر ودبر مؤامرة عليهم اي احداث مذبحة عامة فيهم افناء لقوتهم واضعافاً لعصبيتهم · وكان موعد المذبحة السري يوم ١٩ مايو من عام ١٨٥٦ · فلما حان هذا الميعاد هاجم الصينيون المسلمين في مدن (يونان) وقراها ولكن المسلمين كانوا قد دروا بالمؤامرة من حسن الحظ فلم يُقتل منهم غير نفر قليل · فقاموا بعد هذه الحادثة الى القتال وتحصين مراكزهم بزعامة امام لهم يُدعى (ما تحسين) وكان شيخاً في الخامسة والستين من العمر

﴿ ترجمة امامهم ما تحسين ﴾ واذا ذكرنا امامهم (ما تحسين) فنحن نذكر رجلاً عالي الهمة كان معروفاً في الاستانة ومصر لانه زارها منذ سنين · وقد ولد هذا الرجل قريباً من بلدة تالي في الصين وكان ابوه تاجراً فادخله الى مدرسة صينية لتعليمه اللغة الصينية وشيئاً من آدابها ثم نقله منها الى احد جوامع البلاد لتعليمه اللغة العربية وآداب الدين الاسلامي · فلما اخذ شيئاً من ذلك سار في قافلة من القوافل العديدة

التي تتراوح بين برمانيا و يونان فوصل الى رنجون وهو ثغر من ثغور برمانيا قرب مصب نهر (ايرودي) فنزل في احدى السفن التي تقل الحجاج الى الحجاز قاصداً الحج الى مكة المكرمة . وكان ذلك في عام ١٨٣٩

فلما وصل الى مكة اقام فيها طويلاً فاتم درس اللغة العربية ثم قدم الى مصر فاقام في الاسكندرية والعاصمة مدة وطاف كثيراً من بلدان القطر ثم سافر الى الاستانة مركز الخلافة الاسلامية فاقام فيها سنتين . وقد احسنوا استقباله في الاستانة واكرموا وفادته . ولكن المال الذي كان معه لم يلبث ان نفد منه في هذه السياحة الطويلة فرأى نفسه مضطراً للعودة الى بلاده فسافر من الاستانة الى الاسكندرية فاقام فيها مدة ثم سافر منها الى سنغابور ومكث هنالك سنة تامة ليتحقق امراً ذكره له « احد الفلكيين » في الاستانة وهو ان الايام في سنغابور متساوية على مدى السنة

و بعد هذه الغيبة الطويلة عاد الى وطنه عن طريق نهر كنتون وذلك في عام ١٨٤٦ فكانت مدة سياحته سبع سنوات

وكان ما تحسين نبيهاً محبوباً منذ صغره فلما اتمّ دروسه في مدارس الصين صار المسلمون فيها يجلونه و يكرمونه . ولكنه لما برح الصين قاصداً بلاد الحجاز ثم عاد اليهم واسع الصدر بما وعاه في اثناء سياحته ممتلىء اليدين بما عاد به من آثار المدنية الحديثة ومصنوعاتها فضلاً عن بركة الحج التي تكون للحجاج العائدين الى بلادهم لا سيما اذا كانت هذه البلاد بعيدة وقلما يحج سكانها — بالغوا في اكرامه واجلاله وجعلوه اكبر ائمتهم . فاقام ما تحسين يحسن اليهم و يدبر شؤونهم حتى فاجأته تلك الفتنة

فبعد المكيدة التي تقدم ان الصينيين كادوها له ولقومه جمع رجاله وكان عددهم عشرين الفاً فقدم عليهم رجلين شديدي البأس عالمين بفنون القتال . الاول يدعى (توونسيو) وهو اديب من ادباء المسلمين الصينيين الحائزين للشهادة العلمية وذو مكانة لديهم . والثاني يدعى (ما حسين) وهو رجل كبير الهمة وقد قتل اخوه في الفتنة الاولى التي حدثت في المعادن . ثم ان المسلمين قسموا جيشهم واغاروا على الصينيين فما جاءت سنة ١٨٦٠ الا وكانوا متغلبين عليهم في كل الجهات التي هاجموهم فيها . وقد استولوا على يونانفو عاصمة اقليم يونان منذ الهجمة الاولى

فلما رأى حكام الصين ذلك ذعروا وسالوهم الصلح بناءً على ان يعين (ما تحسين) حاكماً عاماً لاقليم يونان ويُمنح القائد (ما حسين) لقب جنرال و يولى قيادة فيلق صيني . فانقسم

هنا جيش المسلمين انقساماً اليماً . فان الامام والقائد ما حسين رضيا بالصلح ولكن القائد (توونسيو) رفض المصالحة واصرّ على القتال فتركه القائدان الاولان وشانه وصالحوا الصينيين واستمر (توونسيو) يقاتلهم وحده

وقد اجمع مؤرخو هذه الحركة على انه لو اقام الامام ما تحسين والقائدان ما حسين وتوونسيو على مقاتلة الصينيين واستمروا على مطاردتهم لقلبوا العرش الصيني واقاموا مكانه عرشاً اسلامياً . ويقول بعضهم ان الامام ماتحسين والقائد ماحسين طمعا يومئذ في الرئاسة فاختارا الصلح ولو اضرّ الصلح في اخوانهم الذين لم يصالحوا بتجزئة قوتهم واضعاف عضدهم . ولكن يلوح لنا ان الامام ما تحسين لم يرضَ بالصلح لهذا السبب فقط . فانه كان رجلاً عاقلاً عليماً بما وراء الصين الضخمة من القوة الهائلة اذ لم تكن اليابان قد فضحت الصين بعدُ وأرت العالم بحربها الاخيرة مبلغ ضعفها مع ضخامة جثتها ولذلك أعظم الامام ماتحسين الاقدام على فتح الصين كلها بعشرين الف من الرجال ورضي بصلح شريف نافع

اما القائد (توونسيو) فانه استمر مع جيشه على مقاتلة الصينيين فسمى نفسه « سلطاناً » واتخذ مدينة تاي عاصمة لملكه . وكان القائد ماحسين قد غير اسمه ودُعي (ماجولونغ) وولي قيادة فيلق صيني فحاربه (توونسيو) وهزمه . ومن الاسف ان يحارب الاخ اخاه . ثم كرّ توونسيو على جيوش الصين فهزم بعضها وحده وحصر يونانفو عاصمة اقليم يونان

وكان في هذه العاصمة الامام ما تحسين والقائد ما حسين وقد جُرح هذا في اثناء المعركة التي انهزم فيها فبذل توونسيو قصارى جهده ليستميلها اليه فذهب سعيه عبثاً . فسالهما بما بينهما من صلة الدين ان يساعداه على الاقل على فتح المدينة وذلك بتسليمها اليه لانها كانت في ايديها فرفضا ذلك من امانتهما للسلطة الصينية . فاقام توونسيو على حصرها وقتاً طويلاً ومما اطال مدة الحصار اشتغال الجنود الصينية بخوارج من قبائل المياوتسو والميانتسو كانت قد خرجت على الصين

ولما طال الحصار كثيراً تعب الجيش الحاصر وبدا اضطرابه واستياؤه فاضطر قائده توونسيو ان يعود به الى تالي عاصمته فطارده الصينيون اليها وحصروها ففتحوها في ١٥ يناير من عام ١٨٧٣ وامعنوا في اهلها قتلاً ونهباً . اما القائد توونسيو فانه تجرع السم قبل دخولهم اليها . وبذلك انتهت الفتنة وعادت البلاد الى الصينيين

﴿ الثورة الصغرى ﴾ هذه هي تفاصيل الثورة الكبرى باختصار . واما الثورة الصغرى فهذا تفصيلها

كان في تشكند على حدود الروس في آسيا الصغرى رجل يُدعى « يعقوب بك »
وقد ولد هذا الرجل في تلك الجهات وتعلم فنون القتال في وقائعه مع الروس لانه كان ذا
يدٍ في كل الاضطرابات والقلاقل التي حدثت في اواسط آسيا . ولما اتصل هذا الرجل
بالامير بورزوق خان زين له ان يستولي على ولاية كشغار في جدود الصين مما يلي
افغانستان لانها كانت في فوضى واضطراب فهاجمها الامير في عام ١٨٦٣ واستولى عليها .
ولكن بورزوق خان كان رجلاً ضعيف العزم والراي خلافاً ليعقوب بك الذي كان كبير
الاماني والآمال فقام عليه يعقوب بك ونفاه وقبض على ازمة الامارة مكانه . وكانت امارته
واسعة الاطراف فحسده الصينيون وادعوا ملكية اراضي كشغار البعيدة عنهم مع انهم لا
يدعون بسوى السيادة على اراضي كوريا وانام القريبة منهم والتي هي جزء من بلادهم .
ومما زاد حقدهم عليه انهم رأوه قد اغتنم فرصة الفتنة الاسلامية وانشأ لنفسه تلك الامارة
الواسعة فانتظروا حتى فرغوا من ثورة يونان على ما تقدم وساقوا عليه جيشاً ضخماً

وكان يعقوب بك الذي تلقب بعد الامارة « يعقوب خان » مهدداً من جانبين : من
جانب الصين ومن جانب الروس . فاخذ يطلب حلفاء تشد ازره . فكتب الى الاستانة
يبايع الخليفة ويستعينه وكانت الدولة يومئذ في مشاكل وقلاقل فلم تسمع له . ومن المؤرخين
من زعم ان الاستانة وعدته خيراً واذنت له بان يسمي نفسه « امير المؤمنين » وهو خطأ
يعرفه كل مسلم اذا جهله بعض مؤرخي الافرنج . ولما لم يجد له عوناً في الاستانة اتجه الى
انكلترا واستمدها على الصين وعلى روسيا . وكان من مصلحة انكلترا ان تحالفه ليكون لها
ردءاً وعوناً على روسيا اذا هاجمت الهند ولكنه كان بين كشغار والهند جبال كثيرة
تحول دون وصول جيش كشغار اليها ولذلك لم تعبأ انكلترا كثيراً بمصادقته . فاصبح
يعقوب خان ولا معين له غير جيشه القوي الذي نظمه على الطريقة الاوربية . ولكن هذا
الجيش مع قوته لم يثبت طويلاً امام جيش الصين فاستولى الصينيون على كشغار في
عام ١٨٧٧ وتوفي يعقوب خان قبيل ذلك من همه وحزنه

هذه هي خلاصة الحركة الاسلامية في الصين . ويقدر كتَّاب الافرنج المسلمين
في بلاد الصين بعشرين مليوناً وغيرهم يجعلهم ٣٠ او ٥٠ مليوناً . فاذا ارتبطوا بالخلافة
الاسلامية ارتباطاً وثيقاً صار لحكومة الاستانة شان كبير في الصين وكان لها تاثير في حل
المسالة الصينية يوم حلها

﴿ قصة للمسعودي عن الصين ﴾ وقد وعدنا في مقدمة هذا الفصل ان نذكر شيئاً

مما كتبه كتاب العرب عن الصين وانجازًا للوعد ننشر قصة للمسعودي عن سائح عربي وصل الى تلك الاقطار . ولا ننشرها لاننا نعتقد صحتها بل لتكون مثالاً لكتاباتهم في الجوغرافيا والتاريخ . قال المسعودي

«من ظرائف اخبار ملوك الصين ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود خرج الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو وكان الملك يومئذٍ بمدينة حمدان فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انه من اهل بيت نبوّة العرب فكتب ملك الصين الى الملك المقيم بخانقو يامره بالبحث عنه وعما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه فاذن له في الوصول اليه فلما وصل اليه قال له الملك فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال مالي بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعدُّ الملوك خمسة فاوسعهم ملكاً الذي يملك العراق لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملكاً وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك اسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا اطوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس . ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الانس . ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة ايضاً لان اصلها منهم . ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض اتمُّ خلقاً من رجاله ولا احسن وجوهاً منهم . فهولاء اعيان الملوك والباقون دونهم . ثم قال للترجمان قل له اتعرف صاحبك ان رايته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم ارد هذا وانما اردت صورته فقلت اجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجاً وقال للترجمان اره صاحبه فرايت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسالني فقلت اصلي على الانبياء فقال ومن اين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم . هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه . فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما اخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى ارضنا ان كان خبركم صحيحاً فعن هذه القطعة . ونحن معاشر اهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم لا نعرف ما ذكرتم ولا نقل الينا اسلافنا ما وصفتم . وما ذكرت من

ركوب الماء الارض كلها فمن الكوائن العظام التي تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم ناقلة له . قال القرشي فبهت الرد عليه واقامة الحجة لعلي بدفعه ذلك. ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم و بنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى ابن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان امده يزيد على ثلاثين شهرًا شيئًا يسيرًا. قال ثم رايت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل واصحابه محدقون به في ارجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت. فقال للترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه اجلّ الممالك الا انه لم يعاين من الملك شيئًا انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه. ثم سالني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلم منها. ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها و بعض يقول اكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكاً كثيرًا ووزيره ايضًا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم قال هذا فذللت وقلت بلى هو قال ذلك فرايت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل . ثم قال لي لم عدلت عن ملكك وهو اقرب اليك دارًا ومنسبًا قلت بما حدث على البصرة ووقوعي الى سيراف ونزعت بي همتي الى ملكك ايها الملك فسره ذلك وامر لي بجائزة سنية وخلع شريفة وامر بحملي على البريد الى مدينة خانقو وكتب الى ملكها باكرامي وقدومي على من في ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجي عنه فكنت في اخصب عيش وانعمه الى ان خرجت من بلاد الصين » انتهت قصة المسعودي باختصار

مصر القديمة وآثارها

(المسلات المصرية)

مهاجرة ابناء مصر ومهاجرة آثارها · كيف كان المصريون يصنعون المسلات · طريقة نقل مسلة سيزوستريس من الاقصر الى باريز · نقل مسلة كليوبتره من الاسكندرية الى لندن · المسلات والتمدن القديم والحديث

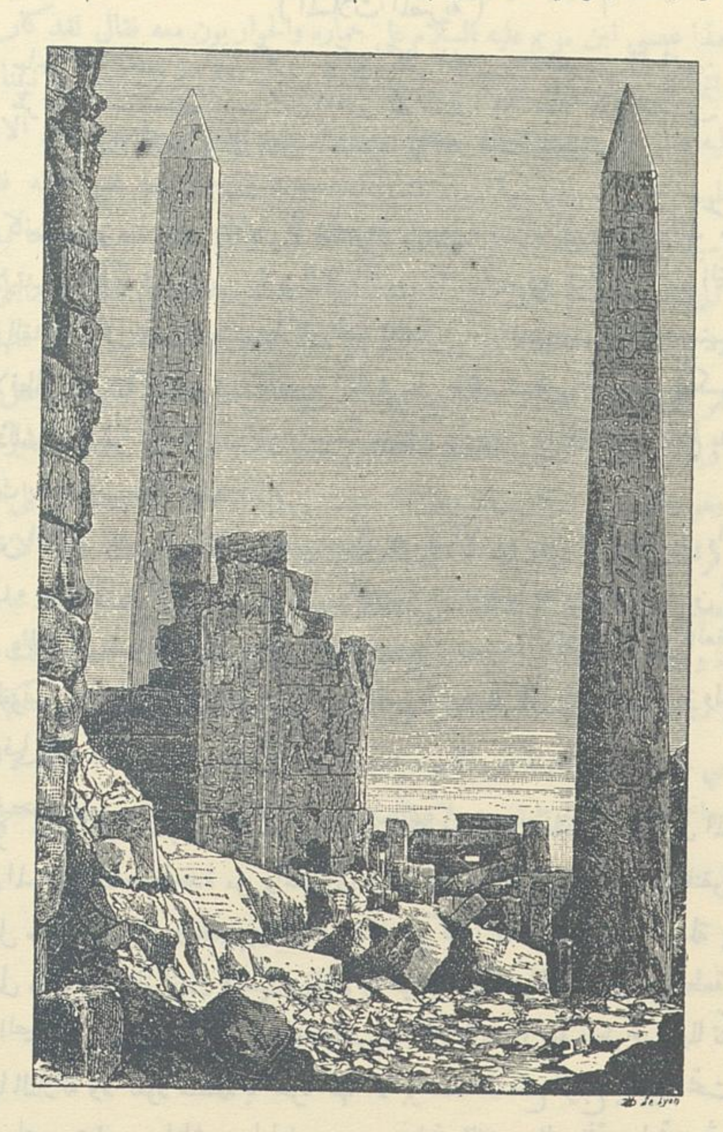
لو كانت مصر يهاجرها ابناؤها كما تهاجرها آثارها لاستفاد المصريون فوائد كثيرة · فانك لا تدخل متحفاً في بلد من بلاد العالم المتمدن الا وتجد فيه شيئاً من آثار التمدن المصري القديم · وكل متحف خلا منها كان متحفاً ناقصاً · اما المصريون فقلما تجد منهم احداً في الاقطار البعيدة · فهم في ذلك مع آثارهم على طرفي نقيض · فليتهم يعكسون هذا الامر وذلك ان يبقوا آثارهم في بلادهم حرصاً عليها ويهاجروا هم الى اقطار العالم بدلاً منها فان ذلك يعود عليهم نفعاً مزدوجاً

ومن الآثار المصرية ما يهاجر مصر بسهولة فيحمله الاوروبيون في الصناديق والحقائب والجيوب ويعودون به فرحين مسرورين بالغنيمة · ومنها ما يعانون في نقله من المتاعب والمشاق والاهوال ما يدلنا على مبلغ اهميته لديهم · ومن هذا القبيل المشاق العظيمة التي عاناها الفرنسويون والانكليز في نقل المسلة المصرية ومسلة كليوبتره الى باريز ولندن كما سنقصه فيما يلي

✻ **كيف كان المصريون يصنعون المسلات** ✻ وقبل ذلك فلننظر كيف كان المصريون يصنعون المسلات قطعة واحدة من راسها الى قدمها وما هو الغرض من صنعها · فنقول

نقل مؤرخو اليونان والمصريين ان فراعنة مصر كانوا اذا ارادوا انشاء مسلة يرسلون عمالهم الى مقالع حجر الغرانيت في سيان (اصوان اليوم) فيخط هؤلاء العمال على قطعة واحدة من الصخر رسم المسلة ويأخذون بقطعها مربعة اي ذات اربعة سطوح · ولما تنكشف سطوحها الثلاثة ولا تعود متصلة بالصخرة امها الا بواسطة السطح الرابع ينقبون تحت هذا السطح ويأتون بقطع من الخشب والحطب ويزجونها في الثقوب التي يفتحونها تحته ثم يصبون ماء على الحطب والخشب فيتمدد الخشب والحطب عند تشربهما الماء فينفلق الصخر تحت المسلة بالتدريج من غير عنف ولا قوة فان العنف والقوة يضران بالمسلة · وهكذا حتى

ينفصل السطح الرابع عن الصخرة · فيجيء العمال حينئذ باغصان كثيرة ويبسطونها على الارض ثم يدحرجون المسلة عليها ويشدونها الى سرب من البقر وجماهير من البشر — لان البشر كانوا بمنزلة البقر في ذلك الزمان — ثم يسوقونها الى حيث يأمرهم الملك بنصبها ·



مسلتا سيزوستريس في خرائب الاقصر

(المسلة الباقية في الاقصر) (المسلة المنقولة الى باريز)

ولكنهم قبل نصبها ينحتونها ويصلحونها وينقشون عليها بالقلم الهيروغليفي (اللغة المصرية القديمة) الكتابات التي يريد الملك تخليدها . وهذه الكتابات ظاهرة على المسلتين في الرسم الموضوع في هذا الفصل

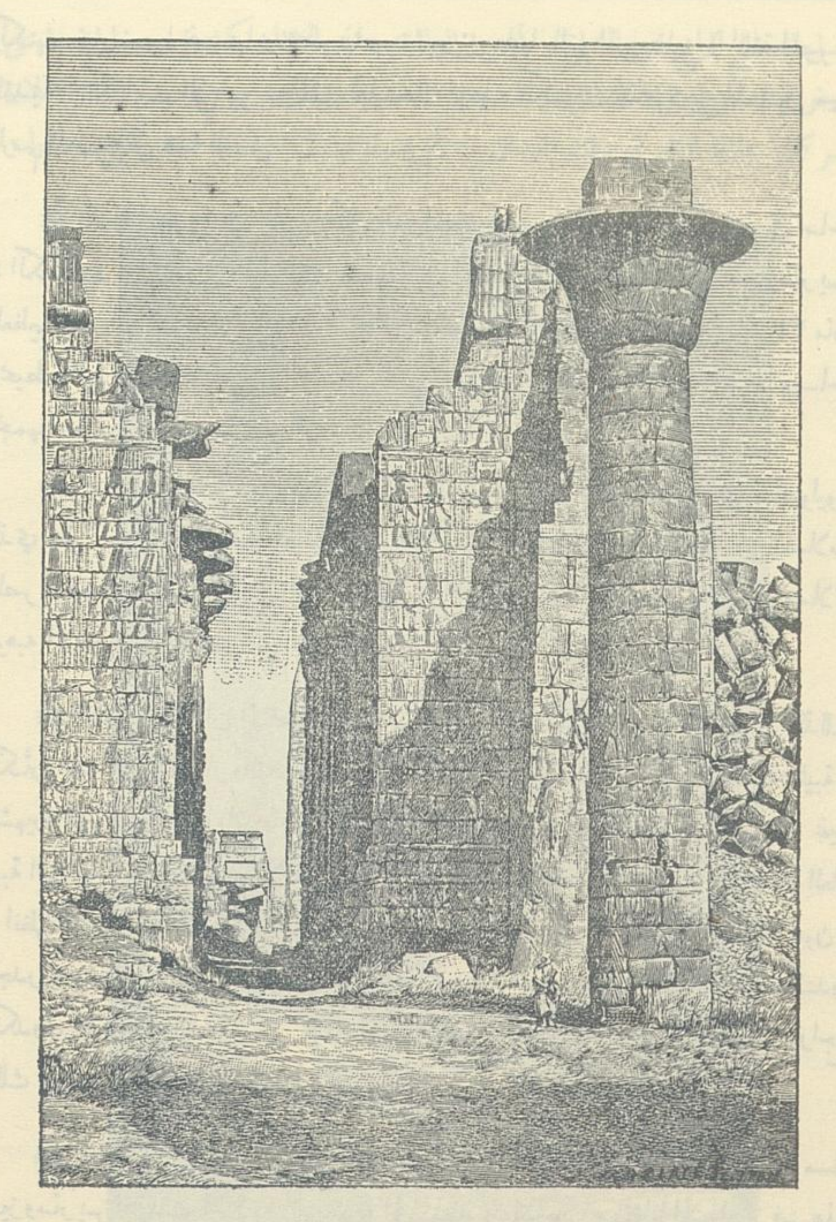
﴿ المسلة المصرية في باريز ﴾ اما المسلة المصرية المنصوبة الآن في ساحة « الكونكورد » في باريز فانها كانت منصوبة في الاقصر وقد نصبها هنالك سيزوستريس العظيم امام باب قصره تزييناً له (١) وهي متناهية في الضخامة . فان طولها يبلغ ٢٢ متراً ومحيط دائرة قاعدتها ٩ امتار و٧٠ سنتيمتراً وثقلها ٢٢٠ الفاً و٥٢٨ كيلو غراماً ومساحة حجمها ٨٠ متراً مكعباً من حجر الغرانيت

وقد ابتدأ امر نقلها في ايام الملك شارل العاشر . فان العالم الشهير المسيو شامبليون الذي حلَّ اسرار اللغة الهيروغليفية سأل هذا الملك ان يزين باريز بمسلة من المسلات المصرية فبعث الملك شارل في الحال يستوهب محمد علي باشا امير مصر مسلة من مسلاته فوهبه الامير مسلة الاقصر التي تقدم ذكرها

﴿ الاقصر ﴾ ان الاقصر كلمة عربية وهي جمع قصر " اقصر " وقد سميت كذلك لكثرة الهياكل والآثار والقصور القديمة القائمة هناك . وهذه الآثار بقية من مدينة " ثيبة " الشهيرة التي كان يسميها القدماء " ثيبة ذات المائة باب " لكثرة غناها واتساعها وهي غير ثيبة اليونانية . واشهر ما في الاقصر هيكلها العظيم الذي يقصده السياح من كل اقطار العالم (انظر الرسم) وقد بناه الملك امنوفيس الثالث منذ اكثر من ٣٠ قرناً اكراماً للاله عمون . وجدرانه مغطاة كما ترى بالصور والكتابات الهيروغليفية المصرية في جملتها اسم الاسكندر المكدوني الذي زار هذا الهيكل عند افتتاحه مصر وقدم فيه ذبيحة للاله عمون « راجع ذلك في العدد التاسع الصفحة ٤٩٨ »

﴿ كيف نُقلت المسلة الى باريز ﴾ ولما صدر امر محمد علي باشا باعطاء فرنسا مسلة سيزوستريس عهدت الحكومة الفرنسوية الى المهندس ليباس امر نقلها الى باريز فبنى هذا المهندس سفينة خصوصية سماها « الاقصر » وجعلها طويلة ضيقة ثم قدم بها الى مصر

(١) انظر رسم سيزوستريس في الصفحة ٥٠٢ السنة الاولى وقد نصب هذا الملك مسلتين امام باب قصره منذ اكثر من ٣٠ قرناً واحدة نقلت الى باريز والثانية باقية في مكانها في الاقصر



﴿ هيكل الاقصر المشهور ﴾

فالاقصر ومعه مامور من قبل محمد علي · وكانت الاثار المصرية مهملة في ذلك الزمان فكان الاهالي يبون « عششهم » واكواخهم بينها او قريبا منها · فاضطر المهندس ليباس ان يهدم بعض العشش التي كانت قائمة بازاء المسلة ويرضي اصحابها بشيء قليل من المال · ثم

بدأ العمل فاستاجر اربعمائة نفس من الرجال والنساء والاولاد لبناء السطح المائل الذي يجب انزال المسلة عليه الى النهر · وفيما هم يعملون في هذا البناء فشت الكوليرا بينهم واماتت منهم ١٥ رجلاً في يوم واحد · فاستمر المهندس مع ذلك في العمل حتى اتمه في ٢٤ اكتوبر من عام ١٨٣٢

وعند بزوغ صباح هذا اليوم انامو المسلة بحبال شدوها اليها فاجتمع لهذا العمل خلق كثير ثم حذفوها على السطح المائل الى شاطئ النيل ووضعوها على طوف من الخشب فحملها الطوف الى السفينة والسفينة اصعدتها اليها بقوة آلاتها الرافعة فوضعت فيها على طولها في المكان المخصص بها · ولكن مياه النيل كانت يومئذٍ منخفضة فانتظروا مياه النيل حتى ارتفعت في شهر يونيو فسافرت السفينة من الاقصر في ٢٨ منه متوسطة مجرى النيل والاهالي على جوانبه يغنون ويرقصون فدخلت البحر المتوسط في اول يناير من عام ١٨٣٣ ووصلت الى طولون في ١٠ مايو والى باريز في ٢٣ دسمبر فالقت مرساتها في نهر السين بازاء مجلس النواب · فتقرر نصب المسلة في ساحة « الكونكورد » في ٢٥ اكتوبر من عام ١٨٣٦

وكان الفرنسويون قد ثاروا في عام ١٨٣٠ على الملك شارل العاشر فخلعوه وبايعوا الملك لويس فيليب مكانه · فلما ازف ميعاد نصب المسلة قدم الملك والملكة الى ساحة الكونكورد وكان عدد المجتمعين فيها يومئذ اكثر من مائتي الف نفس · وكان المهندسون قد بنوا قاعدة للمسلة ونصبوا لها سواري وحبالاً واتوا بعشر آلات رافعة يعمل فيها اربعمائة جندي من جنود المدافع · وكانت الحبال المشدودة الى المسلة والآلات الرافعة تبلغ استدارتها ٩ سنتيمترات · فلما تم الاجتماع اشار المهندس ليباس اشارة فدوت اصوات الآلات الرافعة كالرعد ورفعت المسلة رأسها رويداً رويداً · ثم ارتفعت قاعدتها ووضعت على قاعدة البناء واستمر الرأس يرتفع حتى استوى منتصباً على القاعدة كالالف او كقامة الهيفاء

فخرج حينئذ من افواه الالوف المجتمعة هناك هتاف عظيم طبق السماء · وتقدم الملك من المهندس ليباس فاثنى على مهارته ومنحه وسام اللوجيون دونور من درجة الشفاليه وعينه مديراً لمتحف الشؤون البحرية بعد ان وزع ثلاثة آلاف فرنك على مساعديه · وقد بلغت نفقات نقل المسلة الى باريز مليوني فرنك ونصف واستغرق نقلها من يوم الشروع فيه الى ساعة اتمامه نحو ست سنوات

﴿ نقل مسلة كليوبتره الى لندن ﴾ وقد نقل الانكليز الى لندن مسلة كليوبتره

التي كانت منصوبة في الاسكندرية ويسميها الافرنج « ابرة كليوبتره » ولكن الاقدار عاكستهم في نقلها . فلان مهندسهم صنع لها من الحديد والخشب صندوقاً كبيراً على شكل سفينة سماه « كليوبتره » وجاء به الى الاسكندرية فوضع المسلة في داخله وجره الى البحر وكان ذلك في عام ١٨٧٧ . وعند نزول مسلة كليوبتره في البحر ضمن هذه السفينة الغريبة التي لم يسبق لها مثيل انشأوا فيها غرفة للبحارة وركَّبوا فيها سارية ثم نزل فيها ٥ من البحارة المالطيين وضابط انكليزي للسفر عليها . وفي ٢١ سبتمبر من عام ١٨٧٧ خرج هذا الصندوق من ثغر الاسكندرية تقطره باخرة انكليزية كبرى تُدعي « اولغا » فسارت به عشرين يوماً سيراً بطيئاً منتظماً دون ان تحدث حادثة له او لها. ولكنهما ما وصلتا الى خليج بيسكاي (اسبانيا) حتى هبت زوبعة هائلة فقلبت سفينة كليوبتره وتعاظمت الامواج حتى اضطر ربان الباخرة اولغا ان يقطع السلك الذي كان يربط المسلة بسفينته فانفصلت المسلة وذهبت على متن الامواج هي والبحارة التي فيها

ثم سكنت الزوبعة قليلاً فانزل ربان الباخرة الثاني زورقاً وركبه مع ٥ من البحارة لاغاثة رفاقهم الذين في سفينة المسلة . فما كادوا ينزلون الى الزورق حتى داهمتهم موجة كالجبل الشامخ فابتلعهم البحر ولم يبن لهم اثر بعد ذلك فذهبوا ضحية شجاعتهم وشهامتهم

ولما ركدت الريح طلبت الباخرة اولغا سفينة المسلة لانقاذ رجالها فصعد هؤلاء اليها فسافرت الباخرة اولغا بهم وقد تركت المسلة وشأنها في عرض البحار راضية من الغنيمة بالاياب . الا انه لم ينقض بضعة ايام على وصولها الى انكلترا حتى نشرت الجرائد تلغرافاً من فيكو في اسبانيا وفحواه ان الباخرة « فيتزموريس » اسرت سفينة كايوباتره في شمالي فرول وهي ترجو من الحكومة الانكليزية ان تسرع في تسلم هذا الصندوق الذي لا محل له بين بضائع الشركة ... فارسلت الحكومة الانكليزية سفينة انكليزية لجر صندوق المسلة الى لندن فعادت به السفينة في ٢٠ يناير من عام ١٨٧٨ وفي ذلك الشهر نصب الانكليز هذه المسلة على احد جسور نهر التيمس

﴿ المسلات المصرية والتمدن القديم والحديث ﴾ وقد يظن القارئ لاول وهلة ان المتاخرين قد تفردوا بغصب مصر آثارها والحقيقة ان المتقدمين قد سبقوهم الى ذلك . فقد روى العالم سميث ان اشور بانيبال ملك اشور نقل مسلتين كبيرتين من مسلات الاقصر الى نينوى لما فتح مصر . ويقدرون عدد المسلات التي نقلها امبراطرة الرومان الى رومه ١٢ مسلة ولا يزال بعضها قائماً في رومة الى الآن . وقد كان في الاستانة ثلاث مسلات نُقلت

احداها الى البندقية في عام ١٥٤٦ ووجدت مسلة في ارل من اعمال فرنسا وهي بلدة مشهورة بالآثار القديمة ووجدت مسلة اخرى في فلورنسا وغيرها

ولا يسعنا في ختام هذا الفصل الا ان ننظر نظرة في تقلبات هذا الزمان. فان المصريين القدماء لما بنوا هذه الهياكل والمسلات العظيمة التي تدل على قدرتهم ومبلغ تمدنهم كانوا ينظرون الى اهالي البلاد التي يسمونها اليوم «اوروبا» بعين الاحتقار والازدراء وكانوا يسمونها «تمحو» وهي عندهم من كلمات الاستصغار والاستضعاف ولم يكونوا يعتبرونهم ارقى من الزنوج بكثير. اما اليوم فقد تبدلت الاحوال فصار السيد مسودًا والكبير صغيرًا. وتلك الايام نداولها بين الناس

ربع قرن في الصحافة

(المقتطف)

بقلم احد الادباء

اتمت مجلة المقتطف وجريدة الاهرام منذ اشهر سنتها الخامسة والعشرين ودخلتا في السادسة والعشرين اي انه قد انقضى ربع قرن عليهما وهما في ميدان الصحافة. ولعل المقتطف قد سبق جريدة الاهرام في الوجود لانه قد ورد في الصفحة ١٢٠ من الجزء الخامس لسنة المقتطف الاولى الفقرة الآتية

«جريدة الاهرام. ان ما ظهر من همة منشئها سليم افندي تقلا في نشرها واتقانها يستحق مزيد الثناء ويستدعي اقبال ابناء اللغة العربية عليها فلا جرم ان مشروعه هذا يأول لنشر المعارف وترقية الوطن فنسأله تعالى ان يوفق احواله ويبلغه آماله في ماظهر وما سيظهر من اعماله المفيدة»

ولو كان الشرقيون قد تعودوا ان يوفوا كل عامل حقه لما سكتت جرائدهم عن تقريظ هاتين الجريدتين عند اتمامهما السنة الخامسة والعشرين ولما قعد ادباؤهم عن الاحتفال بما يسمونه العيد الفضي لكل واحدة منهما بقطع النظر عن المبادىء والاراء. بل الانكى من ذلك ان بعضهم رأى من حسن الذوق ان يضع الذم في هذه المناسبة موضع التقريظ فيما يختص بالمقتطف صاحب الايادي البيضاء على المعارف في الشرق فبعث رسالة الى وكيله وقرينه في الاسكندرية لينشرها باسمه في احدى جرائد اميركا العربية وكلها مدح لمجلته وذم للمقتطف

بحجة انه جافٌ ناشف يسأم منه قارئه وسامعه فضلاً عن ذم باقي المجلات العربية . كأن صناعة الادب و باللاسف تجارة توجب على الضعيف فيها ان يذم بضاعة صاحبه ترويجاً لبضاعته .

فلما قرأت ذلك الفصل وشممتُ منه الرائحة الهلالية قلت في نفسي " لا تعدم الحسناء ذاماً " ، ثم اخذت القلم لاكتب فصلاً للجامعة اعيّد فيه لرصيفها المقتطف عيداً فضياً اعترافاً بفضله على المعارف ومكافأة له بالثناء لا بالذم على خدمته العلم في الشرق ربع قرن وزيادة

وقد رأيتُ خيرَ الامور في هذا الشان ان اسوح سياحة في المجلد الاول من المقتطف اظهاراً لما كان المقتطف عليه منذ ٢٥ عاماً وما صار اليوم اليه وتذكاراً لصدوره فاقول مبتدئاً بالجزء الاول

قال المقتطف منذ ٢٥ عاماً في السطر الاول من مقدمته وكانت النهضة العلمية في اولها يومئذٍ « لا ريب ان كل من يقف على هذا المثال يسره المشروع الذي باشرناه خدمة للوطن واجابة لطلب كثيرين من محبي التقدم ونشر الفوائد » « ولما راينا مناسبة الاحوال لنا و وجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرته على ما بنا من القصور مستعينين به تعالى ونلنا الرخصة السامية فيه من جانب نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري » « ولنا الامل الوطيد ان هذه " الجريدة " تقع عند الجمهور موقع القبول » « وقد التزمنا هنا ان نفرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً فبنينا عليه لضيق المقام » « واذا تيسر نفوذ هذه الجريدة اقمنا لهـا مكاتبين مخصوصين وكبرنا حجمها وقصرنا مدة صدورها » وفي ختام المقدمة « وانا مقرون بعجزنا عن القيام بحق هذا المشروع ولنا الامل ان الواقف على كتاباتنا يسبل ذيل المعذرة على ما يرى فيها من الخلل فان العفو من شيم الكرام وسبحان من تفرد بالكمال »

وكان المقتطف يصدر يومئذ في ٢٤ صفحة في كل شهر وقيمة اشتراكه عشرة فرنكات في العام

وقد صدّر الجزء الاول بفصل في عمل الزجاج واردفه بفصول في وصف القمر والميكرسكوب وعلماء الهيئة عند العرب واللغة الحميرية والقلم المسند والصباغ الاحمر والمطر و بعض اخبار . وفي ذيل العدد هذان السطران « انا مديونون لجناب الدكتور فانديك بالشكلين المدرجين في القمر وللمطبعة الاميركانية باشكال الميكرسكوب ومن الآن فصاعداً نكتب تحت الشكل المستعار اسم المستعار منه »

هذه خلاصة الجزء الاول . وهو مطبوع على ورق وسط طبعاً وسطاً . اما الجزء الثاني فانه مصدر بهذين السطرين " نرجو من حضرة وكلائنا ان يستلموا قيمة الاشتراك من المشتركين حالما يسلمونهم هذا الجزء و يرسلوها الينا في الفرصة الاولى » وفي هذا الجزء مقدمة ثانية جاء فيها « ليس في المقتطف من المباحث السياسية التي أشغلت افكار الناس في هذه الايام ما يجعل له اهمية عند كثيرين فلذلك انذرنا البعض بعدم رواجه ولكن جاء الامر بخلاف ما كانوا ينذرونه وما ذلك الا لعظم اهميته لبلاد قد ذاقت يسيرًا من العلم فاصبحت تطلب منه الزيادة . والصناعة والزراعة فيها كالعدم وهي تلتمس من يأتيها بهما . فنهنىء انفسنا بعد أن نهنىء وطننا العزيز بما صادفه مقتطفنا من الحظوة . وقد طلب الينا كثيرون ان نصدره غير مقصوص لان القص يعيق التجليد اذا شاؤوا ان يضموه الى كتاب ففعلنا » ثم تلي المقدمة مقالة في اطباء اليونان والشرق للماسوف عليه العلامة الدكتور فان ديك الذي كان اول منشط ومساعد لهذه المجلة ثم فصول في شجر التوت والنظام الشمسي والحرارة وصقل الحرير والهواء وزجاج الصفائح والاعتناء بصحة الاطفال و بيان من المرصد السوري الفلكي . ثم بعض مسائل واخبار

وفي الصفحة الاخيرة من الجزء الثالث هذا الاعلان « انتهى طبع كتاب الظواهر الجوية ترجمة المعلم فارس نمر ب.ع من اللغة الانكليزية وهو كتاب صغير جدًا للدكتور الياس لومس استاذ في مدرسة بيل »

اما الجزء الرابع ففي الصفحة ٩٤ منه هذان السطران " سالنا كثيرون عن معنى الحرفين ب.ع فنجيب انهما مقتطفان من بكلوريوس علوم رتبة من رتب المدرسة الكلية ومعنى بكلوريوس اصلاً حب الغار » وفي صفحته الاخيرة بيان لخسوف كان مقبلاً وتقريظ للجزء الاول من دائرة المعارف الذي اصدره يومئذ « جناب الفاضل المعلم بطرس البستاني»

وفي الجزء الخامس هذه الشذرة « عدد الذين يموتون على الارض سنويًا ٣٣٣٣٣٣٣٣» ورسالة من مرج عيون عن الخسوف الجزئي الذي حدث في ٣ سبتمبر من ذلك العام قبل نصف الليل بقليل ومما جاء فيها ان المراسل استنادًا الى ما قرأه في المقتطف اخبر رفاقه في احدى السهرات عن خسوف القمر في ٣ سبتمبر فلم يصدقوا وافضى الامر بينهم الى المراهنة . قال المراسل « وفي الليلة المعينة بينما نحن نتعاطى الكلام راينا نور القمر يزيد اكمدادًا فالتفتنا فاذا « الحوت قد ابتلع بعضه » فضجت القرية باجمعها واستيقظ من كان نائمًا واطلق البعض بنادقهم . وما كنا نسمع بينهم الا من يقول « صحيح صدقوا . كيف ما نصدقهم بعد»

اما الجزء السادس ففيه رسالة من الاستانة بقلم جناب الياس افندي مطر احد طلبة المكتب السلطاني ومما جاء فيها « ان المقتطف استدعى سرور صاحب الدولة وزير المعارف العمومية الذي لا يفتر عن المكافأة عند انفكاك الغوائل الحاضرة » ثم اسهب المراسل في بيان اختراع كان حديثاً في ذلك الزمان وهو « التلغراف بلا شريط » كما كانوا يقولون يومئذٍ « وبلا سلك » كما يقولون اليوم . اما اسم المخترع الاول فهو الاستاذ بودبوز الفرنسوي على ما جاء في هذه الرسالة

وفي هذا الجزء ابتدأت المناظرة بين المقتطف وبعض رجال الدين بشان « دوران الارض » وقد جاء فيه في الصفحة ١٤١ « واما الذين طلبوا منا الرد على الامالي الفلكية التي صدرت في الجزء العشرين من الجنان لهذه السنة فنرجوهم ان يعفونا من ذلك وهل يُردُّ في علم على من يجهله كل الجهل »

وفي الجزء الثامن رسالة في ان الارض ثابتة مؤسسة لا تدور وهي ردٌّ على المقتطف استند فيه كاتبه الى آيات من الكتاب المقدس مثل قول ارميا النبي « انه تعالى مؤسس المسكونة بحكمته » وايقاف يشوع بن نون الشمس وقول اشعيا النبي « الله باسط السموات ومؤسس الارض» وقول ايوب انه تعالى « يمد الشمال على الخلا ويعلق الارض على لاشيء »

فامسكه المقتطف عند هذه العبارة في جزء تالٍ وقال « الا يظهر من قول ايوب عليه السلام ان الارض غير مؤسسة ولا اعمدة تحتها » فاذا لم تكن تحتها اعمدة فهي سابحة في الفضاء وهو راي علماء الهيئة

وفي الصفحة الاخيرة من هذا الجزء ان « الدكتور شبلي افندي شميل والدكتور داود افندي مشاقه نالا الرخصة التي تؤذن لهما بممارسة الطب في الممالك المحروسة »

واما الجزء العاشر ففي صدره مقاله « في العلوم الطبيعية والنصوص الشرعية » هذه مقدمتها « لما اطلع صاحب السعادة والاقبال حضرة رياض باشا الانخم وزير المعارف في بلاد مصر على الرسالة المدرجة في الجزء الثامن في ثبوت الارض قال لوكيلنا كليانتس افندي فيليبيذس ان هذا الرأي مغلوط وفاسد ديناً وعلماً ثم تكرم برسالة من قلم وكيل سعادته في نظارة المعارف العالم الشهير والامير الخطير سعادة عبد الله فكري بك في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية ولما اجلنا الطرف في رياضها الحسان راينا فيها ما يدهش الالباب من المنطق وحسن البيان فبادرنا الى اقتطاف بعض ثمارها »

وفي الصفحة ٢٣١ من هذا الجزء رسالة في الانتروبولوجيا مترجمة عن العالم هادج الاميركي

ومفتتحة بهذا السطر « الى جناب الاديبين منشئي جريدة المقتطف المحترمين » وفي آخر هذا الجزء الكلام التالي « لقد سررنا بنجاح الخواجه يعقوب حلاج في عمل الشحيط فان شحيطه جيد الصفة رخيص الثمن فضلاً عن كونه عمل واحد من ابناء الوطن »

وجاء في مقدمة الجزء الحادي عشر « لما كان كل ابتداء عسرًا وكان التمام لا يبلغ في الامور الا تدريجًا فسنجتهد في اقتطاف كل ما يفيد الوطن وتعيين من يزيد ادارة المقتطف ضبطًا » وورد في الصفحة ٢٦٣ منه « يقال انه ظهر في هذه الاثناء نجم صغير ذو ذنب ولم يبدُ للعيان فالحمد لله انه لم يظهر ولو ظهر لكان له بين السذج هرج ومرج ولنسبوا اليه كل مصيبة تصيب البشر كما نسبوا الى الخسوف الماضي اخبارًا اختلقوها »

واما الجزء الثاني عشر وهو الاخير من السنة الاولى فانه مصدر بالاعلان التالي « قد سلمنا ادارة المقتطف لجناب الاديب شاهين افندي مكاريوس فنرجو من حضرات الوكلاء والمشتركين ان يسلموه قيمة الاشتراك ويبعثوا جميع الرسالات المختصة بالمقتطف باسمه الى المطبعة الاميركية في بيروت ولا يخفى انه بذلك تضبط الادارة غاية الضبط فنتفرغ لجمع المواد واجابة المسائل » وورد في باب الاخبار والاكتشافات والاختراعات عن تاريخ سوريا ما يلي « قد طالعنا غيرمرة اعلان تاريخ سوريا لجناب الاديب جرجي افندي يني وقد بلغنا الان ان جنابه عزم على طبع التاريخ المذكور ونشره فعسى ان لا تحول موانع الاوقات دون ذلك المشروع المفيد » ثم يلي ذلك في الصفحة الاخيرة خاتمة السنة وفهرستها

هكذا كان المقتطف في دوره الاول . ثم انتقل الى مصر وارتقى مع كرور السنين الارتقاء الذي يعرفه قراؤه . وقد بقي محافظًا على مقامه العلمي فلم يلجأ الى التزويق والتنميق استمالة لبسطاء القراء شان الذين يعرفون مقام العلم والادب وينزهونهما عن ان يكونا سلعة للاتجار . فنحن نهنئه بهذه الخطة وباجتيازه ربع قرن وهو في خدمة الشرق ولانقول ما يبدو لنا من الملاحظات بشانه اولاً لان ذلك خارج عن موضوعنا اذ نحن الآن في مقام تقريظ لا في مقام انتقاد وثانيًا لاني اخشى ان تسوءه ملاحظاتي . انما اكتفي بواحدة وهي هذه : ان حضرات اصحاب المقطم كتبوا منذ سنوات الى بعض اصدقائهم في اثناء مناظراتهم لبعض رصفائهم من اصحاب الجرائد فقالوا يثنون على المقطم : اننا بالمقطم قد اخرسنا « المؤيد » واغرقنا « النيل » وهدمنا « الاهرام » الخ ومادروا انهم بالمقطم لم يضروا الا المقتطف . فليت المقطم لم يكن او كان بغير الاسلوب الذي كان به ليكون المقتطف في مقامه الحقيقي

العودة من القطب الجنوبي

﴿ اكتشاف قارة جديدة ﴾

نشرنا في الجزء السابع مقالة عنوانها « العودة من القطب الشمالي » ذكرنا فيها تفاصيل سفر الدوق ابروزي ابن عم ملك ايطاليا الى هذا القطب وعودته منه فائزاً ببعض الفوز . وقد راينا ان نردف هذه الرحلة الشمالية بذكر طرف من الرحلة الجنوبية التي اتمها في العام الماضي الرحالة بورشكريفنك النروجي في القطب الجنوبي اتماماً للفائدة فنقول باختصار

اتفقت المجلة الانكليزية « سترند مغازين » التي تُطبع في لندن مع هذا الرحالة على رحلة يرحلها على نفقتها لاكتشاف القطب الجنوبي فابتاع سفينة سماها « سوترن كروس » واخذ معه عالمين لمراقبة حالة الجو في القطب الجنوبي وعالمين من علماء الحيوان للبحث في الحيوانات التي يصادفونها وطبيباً وطباخاً وثلاثة عمال فالمجموع تسعة رجال ما عدا زعيمهم وسرب من الكلاب لجر المزالق على الثلوج . وفي اواخر عام ١٨٩٨ خرجت بهم السفينة من (هو بارتون) عاصمة تسمانيا في جنوبي اوستراليا قاصدة جزءاً من الجهات القطبية الجنوبية يُدعى « ارض فيكتوريا »

وكانت طريقهم الى هذه الارض محفوفة برؤوس نائئة من الجبال عليها الثلوج وارتفاع كل راس منها اكثر من مائة متر وهو قائم فوق مضائق البحر يتهدد السفن بالسقوط عليها اما المسافة بين تسمانيا وارض فيكتوريا فكانت ٤٦٢٥ كيلو متراً

فبعد انقضاء ١٢ يوماً على سفر السفينة تقلُّ رجال البعثة لقيتها الثلوج الاولى فاقامت السفينة تعاركها وتعالجها ستة اسابيع حتى كاد ركابها يقطعون الامل من النجاة . ولكنهم في ذات يوم وهم في اشد حالات الضيق رأوا الثلوج تتفرق من تلقاء نفسها وتذهب مع التيار فاغتنموا هذه الفرصة وساروا بالسفينة مخترقين قطع الثلج فبلغوا ارض فيكتوريا في ١٧ فبراير من عام ١٨٩٩

فنزل بورشكريفنك الى هذا البر الذي هو جزء من الاقطار القطبية الجنوبية وانشأ فيه له ولرجاله منزلاً يقضون فيه مدة سنة كاملة للوقوف في اثنائها على حالات الجو في اقطار القطب ودرس نباته وحيوانه والسعي للوصول اليه

واول عمل عمله قبل انشاء المنزل نصبه سارية في ارض فيكتوريا بين الثلوج التي



سوترن كروس بين الثلوج

وهي السفينة التي حملت بعثة مجلة « السترند مغازين » الى القطب الجنوبي

تغطي الارض واحتفاله برفع الراية الانكليزية للمرة الاولى فيها . وعند اتمامه بناء المنزل عادت السفينة الى تسمانيا تاركة الرحالة ورجاله في اقطار القطب لتعود وتاخذهم منها بعد انقضاء سنة

فمنذ هذا الحين اخذ هؤلاء الشجعان يقاسون الاهوال القطبية . وكانوا يومئذٍ في شهر مارس وهو يقابل في برده هناك شهر اكتوبر في اوربا . ثم اخذ البرد يشتد يوماً فيوماً والرياح تعصف بقوة هائلة فتزعزع منزلهم وتلعب بقطع الثلج الكبيرة لعبها بهشيم الارض فتتطاير شظاياها الى الوجوه والعيون فتدميها وتعميها . وقد بلغ من قوة الزوابع هناك ان زوبعة حملت قارباً من البحر وقذفته بعيداً من الشاطىء كما يقذف الولد ليمونة . واصبح

رجال الحملة لا يستطيعون السير الا متمسكين بحبال ممدودة على الطريق . وكان احد العلماء الذين يرافقون الحملة سائرًا في ذات يوم نحو المكان الذي جعلوه مرصدًا لهم وهو ممسك بالحبل فما شعر الا وقد حملته الريح كريشةٍ والقته في هوة بعيدة فبقي فيها داميًا مغشيًا عليه حتى وجده رفاقه بعد تفتيش كثير

على ان ذلك لم يكن شيئًا مذكورًا بازاء الاهوال التي كانت قادمة عليهم وهي اهوال ليل القطب الطويل . فانه من المعلوم ان الشمس تغرب في جهات القطب عدة شهور وتظلم الدنيا في شهر مايو كله فتكون كانها في ظلام دائم . فقاست الحملة في اثناء هذا الليل الطويل الذي لا يذكر بازائه ليل المسوع اهوالاً لا تُحتمل . فان الحرارة هبطت فيه الى ٤٣ درجة تحت الصفر وكانوا يضلون سبيلهم اذا خرجوا من المنزل قيد شبرين . وضلَّ يومًا كلب من كلابهم فبقي شهرين تائهًا على الثلوج وهو يتغذى من طيور بحرية كان يصطادها في طريقه

ثم ان بورشكريفنك اخذ يهتم بالسياحة في ارض فيكتوريا مستكشفًا ارجاءها فسار فيها اشواطًا كثيرة بعضها طويل وبعضها قصير فما كان يجد سوى ثلوج كالجبال تملأ البر والبحر . وكان في المسير على هذه الثلوج خطر شديد . وقد سقط احد رجاله في اثناء السير في هاوية انفتحت بين الثلج تحت قدميه دون ان يدري به رفاقه فلم ينجُ من الهاوية الثلجية الا بسكين صغيرة كانت في جيبه حفر بها درجات في جدران الهاوية وتسلقها ولولا السكين لمات مكانه . ولم يكتشف الرحالة في اثناء جولانه هذا سوى جزيرة صغيرة سماها " جزيرة الدوق دي يورك " وقد ثبت لديه ان ارض فيكتوريا ليست سوى سهول وحزون تغطيها الثلوج على مسافة ٤ الاف متر

ثم هون الله الامر وانقشعت ظلمات ذلك الشتاء الطويل وبدت طلائع الربيع . وانما يُعرف زمن الربيع هناك من وفود اسراب من الطيور البحرية المألوفة على ارض فيكتوريا . فاستأنس رجال الحملة بالنور وبلحم هذه الطيور فصادوا منها واكلوا متلذذين باللحم الطريء وان كان لحمها لا يؤكل . ومن الغريب ان هذه الطيور لا تفر من الانسان حين دنوه منها فهو يستطيع القبض عليها بيده وذلك لانها لم تذق من ظلم الانسان قبل هذه المرة ما ينفرها منه ويحملها على الابتعاد عنه

ولما اقبل عيد الميلاد احتفل به رجال البعثة احتفالاً عظيمًا وذلك لانهم كانوا مستريحين من البرد الشديد لان عيد الميلاد يقع في قلب الصيف هناك مع انه يقع في قلب

الشتاء عندنا

وفي ٢٨ يناير من ذلك العام عادت اليهم سفينتهم "سوترن كروس" فركبوها فرحين وساروا بها متقدمين من القطب في الجهات المجهولة اتماماً لهذه الرحلة . فمروا بجبل ملبورن وجبل تيرورو وشاهدوا في طريقهم بركاناً يقذف دخاناً اسود وسط تلك الثلوج البيضاء . فوقفت السفينة هناك ونزل منها رجال الحملة لفحص الارض فوجدوها كارض فيكتوريا قاحلة جدباء بيضاء من تراكم الثلج عليها . غير انهم وجدوا في بقعة صغيرة بقعة من الرمل فيها بعض النباتات فبادر العلماء الى قطفها لفحصها . وبينما هم مشتغلون بذلك واذا بصوت كصوت الرعد القاصف قد صم آذانهم فنظروا فابصروا الثلوج تتفرقع وتتدحرج من حولهم وتسقط في البحر كصخور حطها السيل من علٍ فطما البحر عليهم كطوفان عظيم وكاد يغرقهم كلهم لو لم يتعلقوا بالصخور . ولعل ذلك قد نشأ عن زلزال خفيف او عن انهيار الثلج انهياراً شديداً

ثم عاد بروشكريفنك الى السفينة واستمر في طريقه . ولكنه ما سار مسافة حتى اعترض سفينته جدار عظيم من الثلج ليس له اول ولا آخر . فنزل على الثلج واخذ يبحث عن شق او مدخل ليدخل منه الى ذلك البر ولما وجد شقاً اخذ معه رفيقاً واحداً وسار في ارض مجهولة لم يطأها احد قبله . وما زال حتى بلغ الدرجة ٧٨ والدقيقة ٥٠ اي انه صار قريباً من نقطة القطب الجنوبي مسافة ١٢٣٩ كيلومتراً وهي درجة لم يبلغها احد قبله من السياح في هذا القطب

وقد قلنا ان رحلة الدوق ابروزي قد دلت على ان نقطة القطب الشمالي واقعة في بحر واسع مغطى بالثلج الدائم . اما رحلة بورشكريفنك فقد دلت على ان نقطة القطب الجنوبي واقعة في اراضٍ واسعة لا حد لها . فهنالك اذاً قارة جديدة مجهولة لا يعرف الانسان حيوانها ونباتها واحوالها الجوية . ولكن الزمان وابناءه سيكشفونها كلها

وقد عاد هذا الرحالة سالماً الى بلاده ولم يفقد من رجاله في هذه الرحلة سوى العالم هنسن احد العالمين في الحيوان اللذين صحباه . وكانت وفاته من التعب والضعف عن احتمال هواء تلك الجهات

المرحوم عبده الحمولي

اكبر موسيقي عربي في الشرق

صدقت جريدة المؤيد الغراء في قولها انه « اذا كان المرحوم عبده افندي الحمولي اشهر مغنٍ عربي في هذا العصر واعلم الموسيقيين في الشرق بفنه فمن حق التاريخ على كتاب زمانه ان يدونوا سيرة حياته »

ولقد توفي في هذا العام الموسيقي (فردي) اشهر موسيقي ايطاليا فقامت له جرائد اوربا وقعدت ولبست عليه الجرائد الاجنبية التي تطبع في القطر المصري حلة السواد وخاضت جرائدنا ومجلاتنا في ترجمة الرجل وذكر مواهبه ونوادر اعماله · ولكن لما مات عبده الحمولي لم يكن شيء من ذلك فكأنه لم يمت اكبر موسيقيي العرب في هذا الزمان او كأننا لا نعتبر المواهب مواهب الا اذا كانت « افرنجية »

واجتنابا للوقوع في هذا الخطاء نقتطف ممن كتبوا ترجمة الفقيد شيئًا منها سائلين الله له عظيم الغفران ولاهله جميل العزاء

ولد الفقيد حوالى سنة ١٨٤٤ في مدينة طنطا وكان ابوه من تجار البن وكان له اخ اكبر منه فوقع الشقاق بين ابيه والاخ الكبير فاخذه اخوه وسار هائمًا في تلك الانحاء فالتقيا وهما على آخر رمق من التعب والجوع برجل من طنطا يُدعى المعلم شعبان وهو من ضاربي « القانون » وكان يعرف رخامة صوت الفقيد فعاد به وباخيه الى طنطا ثم جاء به الى مصر فاخذ الفقيد يشتغل معه بالغناء في قهوة كانت قائمة في غابة مكان حديقة الازبكية اليوم · فاقبل الناس على سماع صوت الفتى عبده فاتسع به رزق المعلم شعبان فازوجه ابنته ليربطه به · ولما ارتبط به عبده انقلب شعبان عليه فصار يسيء معاملته

وكان في مصر في ذلك الزمان مُغنٍ طائر الصيت يدعى « المقدم » فلما سمع الحان الفقيد اعجب بها فجعله يطلق امراته وجذبه اليه فصار عبده يشتغل معه

وكان الغناء العربي في مصر في ذلك العصر مقصورًا على بعض التواشيح والقدود التي نقلها الى مصر منذ اكثر من قرنين رجل حلبي يدعى شاكر افندي وقد ورث اهالي حلب هذه التواشيح والقدود عن اهل الدولة العربية في بغداد فكان المغنون في مصر قبل الفقيد يقتصرون على ان يلوكوا هذه التواشيح والقدود بافواههم دون تصرف فيها· فلما جاء عبده

عافت نفسه ذلك التقليد الاعمى لمواهبه الموسيقية الفطرية فاخذ يتصرف فيها تصرف الموسيقي المبتكر

وما زال حتى اشتهر في مصر فالحقه المرحوم اسماعيل باشا بمعيته واصطحبه مرارًا الى الاستانة فسمع فيها الفقيد الالحان التركية ووعاها . ثم جلب اسماعيل باشا كثيرين من موسيقيي الافرنج فسمع عبده الموسيقى الافرنجية مرارًا ووعاها ايضاً . ثم نظر الى مصطلحات الانشاد في ذلك الزمان كانشاد الفقهاء « والعوالم » والضاربين بالدفوف ووعى ما كان فيها حسنًا ايضاً . وبعد ذلك هضم عبده جميع تلك الالحان المختلفة في دماغه المستعد استعدادًا فطريًا للابتكار الموسيقي واستخرج منها طريقة جديدة وهي طريقة الغناء كما هو اليوم . وقد اقتبس شيئًا كثيرًا من الالحان التركية اخصها الحان النهاوند والحجازكار والعجم التي كانت يومئذ مجهولة في الغناء العربي وهي الآن اطرب الالحان العربية

ولا حاجة الى ذكر ما لقيته طريقة عبده من مقاومة المغنين في بدء الامر فان المقاومة والتعنيف نصيب كل امر جديد يحدث في جميع الفنون

ولما ارتقى شان عبده بطريقته الجديدة واثرى من غنائه وملازمته اسماعيل باشا ترك الغناء وعمد الى التجارة ففتح محلاً لبيع الانسجة بمبلغ عشرين الف جنيه فما مضت سنتان الا وذهب هذا المال ديناً عند الناس فعاد الى صناعة الغناء مكرهاً لانه كان يكره الغناء بالاجرة ويتمنى دائمًا ان يغنيه الله عن ذلك . فاجاب الله سؤله واغناه بسعيه وبقوة مواهبه فانقطع عن الغناء بين الناس وعاش بينهم كريمًا محبوبًا

وكأن السهر الطويل الذي كان يسهره الفقيد في حياته وما وراء ذلك من الطرب ولوازمه قد نقض بناء صحته وافضى به الى داء الصدر فذهب الى الصعيد مستشفياً فعاد منه بشيء من الصحة ولكن بلغه في عودته وفاة احد اصدقائه فحزن عليه وسار الى المنيا لحضور جنازته فقصر هذا السفر في اجله

وللفقيد نوادر كثيرة لا تحصى وكلها تدل على سخاء يده وكرم اخلاقه . وقد جاء وقت — وهو وقت اسماعيل — كانت فيه مصر كلها واقفة على شفتي عبده لما جدده فيها من الميل للموسيقى والولع بها

ومن نوادره ان اسماعيل باشا امر في ذات يوم ان يؤتى بالمغنية « الملز » المشهورة لتغني في حضرته . وكان عبده قد اقترن بها ومنعها من الغناء فجاء رسول اسماعيل يطلبها فرده عبده خائبًا فغضب اسماعيل وامر ان يؤتى بها بالقوة . وكان اسماعيل يومئذ في ابان

صولته وسطوته فثبت الفقيد في موقفه امامه مع انه لم يكن احد يجسر على الوقوف في ذلك الموقف · ثم ذهب وسال صديقه المرحوم الشيخ علي الليثي ان يتوسط له لدى اسماعيل بالعدول عن طلب «المز» لان عبده يستنكر ان تغني زوجته بين الناس فتوسط له صديقه فعدل اسماعيل عن عزمه

وقد زار الفقيد الاستانة في سنة ٩٦ وتشرف بمقابلة جلالة السلطان وغنى على مسمع من جلالته فاعجب جلالة السلطان بغنائه ووصله وابلغه حسن رضائه ثم امره ان يلقي ما غناه في حضرته الى ضباط الموسيقى ليقيدوه بالعلامات الموسيقية (النوطة) فاطاع الفقيد ولكنه لم يتمكن من اتمام ذلك فلما عاد الى مصر اتمه وارسل العلامات المطلوبة الى الاستانة

وله في السخاء والمروءة والشهامة نوادر تضرب بها الامثال · منها ان رجلاً قصده لحاجة فمنحه في الحال ٥٠٠ جنيه · وجاءه رجل يقول انه فقير ولا مال له يحتفل بزفاف ابنته فسار معه الفقيد مع تخته ولبث يغني حتى الصباح والجموع مزدحمة حوله · واتفق معه صاحب محل على الغناء ليلة في محله بمبلغ ٥٠ او ٦٠ جنيهاً على ما نظن ولما انقضت الليلة وانصرف السامعون جاءه صاحب المحل يشكو انه خسر في هذه الليلة فضحك الفقيد وتنازل له عن نصف المبلغ الذي تم عليه الاتفاق · وغير ذلك كثير

ولعل كل ما تقدم لا يدل دلالة تامة على حقيقة مقام الفقيد في فن الموسيقى في مصر ولذلك نردفه بالقصيدة التالية التي قالها في رثائه حضرة احمد بك شوقي شاعر الحضرة الخديوية ففيها احسن مدح وابلغ وصف للفقيد

ساجع الشرق طار عن اوكاره ... وتولى فن على آثاره
غاله نافذ الجناحين ماض ... لا تفر النسور من اظفاره
يطرق الفرخ في الغصون ويغشى ... (لبداً) في الطويل من اعماره
سلب الفن ألحن الطير فيه ... والمتين المكين من اوتاره
كان مزماره فاصبح داو ... د كئيباً يبكي على مزماره
(عبده) بيد ان كل مغنٍ ... عبدهُ في افتنانه وابتكاره
معبد الدولتين في مصر اسحا ... ق (السميين) رب مصر وجاره
في بساط الرشيد يوماً ويوماً ... في حمى جعفر وضافي ستاره
صفو ملكيهما به في ازدياد ... ومن الصفو ان يلوذ بداره
يخرج المالكين من حشمة الملك ... وينسى الوقور ذكر وقاره

رب ليل اغار فيه القمارى واثار الحسان من اقماره
بصبا يذكر الرياض صباه وحجاز ارق من اسحاره
وغناء يدار لحنا فلحنا كحديث النديم او كعقاره
وانين لو انه من مشوق عرف السامعون موضع ناره
يتمنى اخو الهوى منه آها حين يلحى تكون من اعذاره
زفرات كانها بث قيس في معاني الهوى وفي اخباره
لا يجاريه في تفننه العو د ولا يشتكي اذا لم يجاره
يسمع الليل منه في الفجر ياليـل فيصغي مستمهلاً في فراره
فجع الناس يوم مات الحمولي بدواء الهموم في عطاره
بابي الفن وابنه واخيه والقوي المكين في اسراره
والابي العفيف في حالتيه والجواد الكريم في ايثاره
يحبس اللحن عن غني مدل ويذيق الفقير من مختاره
يا مغيثا بصوته في الرزايا ومعينا بماله في المكاره
ومحل الفقير بين ذويه ومعز اليتيم بين صغاره
وعماد الصديق ان مال دهر وشفاء المحزون من اقداره
لست بالراحل القليل فتنسى واحد الفن امة في دياره
غاية الدهر ان اتى او تولى ما لقيت الغداة من ادباره
نزل الجد في الثرى وتساوى ما مضى من قيامه وعثاره
وانقضى الداء باليقين من الحا لين فالموت منتهى اقصاره
لهف قومي على مخايل عز زال عنا بروضه وهزاره
وعلى ذاهب من العيش وليت فولى الاخير من اوطاره
وزمان انت الرضى من بقايا ه وانت العزاء من آثاره
كان للناس ليله حين تشدو لحق اليوم ليله بنهاره

وقد وردتنا قصيدة ثانية في رثاء الفقيد من نظم حضرة الفاضل الياس افندي شحاده ذيب استاذ اللغة العربية في مدرسة افيروف اليونانية في الثغر فاقتطفنا منها ابياتا شائقة وهي :

ان تغنى خلت الملائك صاحت من اعالي القباب تتلو زبورا

ظالما ظن سامعوه اتفاقاً أنهم ثمّ يسمعون صفيرا
من شحارير في الرياض تغنت او من الاسد في القفار زئيرا
او من البان في الجنان حفيفاً او من الماء في السواقي خريرا
كم برفع من بعد خفض وهمس بعد جهر تلا علينا سحورا
فأنسنا بسلم من رقاه بات قبلاً يعقوب منها قريرا
وصلت بالارض السما اذ اقلت من جنود العلاء رهطا وفورا
فارتقينا تلك المراقي معهم بنفوس حامت عليها طيورا
خافقات باجنح سابحات في بحار الخيال تفري غمورا
واصبنا بعد الجهاد قراراً اذ راينا من عالم الكشف نورا
وطربنا لما رأينا عذارى ضاربات حول المرنم سورا
ساطعات كأنهن شموس مشرقات تخالهن بدورا
من رياض النعيم جئن بداراً في هوى صوته هجرن الخدورا
وبحسن الايقاع همن انشغافاً وارتشفن من اللحون خمورا
ورقصن على اناشيد عبد بين ارباب الفن اضحى شهيرا
ان في مصر «للمقاول» فضلاً اذ وعت من غناه جزءاً يسيرا (١)
غير ان الآذان اسعد منها حفظت من ذاك السماع الكثيرا
ولئن بان ذلك الصوت عنها فصداه اقام معها سميرا
مثل قرطاس ناله الحرق لكن ما برحنا نرى عليه السطورا
مات حقاً «عبده الحمولي» ولكن ذكره للاعقاب يبقى الدهورا

ومن ظريف الرثاء الذي قيل فيه الموال الآتي لناظمه محمد افندي احمد المصري

فن الطرب انطرب لجلك عراق وحجاز ومصر ناحت وابكاك اليمن وحجاز
والترك والهند لو حزنم وناحوا جاز عليك يا مطرب الاصحاب في صباهم
لكن الهي دعا عبده ونحوه جاز

هذا ونختتم هذا الفصل بكلمة للمجلة المصرية الغراء وهي« لقد كان في مصر قبل انقضاء

(١) اشارة الى ان الفقيد شرع قبيل وفاته في تقييد الحانه في اسطوانات الفونوغراف طلباً للعيش لان هذا الذي كان يربح الجنيهات بالمئات ويهبها بالمئات قد توفي ولا مال له

هذه الاشهر الاخيرة مغنيان هما عبده وعثمان . فاليوم نحن ولا مهنيء في الفرح ولا معزٍ في الشجن الا ما كان من قبيل حكاية الصدى الذي يتردد حيناً بعد هتاف الهاتف » نقول ولقد كان هذا القول صحيحاً لو لم يبقَ بلبل المراسح الشيخ سلامه حجازي

آفات التمدن الحالي

الغنى والمضاربة في اميركا

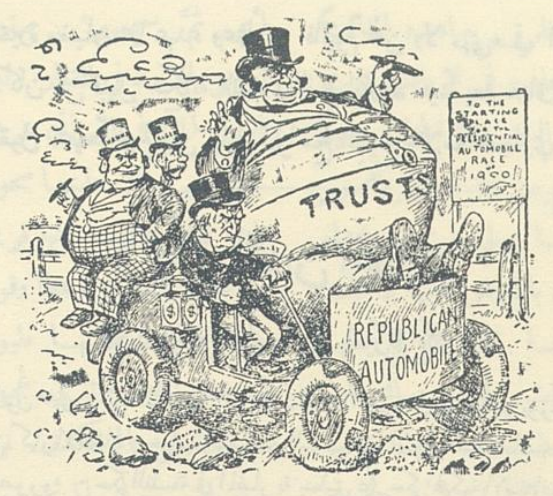
دوس القانون ضمن دائرة القانون . طريقة ذلك . الجنون في بورصة نيو يورك ولندن والبراز بين كبار الاغنياء . خراب الوف من البيوت لهذا السبب . سياسة المستر ماكنلي ومصوروه . حكم الفلسفة في المضاربة ينطبق على حكم المحكمة الاستئنافية المختلطة بالاسكندرية

للتمدن الحالي آفات كما له حسنات . ومن هذه الآفات تمكن بعض البشر من دوس القانون استناداً الى القانون وقتل حقوق الانسان استناداً الى مبداء حقوق الانسان

ومن هذا القبيل حالات الغنى الطائل في اميركا . فان انصار حرية الغنى يقولون ان مداخلة الحكومة في شؤون ارباب الاموال لتحديد غناهم ومراقبة اعمالهم امر يخالف مبدأ الملكية المقدس ويفضي الى الفوضى فضلاً عن خنقه بذور النشاط والجد في العالم وهو قول لا يخلو من صواب ولكن النتائج التي تبدو الآن في اميركا فيما يختص بالغنى الطائل توشك ان تكون للهيئة الاجتماعية خطراً اشد من خطر القيام على مبداء الملكية

وهذا الخطر هو خطر الاحتكار . فانه قد نشأت في تلك البلاد صناعة جديدة مدارها على تأليف شركات لاحتكار البضائع والسلع ومواد المعيشة . فشركة تحتكر الفولاذ وواحدة تحتكر السكر واخرى تحتكر البن ورابعة الملح وخامسة الثلج وهلم جراً . وهذا الاحتكار لا يستوجب اذناً من الحكومة ولا رضى من ارباب الصناعة ولا موافقة من الاهالي بل يتم بالرغم عنهم جميعاً على الطريقة الآتية

يخطر لاحد الاغنياء الاميركيين ان يحتكر البيره (الجعه) مثلاً فيخصص لذلك من ماله ثلاثمائة مليون فرنك او خمسمائة مليون وينشيء معامل للبيره واسعة ويمد منها خطوطاً حديدية الى البلاد التي سيصدر بضاعته اليها ثم يحمل البيره اليها ويأخذ ببيعها باثمان بخسة جداً . فلا ينقضي على ذلك بضعة شهور حتى تفلس المعامل التي تناظره وتقفل ابوابها



﴿ شركات الاحتكار في اميركا ﴾

المستر ماكنلي ورجال حكومته جالسون في مركبة الجمهورية يقودها الرئيس وبجانبه تمثال الاحتكار ببطن واسع لكثرة ما يأكل · وقد عنت جريدة «الجورنال» الاميركية بهذا الرسم ان الرئيس ماكنلي يحمي شركات الاحتكار

فحينئذ يرفع اسعار البيره لانه يصبح مالك السوق وحده وربما ضاعف الثمن فعوض في سنة ما خسره في سنوات· فمن خسر في هذه المسالة ومن ربح ؟ خسر اصحاب معامل البيره الذين خربت بيوتهم وعملتهم الذين جاعت نساؤهم واولادهم والاهالي الذين كانوا يبتاعون البيره بثمن بخس فصاروا يبتاعونها بثمن غالٍ · ولم يربح سوى شخص مفرد كان في غنى عن ربحه· هذه هي الان نتيجة حرية التجارة والغنى في البلاد الاميركية اي ان الغني صاحب الملايين صار قادرًا على دوس القانون ضمن دائرة القانون فيحتكر بماله الطائل مع ان الاحتكار محرم في قانون بلاده و يقتل مزاحميه في تجارته كما يقتل اللصوص أبناء الطريق

وقد تألفت الآن شركات عظيمة للاحتكار في اميركا على هذا الوجه واكبرها كلها شركة احتكار الفولاذ التي انشأها الغني الشهير المستر اندريو كارنيجي الذي بلغت ثروته مليار فرنك ونصفًا وهو يوزع الآن ذرات منها على المكاتب العمومية في اميركا والمدارس الكبرى في اسكوتلنده مسقط راسه · وهذه الشركة رأس مالها سبعة مليارات فرنك وهي منقسمة الى ٣٣ شركه تحتكر الفولاذ في الولايات المتحدة كلها وعدد عملتها مليونا عامل يرئسهم المستر شارلس شويب الذي يقبض راتبًا قدره ٥ ملايين فرنك في العام· واما ربح هذه الشركة في السنة فهو ٥٠٠ مليون فرنك

﴿ الجنون في بورصة نيويورك ولندن ﴾ ورغبة في اطلاع القارئ على حقيقة الضرر الذي يصيب الناس الان بسبب هذه الشركات نكتفي بذكر الحادث الكبير الذي احدثته في ٩ مايو في بورصتي نيويورك ولندن لا سيما وانه لم يذكره احد بالتفصيل بعد، وهذا بيانه ٠

لكبار اغنياء الاميركان عادة وهي احتكار اسهم السكك الحديدية للتمكن من الضغط على اداراتها والتأثير عليها بما ينطبق على مصلحتهم في نقل بضائع شركات الاحتكار التي تكون لهم ٠ ففي ذات يوم كانت اكثر اسهم شركة « اونيون باسيفيك » في قبضة المستر كولد الغني الشهير فجاءه المستر فندربلت صنوه في الثروة والغنى وتمكن من اخراج تلك الاسهم من قبضته ٠ فغضب لذلك كولد ونوى ان يثأر لنفسه

وكانت اكثر اسهم شركة سكة « باسيفيك نور » في قبضة المستر فندربلت ورفيقه المستر مورغان الشهير مثله ٠ فجاء المستر كولد الى بورصة نيويورك في ٩ مايو مع رفيقه الغني ركفلر وفي نيتهما الاخذ بالثار واحتكار اسهم شركة سكة " باسيفيك نور " مهما كلفهما هذا الاحتكار

فعلم المستر فندربلت والمستر مورغان بعزمهما هذا فعقدا النية ايضاً على احتكار كل تلك الاسهم مهما كلفهما هذا الاحتكار اغاظة لهما

فلما درى بذلك رجال البورصة بادروا من كل صوب الى شراء اسهم « باسيفيك نور » وهم يعللون النفس بالسعادة لانهم اعتادوا هذا البراز بين الاغنياء ٠ فابتاعوا السهم الواحد منها عند افتتاح البورصة بمائة وسبعين ريالاً ٠ ولما كثر المشترون صعدت قيمته وما زالت تصعد بسرعة البرق الخاطف حتى بيع من الاسهم اكثر مما هو موجود ٠ فطلب المشترون التسليم فبلغ حينئذ ثمن السهم الواحد الف ومائة دولار اي انه صعد ٩٣٠ دولاراً في ساعة واحدة ٠

فحدث حينئذ امر هائل لم يسبق له مثيل في بورصات العالم ٠ فقدعم الاضطراب والصراخ وانقطع البيع والشراء الا نقداً اذ اعلنت ادارة لجنة البورصة انها لا تراقب العقود لكثرتها وسرعتها ٠ وصار من يملك ثلاثة اسهم من هذه الاسهم يبيعها فيصبح غنياً في لحظة واحدة ٠ وطيروا القطارات البخارية خصوصاً الى المدن القريبة من نيويورك والى شيكاغو لتأتي بما تعثر به فيها من هذه الاسهم ٠ وبحّت اصوات السماسرة من كثرة الصراخ فعجزوا عن النطق وصاروا يشيرون الى الثمن اشارة بالاصابع

وماذا اجرى بعد ذلك

جرى ان فريق كولد وفريق فندر بلت بدا لهما ان يعدلا عن هذا الاحتكار لانهما وجداه صعباً فابطلا الشراء من هذه الاسهم . فحدث حينئذ ما لا تتصوره العقول ولا تقوى الاقلام على وصفه . فان السهم الواحد هبط كصخرٍ حطه من علٍ من ١١٠٠ ريال الى ٨٠٠ ريال ثم الى ٣٢٥ ريالاً . نساد الجنون في البورصة فهجمت النساء يبكين وينثرن شعورهن لانهن خسرن اموالهن وراح الرجال يدوس بعضهم بعضاً وكثيرون منهم يصرخون انهم عزموا على الانتحار . وسقطت في الحال ثلاثة بيوت مالية كبرى . وحدث ضرب ودوس وخصام بين الجماهير المجتمعة فاستدعي البوليس لتفريقهم . ولم تغرب شمس ذلك اليوم الاوقد بات الوف من رجال نيو يورك فقراء لا يكون شروى نقير مع انهم كانوا بالامس ممن لهم الخيل والمركبات . وقد سرى شيء من هذا الاضطراب الى بورصة لندن فان بعض رجالها عاموا على جراب رجال البورصة في نيو يورك فغرقوا معهم واصبحوا فقراء بعد الغنى . منهم شاب في الرابعة والعشرين جنّ في اثناء البورصة فاخذ يقذف من نافذتها ما معه من الاسهم والاوراق المالية . وراح شاب ثانٍ يعدو بين الجماهير وهو يزأر زئير الاسود ويعرض للبيع بقيمة عشرين فرنكاً الورقة التي قيمتها ١٠٠ فرنك . فلا ريب انه قد جنّ ايضاً

وفي اثناء ذلك كله اين ذهب اصحابنا الذين كانوا اصل هذا البلاء : كولد وفندر بلت ومورغان وركفلر ؟ وما كانوا يصنعون ؟ — كانوا جالسين على مقعد في بورصة نيو يورك يضحكون من ذلك الاضطراب والجنون ويدخنون ويتحدثون بانه اذا عرض عليهم سهم « الباسيفيك نور » بقيمة ١٥٠ ريالاً فانهم يبتاعونه ....

واين ذهبت تلك الملايين الطائلة التي خربت خسارتها بيوت الوف من الرجال والنساء ؟ — ذهب اكثرها الى جيب فندر بلت ومورغان الذين ربحا اكثر من مائتي مليون فرنك في ساعة واحدة

وكثيرون من السماسرة ربح الواحد منهم في ذلك اليوم خمسين الف فرنك اجرة له عن البيع والشراء

اما عدد ما بيع من اسهم " الباسيفيك نور » في ذلك اليوم المشهود فقد بلغ ٣ ملايين و٢٦٢ الف سهم . وقد كان جناب المستر ما كنلي رئيس الولايات المتحدة يومئذٍ في كاليفورنيا فبعث يسال اذا كانت هذه الحوادث لا تؤثر على صناعة البلاد وحالتها

الاقتصادية فاجاب المستر مورغان وغيره ان صناعة الولايات المتحدة قائمة على اسس لا تتزعزع

ولكن هب ان هذه الحوادث تخرب البلاد كلها فان المستر ماكنلي عاجز عن مقاومة اصحاب الملايين لانه لم يُنتخب الا بسعيهم ونفوذهم ولانهم صاروا دولة في الدولة . ولذلك تصوره جرائد اميركا جالساً مع رجال حكومته في مركبة الجمهورية يقودها بنفسه وهو حامل عليها تمثال الاحتكار الذي صار ملازماً له ولسياسته لانها مبنية على قاعدة وضع الرسوم الجمركية والاستعمار (انظر الرسم في هذا الفصل)

هذه احدى آفات التمدن الحالي في هذا الزمان . ونحن لا نذمها لان صوتنا ضعيف لا يؤثر فيها ولكننا ننقل هنا صدى صوت قوي وهو صوت الفيلسوف جول سيمون الذي قال في كتابه «الواجبات» قولاً ينطبق عليها وعلى الحكم الذي اصدرته محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية بشان المضاربة وهو

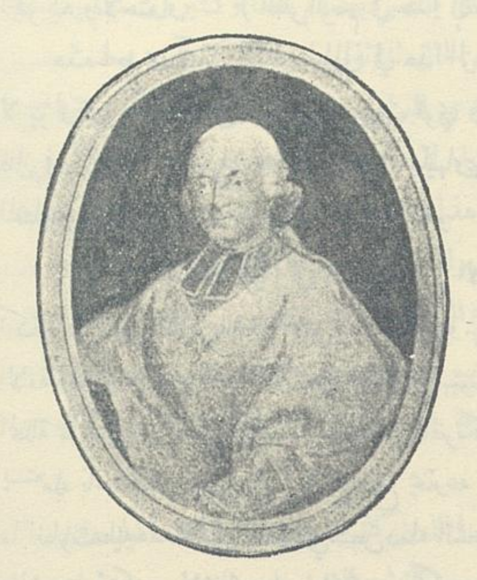
«ان ما يربحه الاغنياء في البورصة من الارباح الفاحشة بلا تعب ولا نصب مبنيٌّ اكثره على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف اموال الامة وتخرب في يوم واحد مئات من العيال والبيوت التجارية . وليس بين الرسائط الشريفة المحللة ما يمكن ان يعطي الانسان مليوناً من الفرنكات الاَّ ان يكون هناك راسمال عظيم يستعمله باستقامة واجتهاد او اختراع نافع يخترعه للعباد . ومن الغريب انه ما من احد يجهل ما انطوت عليه هذه العلاق الهائلة التي تمتص دماء الشعوب وحياتهم . هؤلاء الذين يدعون الشرف والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون . ولكن مع معرفة الناس ذلك لا تجد بينهم من يطاوعه قلبه على رفض اليد التي يمدونها ومعاملتهم كما يستحقون نعني معاملة اللصوص والخداعين . ذلك لان الذهب كما قال فيه الشاعر اللاتيني جوفنال : طيب الرائحة حيثما كان ومن اينما خرج . فليهنأ اولئك السالبون بما سلبوا ولكن فلتعلم الهيئة الاجتماعية ان في تخفختهم وتركها معاقبتهم اهانة للفضيلة والعمل والاجتهاد»

فعسى ان يكون في هذا الفصل عبرة للشرقيين الذين يُقبلون على المضاربة وهم مغمضو العيون فان المضاربة قد تفاقم خطبها عندنا في هذه السنين

روايات الجامعة

﴿ نهضة الاسد ووثبة الاسد ﴾

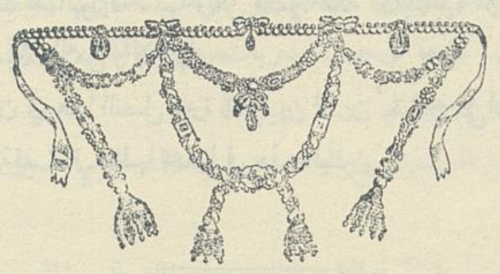
لما ذكرنا منذ شهور على ظهر الجامعة في احدى الاجزاء الماضية انه قد خطر لنا اختصار روايات نهضة الاسد ووثبة الاسد وردتنا رسائل عديدة من القراء يلحون علينا ان لا نختصر منها شيئاً لانهم يقرأونها قبل مواد المجلة نفسها. وقد تمنى كثيرون منهم ان ننشر منها في كل جزء ملزمتين لا ملزمة واحدة. وبعض القراء في الاسكندرية يسألنا باستغراب كيف لم تستخرج قبل الآن هذه الروايات الى اللغة العربية فانه لم يرَ كتاباً جامعاً مثلها للتاريخ والادب والسياسة والحب والفكاهة والحوادث الغريبة في سياق واحد. وكان بعض المشتركين في الثغر ولا يزال ياتي الادارة ويطلب ملزمة الروايات عند طبعها لعدم صبره عليها



﴿ الكردينال دي روهان ﴾

محب الملكة

فكل هذه الامور اقنعتنا بان لا نختصر هذه الرواية الجميلة مع طولها. وقد سرنا ذلك لاننا نجد من اللذة في كتابتها بقدر ما يجده



﴿ عقد الملكة ﴾

ثمنه مليون و٦٠٠ الف فرنك وقد اراد الكردينال ابتياعه للملكة استرضاء لها

راجع تفصيل ذلك في الصفحة ٩١ في رواية وثبة الاسد في هذا الجزء

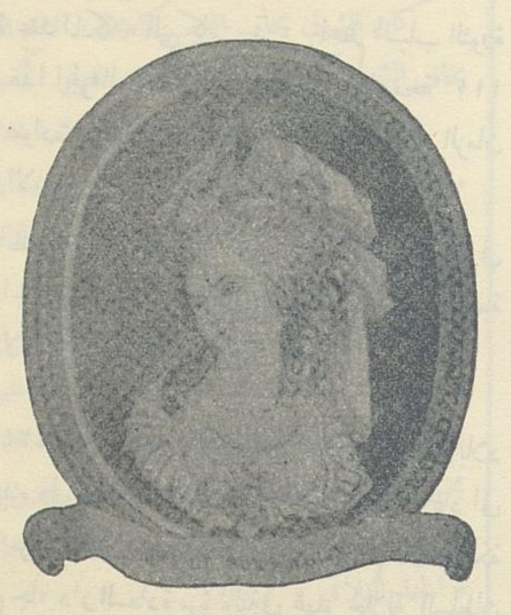
القراء من اللذة في مطالعتها . وما من فرق بيننا سوى ان لذتنا مشوبة بتعب ولذتهم خالصة من كل شائبة

وبناء عليه فاننا قد عدلنا عن اختصار هذه الرواية . وهي ثلاثة اقسام القسم الاول سميناه «نهضة الاسد» وقد اردنا بهذه التسمية نهوض الشعب الفرنسوي في ثورته الكبرى الى طلب حقوقه وتذكير الحكام بواجباتهم . والقسم الثاني «وثبة الاسد» وقد اردنا بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد لما لم يُجدِ اللين والمسالمة نفعاً . والقسم الثالث «فريسة الاسد» وموضوعه افتراس الثورة الملك لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانت قرينته وجميع النبلاء والرجال الذين حضروها



الملكة ماري انتوانت

فهذه الرواية اذاً هي تاريخ مفصل لجميع حوادث الثورة الفرنسوية الكبرى من اولها الى آخرها . ففيها ذكر اسباب الثورة وحوادثها واحدة واحدة وتاريخ رجالها العظام ورسومهم وتفصيل اعمالهم وغرائب نبوءات كاليوسترو الخيالية وعجائب التنويم المغنطيسي الذي كان يومئذٍ في بدء امره وتاثير الجمعيات السرية في فرنسا في ذلك الزمان ولا سيما الجمعية الماسونية وعشق الملكة وسط مشاغلها السياسية ثم فوز الشعب ومحاكمة الملك واعدامه ثم اعدام الملكة وما تخلل ذلك من الاضطرابات السياسية . وهذا كله



مدموازل ديسيني

التي كانت تشبه الملكة والتي حسبها الكردينال اياها

ممزوج بحوادث غريبة وفكاهات في منتهى اللذة فيقرأ القارىء تاريخ الثورة الفرنسوية كلها وهو يحسب نفسه انه يقرأ قصة بسيطة

وبما ان هذا التاريخ لم يوضع باللغة العربية بعدُ فقد اقبل القراء على مطالعة نهضة الاسد ووثبة الاسد من كل صوب . وقد قال لنا بعضهم انه قرأ هذه الرواية مرتين وقدشرع في قراءتها للمرة الثالثة فلم نعجب من ذلك لاننا نحن حينما عثرنا على اجزائها الفرنسوية منذ بضعة اعوام تركنا كل مطالعة حتى اتممناها كلها وكثيرًا ما سهرنا فيها الى ما بعد الساعة الثالثة من منتصف الليل مع كراهتنا لمطالعة روايات غيرها

وقد أصدرنا منها الى الآن الجزء الاول والثاني من « نهضة الاسد » والجزء الاول من « وثبة الاسد » بقي الجزء الثاني من وثبة الاسد وجزء « فريسة الاسد » وهو الاخير وسيظهر هذان الجزءان في مجلد السنة القادمة . اما الاجزاء الثلاثة الصادرة الى الآن فانها تُطلب من الجامعة او من وكلائها في الجهات

✻ قضية اكبر من قضية دريفوس نشأت الثورة الفرنسوية منها ✻ ومن الصور والرسوم العديدة التي زينا بها هذه الرواية الرسوم التي وضعناها في هذا الفصل . وهي رسوم اصحاب القضية المعروفة « بقضية عقد الملكة » التي كانت من اعظم اسباب الثورة الفرنسوية . اطلب بيانها بالتفصيل في هذا الجزء الصفحة ٩١ من الرواية والصفحة ١١١ فان هذه الحادثه التاريخية من اعظم حوادث فرنسا وقد اشتغل بها العالم في ذلك الزمان اكثر مما اشتغل بحادثة دريفوس في الاعوام الاخيرة

ويحسن بهذه المناسبة ان نوجه انظار القراء ايضًا الى ما ورد عن الخطيب ميرابو في الصفحة ٨٣ و٩٢ من الرواية في هذا الجزء وما ورد عن روبسبير وبونابرت من الصفحة ٩٦ فصاعدًا فان ذلك يدل احسن دلالة على نسق هذه الرواية

السيد فضل باشا — ولد سنة ١٢٤٠ هـ في مالابار بالهند واشتهر بالعلم في الهند وبلاد العرب وهاجر الى مكة مسقط راس جده وفي سنة ١٢٦٩ جاء الى دار السعادة ثم عاد الى مكة.وفي سنة ١٢٨٧ زار دار الخلافة مرة ثانية في عهد السلطان عبد العزيز ثم عاد الى مكة ومنها الى ظفار التي صار اميرًا عليها ثم جاء دار السعادة مرة ثالثة في عهد جلالة السلطان الحالي ولبث الى ان توفي في اواخر جمادى الثانية سنة ١٣١٨ وله مؤلفات كثيرة نافعة

(تقويم المؤيد)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء فاذا ادرتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة

خوف الغرب من الشرق

﴿ المدارس حاجتنا الكبرى ﴾

(تنبيه يجعل الصمّ يسمعون والعمي يُبصرون)

كان الشرق يخاف الغرب فاصبح اليوم الغرب يخاف الشرق ايضاً

كان الشرق يخاف الغرب كما يخاف الاخ الضعيف اخاً مستبداً قوياً . واصبح الغرب يخاف الشرق كما يخاف الاخ المستبد القوي اخاً مقعداً كان قوياً ويخشى ان يسترد قوته

وخوف الغرب من الشرق انواع . فتارة يخشى الغرب الخطر العسكري وهو ان يقوم من اواسط آسيا تيمورلنك ثانٍ او جنكيزخان ثانٍ فيكتسح اوربا بملايين جرارة من الجنود الاسيويه . وهذا ما يسمونه « الخطر الاسيوي » وطوراً يخشى ان يقوم من قلب سلطنة الروس قيصر فاتح فيجند ملايينه ويصرع بها اوربا كما صرعها نابوليون الاول في بدء القرن التاسع عشر . وهذا ما يسمونه « الخطر الروسي » وآونة يخشى ان تهبّ ملايين الصينيين الى الاخذ بالثأر من الاوربيين فيهاجمون اوربا ويقتلونها كما قتل برابرة الشمال رومه وقضوا على سلطنتها . وهذا ما يسمونه « الخطر الاصفر او الخطر الصيني » . وتارة يخشى ما يسميه « العصبية الاسلامية » وهي ان يتحد مسلمو العالم باسره على مقاومة اوربا ويستميلوا اليهم ملايين البشر الذين يعبدون برهما وبوذه في الهند والصين . وهو ما يسمونه « الخطر الثلاثي »

هذه هي الاخطار التي كان يخشاها الغرب الى هذا الاوان . وقد زيد عليها في هذين العامين خطر جديد يقول عنه بعض ساسة الغرب انه اقرب واعظم من الاخطار الخيالية

التي تقدمت الاشارة اليها

فقد صدر في الشهر الماضي كتاب جديد عنوانه « الخطر الاصفر » لمؤلفه المسيو « ادمون تاري » مدير مجلة « الاوربي الاقتصادي » وفي صدره مقدمة بقلم السياسي البارون دستورنل الذي كان من مندوبي فرنسا في مؤتمر السلم الذي اجتمع في لاهاي . وموضوع هذا الكتاب ينحصر في الاسطر التالية

« ان اوربا بحملتها على الصين تبحث عن حتفها بظلفها . فان الصين بعد هذه الحرب ستنفتح عيناها وتنهض لاقتباس التمدن الاوربي متخذة شعارها « الصين للصينيين » . ومتى بلغت من هذا التمدن مبلغه قلبت ظهر المجن للاوربيين اساتذتها وطردتهم من بلادها اي استغنت عنهم في كل شؤونها وقبضت بنفسها على زمامها . ثم توجه انظارها الى اليابان وتحالفها اتقاء لشر اوربا . فيرضى اليابانيون بمحالفتها ويرسلون اليها اساتذة يابانيين لتعليمها الصناعة وانشاء المعامل فيها . فيكون اليابانيون هم المعلمين والصينيون التلامذة . ومتى حدث ذلك صارت الصين قوة هائلة لا تقف في وجهها قوة . لانها تنشئ حينئذٍ معامل للسلاح وللصناعة . فبالسلاح تجند ملايين من رجالها وبالصناعة تخرب صناعات العالم كلها . ذلك ان الايدي العاملة في الصين تُعدُّ بالملايين . واجرة العامل الصيني في اليوم لا تبلغ ربع او خمس اجرة العامل الاوربي . فبهذه الوسيلة يستطيع الصينيون واليابانيون ان يجعلوا بضائعهم اقل ثمناً من البضائع الاوربية بعشر مرات ويرسلوها الى اوربا فيفسدوا صناعتها وتجارتها . ومتى فسدت صناعة اوربا وتجارتها اضطر اصحاب المعامل الى انقاص اجرة العمل فيأبى العملة ذلك ويعتصبوا اعتصابات متتابعة تفضي الى ثورات وفتن واهوال . فكأن الاوربيين الذين يبذلون جهدهم الآن لفتح الصين يسعون لخراب اوربا اقتصادياً وسياسياً . فليتركوا الصين مقفلة واذا قدروا على ابقائها في دائرة الجهل والخشونة فلا يمتنعوا عن ذلك حفظاً لمستقبل اوربا »

هذه خلاصة هذا الكتاب . وقد كان لهذا الكتاب دوي شديد في اكثر الاندية الاقتصادية في اوربا لانه نذير للاوربيين بالخراب ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . فصدقه بعضهم وكذبه آخرون . اما الذين صدقوه فانهم قاموا يطلبون مع المؤلف ترك الصين وشأنها تمدنت او لم تتمدن وسحب الاموال والجنود والتجار والمهندسين منها . واما الذين كذبوه فقد بنوا كلامهم على حجج يجدر بنا ايرادها لان فيها عظة وعبرة لجميع الامم الشرقية

فقد قالوا ان الحرب الاوربية في الصين دلت اوربا على انه لا يكفي ان توضع اسلحة متقنة في ايدي الوف من الناس ليحوزوا اكليل النصر فان النصر في الحرب لا ينال فقط بالسلاح ولكن بالايدي التي تدير السلاح يعنون قوة قلوب الجنود وحسن القيادة . نعم ان الصين اذا لجأت الى الخدمة العسكرية الاجبارية تستطيع ان تجرد من شعبها ٣٠ مليون رجل ولكن اين المال الكافي لحشد هؤلاء الرجال ومن اين للصينيين البراعة في القيادة التي هي اهم شروط الانتصار فان هذا امر لا يناله الصينيون الا اذا اقتبسوا تمدننا بتمامه ولا شيء يدل على انهم يقدرون على ذلك بل انهم برهنوا بما صنعوه في العام الماضي على عكسه اي برهنوا على قلة ذكائهم وانحطاط عقولهم بظنهم انهم اذا اثاروا الوفاً من الصينيين على الاوربيين وذبحوا سفراءهم قدروا على التخلص منهم . فالخطر الصيني العسكري اذاً قد زال وحلَّ محله الخطر الاقتصادي

ولكن اذا نظرنا الى هذا الخطر بامعان وتامل لم نجد له اثراً ايضاً . ويكفي لاثبات ذلك ان نشبه الصين بالهند . فقد اثبت الاحصاء الاخير ان عدد سكان الهند ٣٠٠ مليون نسمة ومعلوم ان اجرة العمل فيها اقل منها في الصين وقد مات من سكانها في العامين الماضيين عدة ملايين جوعاً وهذا يثبت انهم كانوا يعملون باية اجرة كانت لو دُعوا الى العمل للحصول على قبضة الارز التي تبقي لهم الحياة . ولا يخفى ان الهند في يد انكلترا وانكلترا هي اعظم قوة صناعية الآن . فلماذا لم يتخذ الانكليز قلة الاجرة في الهند وكثرة الايدي العاملة فيها ذريعة لافساد صنائع العالم بمزاحمة عظيمة كالمزاحمة التي يخشاها من الصين القائلون بالخطر الاصفر

السبب في ذلك ان المسالة الكبرى في صنع المصنوعات وانشاء المعامل ليست قلة الاجرة وكثرة العملة ولكن « المقدرة على العمل » « والرغبة فيه »

فانك اذا اخذت ثمانية عملة لا مقدرة لهم على العمل اي لا براعة ولا مهارة في يدهم لصنع ما تطلبه منهم وكانت اجرة كل واحد نصف فرنك ثم اخذت عاملاً واحداً قادراً على العمل الذي تريده واجرته ٥ فرنكات هل تظن ان الثمانية يقدرون ان يعملوا عمل الواحد . كلا . وكذلك الصينيون والهنود بازاء اوربا . وان قيل انهم يتعلمون العمل اجبنا ان مهارة الاوربي في عمله انما هي ثمرة تمدنه قروناً طوالاً . وهذه اليابان قد تمدنت ومع ذلك فانها لم تقدر الى الآن على مناظرة اوربا الا في المصنوعات التي لا تستلزم مهارة يدوية في العمل بل يكون اكثر العمل فيها ميكانيكياً اي بواسطة الآلات البخارية

فالصينيون اذاً لا يقدرون ان يعملوا عمل الاوربيين ليناظروهم · بقي الامر الثاني وهو هل يرغبون في هذا العمل

اما الرغبة في العمل فانها تقتضي دافعاً اي سبباً · وما السبب الذي يدفع الصينيين الى صنع المصنوعات الكثيرة وتغريق اوربا بطوفانها · لا نرى الآن سبباً لذلك على افتراض مقدرتهم عليه · وانما يوجد السبب اذا تمدنت الصين وكثرت حاجاتها فترسل حينئذ بضائعها الى الخارج لتقايض عليها ببضائع اوربية · وحينئذٍ تعيد ما عملته اليابان · فان هذه الدولة كانت اجرة العمل فيها قليلة فلما انشأت اسطولها ونظمت جيشها واقامت المنافع العمومية في بلادها كثرت حاجات شعبها فارتفعت الاجور بحكم الطبع · وكلما ازدادت رسوخاً في التمدن ازدادت اجور عملتها ارتفاعاً · وقد تضاعفت اجور النساء في معامل الغزل اليابانية في عشر سنوات فقط · ومع ذلك فلم تبلغ قيمة صادرات اليابان الى اوربا سوى ٢٢ مليون فرنك في العام وهي تستورد منها ما قيمته ٣٨ مليوناً · فاذا نسجت الصين على هذا المنوال او ضاعفت هذا المقدار مائة مرة على هذه النسبة فاي خطر فيه لاوربا · بل قد يكون لطوفان البضائع الصينية فضل عظيم على اوربا وهو انقاص اثمان حاجيات الحياة وجعل المعيشة في العالم قليلة النفقات · فيومئذٍ لا يشكو العملة في اوربا من انقاص اجورهم لان المعيشة تصير هينة سهلة عليهم

ولكننا في الحقيقة نرى ان الصين عاجزة عن صنع العجيبة التي صنعتها اليابان · فان لغتها ستكون عثرة في سبيل ارتقائها لما فيها من الاضطراب واليبوسة وتعدد الحروف · وجنس الصينيين يختلف عن جنس اليابانيين ودينهم يختلف عن دينهم ايضاً فلا سبيل لتشبيه اولئك بهولاء · فكل ما يرجى ان يُصنع في الصين بعد الحركة الحاضرة هو مد السكك الحديدية في جميع اقطارها الشاسعة لتمهيد سبل التجارة للاوربيين واستخراج معادنها الواسعة وهذا العمل سيكون اوربياً ولا ينتفع احد به اكثر من الاوربيين · وهكذا تبقى الصين كما هي اليوم خزانة ثروة وغنى للاوربيين يغترفون منها ما شاؤوا دون ان يكون لهم منها خوف او اذى

هذا ما يقوله السياسيون والكتاب الافرنج في هذا الموضوع · وهو قول غامض هل من يفسره

نعم وكأننا نرى تفسير ذلك في هذا الكلام الواضح الجلي : — « ان الصين سلطنة يسكنها اكثر من ٤٠٠ مليون شخص وفي ارضها معادن كثيرة فالاوربيون يسوقون

الصينيين الى المعادن التي في بلادهم ليستخرجوها لهم بالاجرة . وتلك الملايين العديدة تعمل ليلاً ونهاراً في المعادن والزراعة والوظائف والخدمة ليكسب الشخص الواحد منها ٢٠٠ او ٥٠٠ فرنك في عامه ومتى كسبها اتى بها الى التجار الاوربيين وابتاع بها منهم انسجة ليلبسها هو واولاده واثاثاً لمنزله وآلات ليشتغل بها وكماليات اخرى لا عدد لها . فكأن ملايين النفوس في الصين تشق نفسها في العمل من اجل تجار الاوربيين وصناعهم وتسخر تسخيراً لاستهلاك بضائعهم وردها اليهم ذهباً وهاجاً . فمثلهم في ذلك مثل الخادم الاجير حتى في نفس بلادهم . وكل حياتهم تنحصر في هذه الكلمة الثقيلة : انهم يتعبون و يشتغلون و يعيشون لغيرهم . واذا اظهروا شيئاً من علامات الرجولية واهتموا بانفسهم نادوا عليهم في اوربا « بالخطر الاصفر » يوهمون انهم يريدون به « خطر الجنس الاصفر » والحقيقة انهم يخشون « خطر فرار الذهب الاصفر » من ايدي تجارهم وصناعهم ...

. . . .

هذا ما اردنا الاشارة اليه في هذا الموضوع وقد اطلنا الكلام لنوصل القراء الى هذه النتيجة وهذا السؤال : هل تحسبون ان هذه الحالة هي حالة الصين فقط ام هي حالة جميع الامم الشرقية

انظروا الى المصريين والعثمانيين الذين هم بعد اليابان ارقى الشرقيين الا ترونهم يشبهون الصينيين كل الشبه من هذا القبيل

لقد زرنا الغربيين في بلادهم فاقتبسنا اخلاقهم ولا نندم على ذلك لان الحسن منها اكثر من القبيح لمن يحسنون الاقتباس . وقرأنا رواياتهم فبثت في هيئتنا الاجتماعية الميل الى الخلاعة والاسراف . و وضعنا اولادنا في مدارسهم فعودوهم عاداتهم وعلموهم يوم لم يكن عندنا مدارس وان كان تعليماً ناقصاً وغير منطبق على حاجاتهم . واتوا بلادنا بخيلهم وخولهم وحريرهم وديباجهم فراقنا ذلك وتشبهنا بهم

ولكن كل ذلك يستلزم مادة للاستهلاك اي بضاعة تسد الحاجة التي انشأتها تلك العادات . فجاؤنا ببضائعهم كما جاؤنا بعاداتهم . من الطربوش وزره الى الحذاء ومسماره . فابتعناها ولبسناها وليس لنا منها غير الجسم الذي وضعناها عليه . و بقينا نشتغل ونعيش لنحصل مالاً ندفعه ثمناً لبضائعهم

وفي اثناء ذلك ماذا تصنع مدارسنا . — انها تخرج طلبة بارعين في استهلاك تلك البضائع قليلي المعرفة بطرق تحصيل اثمانها . وما هي علومها — هي الصرف والنحو والشعر واللغة

والادب وما جرى مجراها · فاذا كان يلذ لنا ان نبقى هكذا اجراء الى الابد نشتغل لغيرنا ونتعب لنغني الناس في اوربا فلنبقَ كما نحن ولا نهتم بالمدارس الصناعية والزراعية · هذا تنبيه جدير بان يجعل الصمّ يسمعون والعميَ يُبصرون

باب تدبير الصحة

ما يعلق بذيول السيدات في ساعة واحدة

(تنبيه للسيدات)

اجتمع في الشهر الماضي مؤتمر علمي في لندن وبحث بحثاً جدياً في مسالة طول ذيول السيدات · فاستدعى الدكتور كزا كراندي بضع سيدات في اثناء الجلسة والبسهن (فساطين) جديدة ذات ذيول طويلة ثم طلب منهن ان يسرن بها ساعة واحدة في شوارع لندن ويعدن اليه · فتنزهت السيدات ساعة في شوارع لندن ثم عدن الى المؤتمر حيث كان ينتظرهن العلماء فتناول هؤلاء تلك (الفساطين) وفحصوا ذيولها بالميكرسكوب فوجدوها مثقلة بالوف وملايين من ميكروبات الانفلونزا والسل والحمى التيفوئيدية وغيرها · فقرر المؤتمر في الحال وجوب ان تمتنع النساء عن جعل ذيولهن طويلة · وقد قال الدكتور كازا كراندي ان المرأة التي تكنس ميكروبات الشوارع بذيلها الطويل ثم تعود الى بيتهـا وتنظف (فسطانها) وتنفضه في غرفة نومها او بازاء سرير طفلها فانها تكون كمن ينقل السل والحمى وما اشبهها الى بيتها واولادها · فلتحذر السيدات فان هذه المسالة باعظم مكان من الاهميـة

ضرر لحم الحيوانات الخائفة والمتعبة

كثيراً ما يأكل الانسان من لحم ثم يحس بمغص او اعراض كاعراض التسمم فعلى الغالب يكون ذلك ناشئاً عن اللحم نفسه وذلك ان الحيوان اذا خاف قبل الذبح او اذا كان تعباً جداً من مطاردة الصياد له فان جسمه يفرز مادة كيماوية يكون لها خواص السم احياناً وقد استشهد لبيك على ذلك بشاة وحشية وقعت في الاشراك وبقيت هنيهة تتخبط فيها وعليها

لوائح الذعر الشديد فلما اكل صيادوها من لحمها ظهرت اعراض التسمم فيهم جميعاً ٠ فالواجب اذن ان تكون الحيوانات مستريحة قبل ذبحها وان لا يجعلها الجزار تخاف ساعة الذبح اي انه يجب الرفق بها عند ذبحها ما دام لا يمكن ابطال هذا الذبح النظيع

طرد الفأر والجرذ

اكتشف احد الزراع الانكليز ان الفئران والجرذ تفرُّ من رائحة النعنع فقد نثر حول خزائنه بعض اوراق من هذا النبات فما انقضت بضع اسابيع حتى لم يبقَ فأر في منزله وقد يُستغنى عن النعنع الاخضر بروح النعنع وهو يطلب من الصيدليات

فائدة للصغار قبل النوم

قبل ان ينام الاولاد الصغار يحسن ان تتناولي منديلاً وتجعليهم ينفضون به كل ما في انوفهم من الفضول فان ذلك يُخرج من انوفهم ما يتصل بها من الميكروبات مع الغبار والهباء فلا تنزل الى رئاتهم في اثناء النوم ٠ وفضلاً عن ذلك فان تنظيف الانف يسهل التنفس للولد اثناء نومه ومتى كان التنفس سهلاً لم يفتح الولد فاه اثناء النوم ليتنفس منه فاذا بقي في انفه شيء من الجراثيم تعذر عليها حينئذ النزول الى صدره لان الباب يكون مقفلاً

ضرر جديد للتدخين وفائدة للسعوط

قال الدكتور غومرول ان للتدخين ضرراً غير ضرر النيكوتين (المادة المخدرة السامة التي في التبغ) ٠ وهذا الضرر الجديد هو استنشاق المدخن ما في دخان التبغ من اوكسيد الكربون و بلوغ هذا الاوكسيد حين استنشاقه الدخان جميع اعماق صدر الانسان ٠ ولا يخفى ان هذا الاوكسيد هو من اشد اسباب مرض الانيميا (فقر الدم) وامراض الدماغ العصبية

و يقول هذا الطبيب ايضاً ان المتقدمين كانوا يستنشقون مسحوق التبغ اكثر مما يدخنونه فكان لهم في ذلك فائدة كبرى وهي ان مسحوق التبغ يقتل الميكروبات الكثيرة التي تعشش في تجاويف الانف فتمنعها من الوصول الى الصدر واحداث الضرر فيه٠ ولذلك فهو يحلل السعوط و يحرم التدخين

لاجل جعل الاظفار وردية اللون

اذا كانت اظافرك غير جميلة فامزجي ١٠ غرامات من الاسيد سولفرينك و٥ غرامات من صبغة المير و١٢٥ غراماً من الماء المقطر · ثم ادهني اظافرك في كل صباح ومساء بشيء من هذا المزيج وادلكيها عند الظهر دلكاً بقطعة نسيج ناعم فلا يمر اسبوعان حتى تنعم و يصير لونها وردياً

باب الاخبار العلمية

﴿ مضار التلفون ومنافعه ﴾ اذا كان للتلفون منافع فله مضار ايضاً ولا سيما في القهاوي والاماكن العمومية حيث يكثر المتكلمون به فتنتقل منهم الى الاسطوانة التي تقتبل الصوت والآلة التي يقبضها المتكلم ليضعها على اذنه جراثيم امراض مختلفة · ولذلك يضعون في اوربا بازاء التلفون قطعة من النسيج مبلولة بمواد تقتل الجراثيم لمسح الآلتين المذكورتين بها بعد كلام كل متكلم · على انه متى عم استعمال التلفون الناطق جهراً اي المتكلم كلاماً يُسمع من غير وضع الاذن عليه فان هذا الضرر يزول لا محالة

وقد ساعد التلفون اعظم مساعدة في تقريب المسافات وتسهيل الاشغال ولكنه مع ذلك لايزال غالي الثمن والمرجح ان هذا التسهيل لا يبلغ حد التمام والكمال الا على يد التلغراف بلا سلك · وقد تفنن المخترعون بالتلفون فجعلوا منه آلة تجهر بصوت كصراخ الصارخ مع ان المتكلم على مسافة بعيدة · واخترع الكابتن شارولوى تلفوناً عسكرياً ينتقل في الجبال والاودية ولا مركز له الا ظهر جندي · وقد تصرف مربو المواشي في اوستراليا بالاسلاك الحديدية الممتدة حول الحقول والاراضي لصيانتها فاقاموا بجانبها آلات صغيرة لتوليد الكهربائية واتخذوا تلك الخطوط موصلاً بينها فاصبحوا يستطيعون مخاطبة الرعاة بهذه الطريقة على ابعاد مختلفة · وقد اخترع بعضهم الاهانة او السرقة بالتلفون و بعضهم ابتكر الزواج بواسطته · ولكن احسن من ذلك اتخاذ التلفون منبهاً · وذلك بان يتفق صاحب البيت مع ادارة الشركة ان تنبهه في الساعة السادسة او السابعة من صباح كل يوم فلا يجيء ميعاد التنبيه حتى ياخذ جرس التلفون بالقرع ولا يقف الا متى اجاب صاحب البيت انه قد انتبه

﴿بلاد مريم المجدلية﴾ سافرت مدام متيلد سيراو الكاتبة الايطالية الى فلسطين لزيارة مجدلة بلاد مريم المجدلية وهي الخاطئة التي ورد ذكرها في الانجيل فوجدت ان ذكرها ما زال منتشراً في بلادها وقد دلها بعض السكان على بقايا قصر يقولون انها كانت تقيم فيه . اما مجدلة نفسها فلم تعد سوى قرية صغيرة يسكنها صيادو السمك وليس فيها من دليل على ما كان فيها من الخصب الماضي سوى ارض صغيرة مغروسة نخيلاً . وبجانب مجدلة بحيرة طبرية وقد كان حول هذه البحيرة في الزمن القديم خمس مدن كبيرة وهي كفر ناحوم و بيت صيدا ودلمانوثا وكور زين ومجدله . وكلها الآن خراب يباب لا تكاد آثارها تدل عليها . وقد ورد عنها في الانجيل منذ القديم ما نصه :

« حينئذٍ ابتدأ (يسوع) يوبخ المدن التي صنعت فيها اكثر قواته لانها لم تتب . ويل لك يا كورزين و يل لك يابيت صيدا . لانه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد ولكن اقول لكم ان صور وصيداء تكون لها حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما . وانتِ يا كفر ناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية . لانه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيكِ لبقيت الى اليوم ولكن اقول لكم ان ارض سدوم تكون لها حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لك »

﴿فتاة يخرج من جسمها ابر﴾ من غرائب الامور وجود فتاة في سان جرمان انلاي في فرنسا تخرج الابر من جسمها . وذلك انها تشعر بحكة في مكان في جسمها فتنظر اليه فتجد ابرة خارجة منه فتذهب الى الصيدلي فيخرجها منها . وهي لا تشعر بالم لا حين الحك ولا حين اخراج الابرة . وقد اخرج لها الصيدلي الى الآن نحو ٨٠ ابرة ٣٠ من ظاهر كفها و١٢ من عنقها و٤٠ من ذراعها اليسرى و٦ من عينها و واحدة من ظهرها و٢ من بطنها و٣ اخريين من صدرها في الجانب الايسر . وكلها تظهر من الجانب المخروم الا التي ظهرت في اليد فانها ظهرت افقية . وتدعى هذه الفتاة جولين لاندر يو وهي في السادسة عشرة من عمرها . واما سبب خروج هذه الابر من جسمها فهو انها راهنت منذ خمس سنوات احدى رفيقاتها على انها تبتلع ورقة ابر ثم ابتلعتها فدخلت هذه الابر الى دمها وانتشرت مع الدم في جسمها . ولا خطر عليها في ذلك الا اذا اعترضت احدى الابر الشرايين افقياً او ان تتجه واحدة منها الى عضو رئيس كالقلب او الرئة او ان تخترق المعى فهناك المصيبة الكبرى

﴿كبار العقول والتاثر﴾ ما اكتشف باستور داء الكلب وهو اكتشافه العظيم حتى

وصل الى حالة من التأثر اشد من حالات النزق · وهذه الحالة تصيب كثيرين من الرجال العظام الذين يكتشفون الامور العظام ويصرفون عقولهم اليها دون سواها · ولذلك قال الاستاذ لومبروزو الايطالي الشهير ان في كبار العقول شيئاً من الجنون · وقد خالفه بعضهم ونفى هذه التهمة عن اصحاب العقول

﴿مجموع المستخرج من الفحم الحجري في العالم﴾ بلغ المستخرج في سنة ١٨٩٩ من الفحم الحجري في العالم ٢١٢ مليون طن في انكلترا و١١٠ ملايين طن في المانيا و٨٢ مليون طن في باقي اوربا و١٢٨ مليون طن في الولايات المتحدة و٤ ملايين في كندا و٤ ملايين وربعاً في الهند و٦ ملايين وربعاً في اوستراليا و٦ ملايين في اليابان ومليوناً ونصفاً في الترانسفال واورانج فالمجموع نحو ٦٤٤ مليون طن · وستسود الولايات المتحدة سائر البلاد في تصدير الفحم الحجري لان البلاد الانكليزية قد اصبحت مناجمها بعيدة الغور لكثرة ما استخرج منها ولذلك تزداد الاجرة فيها · ويقال ان الفحم الاميركي اصلب مادة واكثر توليداً للحرارة من الفحم الانكليزي

﴿ابتلاع الارض قرية﴾ روت جريدة الطبيعة الفرنسوية ان الارض تزحزحت في ٢١ مارس الماضي في جبال الابنين الايطالية قرب قرية تُدعى "فيكليو" فما شعر سكانها الا وقريتهم اخذت تسير من سفح الجبل نحو الوادي فبادروا الى نسائهم واولادهم واموالهم فنقلوها منها وبعد يومين غابت القرية عن النظر في جوف الارض ولم يبقَ مكانها سوى مياهٍ اجتمعت هناك من فيضان نهر قريب

﴿الغذاء في المستقبل﴾ يقول المسيو ليلنفلد ان غذاء الانسان في المستقبل سيكون علبة صغيرة كيماوية فيها شيء قليل من مركب كيماوي مؤلف من خواص مواد الغذاء ويكون ثمن هذه العلبة مساوياً لثمن علبة الشيكولاته (غرشين) ويكفي غذاؤها الرجل الواحد يوماً كاملاً (٢٤ ساعة) ...

وقد قال المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي الشهير ان المسالة الاجتماعية الحاضرة اي مسالة الاشتراكيين والعملة انما هي مسالة كيماوية فمتى حلت الكيمياء مسالة الغذاء على هذا الوجه صارت المعيشة رخيصة جدًّا وبالتالي صار الانسان سعيداً اذ يخف او يزول زحام البشر ونزاعهم وتبطل اكثر المظالم والشرور والجرائم الموجودة الآن · حقق الله احلامهم

باب التقريظ والانتقاد

﴿ قاسم بك امين في اميركا ﴾ اهتمت الجرائد العربية التي تُطبع في اميركا « بكتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة » كما اهتمت بهما جرائد مصر والهند والشام. وقد قالت رصيفتنا جريدة المناظر الغراء في احد اعدادها الاخيرة بعد نقلها راي المقتطف الذي شبه جناب قاسم بك امين بلوثيرس وراي الجامعة التي شبهته بديكارت ما نصه

« ذان هما الرجلان العظيمان اللذان صار قاسم بك امين في مصفهما لانه لفظ كلمة لم يلفظها قبله احد . والجرأة في الجهر بالحقائق من نتائج العلم الصحيح . فليسلم محرر المرأة وليسلم العلم الصحيح الذي كبر قلبه وساعد الارتقاء في الشرق على هذه الخطوة الكبيرة »

وقالت في مكان آخر بعد اشارتها الى كتاب صاحب العطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار وابيات حضرة محمد بك حافظ التي نشرناها في الجزء الماضي هذه الكلمات التي تقوم مقام مقالة

« حقيق ان اكثر اخواننا المسلمين اكثروا ويكثرون من معارضة قاسم بك امين ولكن اذا كان في الجهة الناصرة مثل عطوفتلو مصطفى باشا فهمي ومثل صاحب المنار ومثل صاحب الابيات فلايطول ان تصير الاكثرية في هذه الجهة حقق الله آمال المصلحين »

وقد بلغنا ايضاً ان بعض الجرائد الاميركية قد نقلت راي صاحب الكتابين واستحسنته جداً

﴿ تقويم المؤيد ﴾ من الكتب التي لا يجب ان تخلو منها مكتبة كتاب تقويم المؤيد الذي يصدره في كل عام حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود المحرر في جريدة المؤيد وقد قلنا « يصدره » وكان يجب ان نقول « يؤلفه » لان هذا الكتاب من اجزل الكتب التي تؤلف الآن نفعاً ففيه فصول في علم الفلك وتاريخ مصر قديمه وحديثه واقسام الممالك وجوغرافيتها وتراجم ملوك اوربا ورسومهم ونوادرهم وتراجم الوفيات من الملوك والعلماء ورجال السياسة في اثناء العام وجداول مواعيد السكة الحديدية المصرية وتعريفتها واخبار عن البوسطة والتلغراف وتعريفة المركبات والمكاييل والموازين في جميع الامم والاكتشافات والاختراعات والطبيعيات والفكاهات واداب المعاشرة والسلوك عند الشرقيين والغربيين

وفوائد في تدبير المنزل واختيار الخدم وفوائد طبية وتاريخ حرب الصين وحرب الترانسفال وبيان عن احوال مصر في العام الماضي وغيرها من الفوائد والمعارف التي يجب تعميمها بين افراد الشعب بطريقة بسيطة قريبة المناولة كهذه الطريقة والتي صاربها هذا التقويم بمثابة انسيكلوبيذية صغيرة توضع في الجيب · فنثني على همة مؤلفه ونحث جميع القراء على اقتنائه وهو يطلب من ادارة جريدة المؤيد في القاهرة

﴿ رجال السيف ﴾ اهدتنا ادارة جريدة الرقيب الغراء نسخة من رواية عنوانها « رجال السيف » معربة بقلم جناب الذكي البارع زاكي افندي مابرو وهي من تاليف الكاتب الفرنسوي بونسون دي ترايل · وهذه الرواية حلقة من سلسلة روايات في غاية الطلاوة والفكاهة وهي معربة باسلوب رقيق فنحث محبي الروايات على مطالعتها · وهي تطلب من المكتبة الخديوية في الثغر وثمنها ستة غروش صاغ

﴿ ثمرة الغواية ﴾ هي رواية تمثيلية ذات خمسة فصول لمؤلفها جناب احمد افندي صادق وهي تطلب من حضرة المؤلف في الثغر وثمنها ١٠ غروش صاغ

﴿ مجلة المجلات العربية ﴾ انشا حضرة الفاضل محمود افندي حسيب مجلة علمية ادبية سياسية عنوانها « مجلة المجلات العربية » وهي تصدر مرة في الشهر وقيمة الاشتراك فيها ٧٠ غرشاً في القطر و٢٥ فرنكاً في الخارج فنرحب برصيفتنا الجديدة وندعو لها بما هي اهل له من النجاح

﴿ المنتحل ﴾ اعلن حضرة الفاضل الشيخ احمد ابو علي امين المكتبة البلدية في الاسكندرية انه شرع في طبع كتاب « المنتحل » تاليف الامام ابي منصور الثعالبي الذي عاش بين سنة ٣٥٠ و٤٢٩ هجرية وموضوع هذا الكتاب ابحاث في الكتابة والبلاغة ومكارم الاخلاق والمديح والاستعطاف والهجاء وشكوى الزمان والامثال والاداب والسلطانيات وما يليق بها والعيادة وما جرى مجراها · وقد جعل قيمة الاشتراك في النسخة الواحدة ١٥ غرشاً صاغاً وهي قيمة زهيدة جداً بازاء حجم الكتاب الذي سيكون ٥٠٠ صفحة على الاقل · وفي شهرة مؤلف الكتاب ما يغني عن الحث على اقتنائه فنشكر حضرة ناشره لهذه الخدمة الادبية

﴿بشائر السلام﴾ هي مجلة دينية تبشيرية لصاحبها جناب نقولا افندي روفائيل وقيمة الاشتراك فيها ١٥ غرشاً في مصر و٢٠ في الخارج

﴿الثريا﴾ عادت مجلة الثريا الغراء الى الظهور بعد احتجابها الوقتي وهي تصدر مرتين في الشهر باداره حضرة موسى افندي روديتي فنثني على همة منشئها البارع ادوار افندي جدي ونرجو له النجاح

﴿شجرة الدر﴾ مجلة نسائية ادبية فكاهية لمنشئتها حضرة الفاضلة السيدة سعدية سعد الدين وهي تصدر مرة في الشهر باللغتين التركية والعربية وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ غرشاً في القطر و٢٠ فرنكاً في الخارج فندعو لوصيفتنا الجديدة بالنجاح والانتشار

﴿المراة في الاسلام﴾ اصدر حضرة الاديب الفاضل ابرهيم بك رمزي مجلة علمية تهذيبية عنوانها « المراة في الاسلام » وغرضها ظاهر من عنوانها وهو البحث في كل ما من شانه ترقية المراة المسلمة فنتمنى له التوفيق في خدمته لانها من انفع الخدم في الشرق وندعو لمجلته بالانتشار

﴿مجلة التاريخ﴾ اتمت مجلة التاريخ سنتها الرابعة ودخلت في الخامسة وقد صدر العدد الاول من سنتها هذه وفيه ابواب لحوادث العالم اليومية والاخبار المحلية · ومطبعة مجلة التاريخ مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من الاوراق التجارية والمطبوعات باسعار زهيدة وهي واقعة وراء صيدلية حضرات الخواجات خليل خوري واخوانه في الثغر · وقد صدر فيها في هذه الاثناء كتيب لطيف عنوانه « الرفيق المضحك » وهو يحتوي فكاهات ادبية وثمنه غرش صاغ واحد

﴿الروايات الشهرية﴾ صدرت الرواية الثالثة من الروايات الشهرية لصاحبها جناب الاديب يعقوب افندي جمال وعنوانها « فولكلاند » وقيمة كل رواية من الروايات الشهرية نصف فرنك اي ان المشترك فيها يدفع ستة فرنكات في العام فتصله ١٢ رواية منها وهو تسهيل حسن لمحبي الروايات فلا بدع اذا اقبلوا عليها

وقد كان يحرر هذه الروايات قبل الاخيرة منها حضرة الكاتب المجيد خليل افندي جاويش ولكن اعتلال صحته اضطره الى مبارحة مصر تبديلاً للهواء فنحن ندعو للخليل بالسلامة شفاه الله وعافاه

الجمعيات الخيرية يسرنا ان يقع نظرنا على كراس حاوٍ اعمال جمعية من الجمعيات الخيرية اكثر مما يسرنا وقوعه على كتاب صدر حديثاً لان كثرة الجمعيات الخيرية دليل من احسن الادلة على شعور الشرقيين بوجوب التعاون والاتحاد · وامامنا الآن خمسة كراريس من هذا القبيل

جمعية دفن الموتى باسكلة طرابلس — احدها كراس من جمعية دفن الموتى الارثوذكسية باسكلة طرابلس شام وهو يتضمن ميزانيتها للسنة الماضية وقد بلغ مجموع دخل الجمعية في هذه الميزانية ٢٠٧٩٥ غرشاً ومجموع النفقات على دفن الموتى الفقراء ومعالجة المرضى وتسفير الغرباء ١٢٣٧٤ غرشاً · وهي نتيجة حسنة جداً يستحق عليها حضرات اعضاء هذه الجمعية كل شكر وثناء

الاخوية الارثوذكسية في طرابلس — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية هذه الجمعية المتالفة من نخبة من ادباء النجباء وافاضلها وكلها شهادة ناطقة بفضل الذين سعوا وفضل الذين احسنوا · وقد بلغ دخلها في سنتيها الاوليين ٥٣٧١٦ غرشاً ونفقاتها على الكنيسة ٢٥٠٧٧ غرشاً والباقي محفوظ في صندوقها · وقد كتبت الينا ادارة الاخوية ان حضرات الوجهاء الاماثل الخواجات سمعان كرم واخوانه في الثغر قد تبرعوا لها بمبلغ ثلاثة آلاف غرش جرياً على عادتهم الحميدة في السخاء والايادي البيضاء

الجمعية الارثوذكسية في يافا — وقد وردتنا ايضاً نسخة من ميزانية الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا مصدرة بهذه الكلمات البليغة « بهذا قد عرفنا المحبة واما من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجاً واغلق احشاءه فكيف تثبت محبة الله فيه » وقد بلغ دخل هذه الجمعية ٦٠٣٤٤ غرشاً ونفقاتها ٢٢٥٤٦ غرشاً

جمعية مار منصور بالمنيا — ووردتنا ميزانية هذه الجمعية المتالفة في المنيا (مصر) برئاسة سيادة الانبا مكسيموس صدفاوي اسقف كرسي المنيا المحترم وقد بلغ دخلها في العام الماضي ٩٠٢٧ غرشاً ونفقاتها ٦٧٥٥ غرشاً

جمعية الاتحاد الادبية باسيوط — واهدتنا جمعية الاتحاد الادبية نسخة من قانونها ولائحة النادي الجديد الذي انشأته في اسيوط خدمة للادباء ·

فمما مر بك يتضح ان المحسنين في الشرق كثيرون وانه لا ينقصهم غير الايدي العاملة التي تستدر فضلهم على الضعفاء وتنفق المال في وجهه النافع

التساهل الديني

﴿ خطبة في اميركا ﴾ اهدانا حضرة الفاضل امين افندي ريحاني نسخة من الخطبة التي تلاها في جمعية الشبان المارونيين في نيو يورك في ليل ٩ فبراير الماضي وعليها هذه الكلمات « هدية الى مجلة الجامعة من اجل الانتقاد » . وعنوان هذه الخطبة « التساهل الديني » وقد علم قراء العربية موضوعها من كثرة تقريظ الجرائد لها وانتقادهم اياها

اما نحن فلا نكون في جانب المقرظين ولا في جانب المنتقدين بل نكون في الجانبين في وقت واحد . فاننا نستحسن كل الاستحسان ما ورد في الخطبة من الكلام البليغ والبيان الفصيح عن فضيلة التساهل وكونها المبدأ الوحيد الذي يمكن الاقوام المختلفي المذاهب من المعيشة بسلام وحب فوق ارض واحدة . ولكن الاختلاف العظيم انما هو في تعريف هذا التساهل . فاذا كان المقصود به ان يحترم الناس جميع الاديان التي ليس فيها مسٌّ لكرامة الانسان ولا نقض للنواميس الطبيعية كاليهودية والاسلامية والمسيحية والبوذية كما شرعها شارعوها لا كما هي الآن فان هذا المبدأ صحيحٌ غضب الناس عليه او رضوا عنه . واما اذا كان المقصود به ما يسمونه عدم الاكتراث بالدين لا التساهل — اذ بين الامرين ما بين الارض والسماء وقد قال الفلاسفة ان الكفر اخف ضرراً من عدم الاكتراث — فاننا نردُّ هذا المبداء ولا نستحسنه لانه يقطع الانسان عن مصدره الاعلى والذات الاعظم الذي اخذ منه ويهدم اساس الفضيلة في هذه الحياة

وليس من التساهل ان يقول حضرة الخطيب ما قاله في الاسطر الاولى من الصفحة ٢٩ فان مبدا التساهل اعظم من ذلك بكثير . وليس من التساهل ايضاً ان يقول في السطر الثاني من الصفحة ٣١ كلاماً كنا نودُّ ان لا يصدر عن قلم او فم عاقل مثله لاسيما وانه يعلم ان الذين عناهم قد احسنوا الى الانسانية بالشرائع التي وضعوها واخرجوها من ظلمات الهمجية وانهم ابرياء من كل ما حدث باسمهم من الضرر والشر اذ التبعة في ذلك على الذين اتوا بعدهم وغيروا تعاليمهم . وهذا يدلنا على ان تساهل جناب امين افندي ريحاني لا يزال فيه شيء من التعصب . فنحن نرجو ان يخرج في خطبة ثانية هذه الفضول من نفسه ويرقى بها الى التساهل الحقيقي

وان قيل ما هو التساهل الحقيقي اجبنا : هو ان تعمل بهذه القاعدة القديمة : اصنع بالناس ما تريد ان يصنع الناس بك لانك لست افضل من سواك . فمتى عمل الانسان

بها وادرك معناها الحقيقي احترم اديان الناس واعتقادهم ليحترموا دينه واعتقاده وبلغ من معرفة الحقيقة مبلغاً صار يعتقد عنده ان كل طعن في دين الغير طعن في نفس دينه لان الاديان واحدة في الوجهة وهي عبادة الله وان كانت مختلفة الطرق والفروع. ومتى صار الانسان يعتقد هذا الاعتقاد وينظر الى آراء الناس ومعتقداتهم حتى اغلاطهم واوهامهم وخزعبلاتهم نظرة الرفق والشفقة والاعتدال ولو كانت مضرة به ومخالفة لمبداءه — جاز له حينئذٍ ان يسمي نفسه حكيماً متساهلاً

اما قولهم انه لا بد للشرقيين من هذا الانقسام الديني لخلو ايديهم من شيءٍ يجتمعون حوله كالوطن والامة فهو خطاء محض. اولاً لان كل فريق من الشرقيين امة مستقلة بنفسها وان امتزجت بسواها ولكل واحدة منها امانٍ وآمال. وما الحكم عليها بوجوب بقائها منقسمة انقساماً دينياً واشتغالها بهذا الشيء عن كل شيء الا بمثابة الحكم عليها بالتزام الجهل والتاخر والموت الادبي الى الابد. وثانياً لان الفرنسويين منقسمون في الدين بين كاثوليك وانجيليين واحرار واسرائيليين انقساماً يشبه انقسام الشرقيين تماماً والنزاع بين هذه الاقسام هو على اشده لا سيما في هذه الايام ومع ذلك فلهم وطن معروف وهم امة معروفة. ولاخواننا المسلمين في الشرق وطن ايضاً وذلك لم يمنعهم من الانقسام وتقديم الدين على الوطن. فللتحمس الديني في الشرق اذاً اسباب غير فراغ ايدي الشرقيين من شيءٍ يجتمعون عليه. وهذه الاسباب لا نبحث فيها الآن

تاريخ الاسبوعين

﴿ مآثر الجناب الخديوي ﴾ فتحت جمعية "العروة الوثقى" في الثغر اكتتاباً لانشاء "مدرسة للصناعة" في الترسانة تذكاراً للمغفور له محمد علي باشا محيي مصر ومنشئ الاسرة الخديوية الكريمة فيها فافتتح الجناب الخديوي المعظم هذا الاكتتاب باربعمائة جنيه تبرع بها سموه حفظه الله اعانة لهذا العمل المفيد الذي تحتاج البلاد اليه. وقد تبرعت ايضاً صاحبة العصمة والدولة الحرم المصون بمائة جنيه وتبرع سمو الانجال الفخام بمائة اخرى ايضاً فلو اقتدى اغنياء البلاد بسموه وهم مشهورون بالسخاء والفضل منذ القديم فانهم لا يلبثون ان يعمروا عشر مدارس صناعية كبرى في كل مركز كبير من مراكز القطر واحدة

وقد افتتح في مريوط الجامع الجديد الذي انشأه فيها سموه على نفقته الخاصة فحضر صلاة الافتتاح فضيلة شيخ الجامع الازهر وغيره من العلماء . وقد تلا حضرة الاستاذ الشيخ سليمان العبد الابيات التالية بين يدي سموه على المائدة بعد الصلاة وهي

صفا الزمان وحسن الحظ اسعده ... وانجز الدهر بالاقبال موعده
لله مريوط ما احلى مشاربها ... واعذب اليوم صافيها ومورده
سقى رباها خديوي مصر غيث ندى ... فاصبحت روضةً واستمطرت يده
بنى بها مسجداً لله اخلصه ... فحق مريوط ان تثني وتحمده
وحق مصر بان تزهو مؤرخةً ... أنشى الخديو بعون الله مسجده

فسر سموه بها وامر بنقشها على بلاطة في صدر الجامع

والمأثرة الثالثة ان محافظ المدينة المنورة وشيخ الحرم النبوي وجها انظار سموه الى جر المياه من العين الزرقاء الى التكية التابعة لديوان الاوقاف في المدينة المنورة وجرها ايضاً من سيدنا زكي الى سيدنا حمزه على طريق امكة المكرمة فاصدر سموه الامر الى ديوان الاوقاف بفحص هذا المشروع الجديد وتقدر نفقاته بستة عشر الف جنيه . ولا يخفى ان فوائده غير محصورة في الحجاج المصريين بل تشمل جميع الحجاج . اطال الله بقاء سموه وحفظه ملجأً للرعية

﴿ الفيلسوف تولستوي ﴾ لو اردنا ان نلخص كل ما نشرته جرائد اوروبا عن الفيلسوف تولستوي منذ قطعه عن الكنيسة الروسية لاستغرق ذلك صفحات هذا الجزء بتمامها . وامامنا الآن ثلاثة فصول هامة في هذا الموضوع . الاول الكتاب الذي كتبه تولستوي الى جلالة القيصر ورجال دولته يحضهم فيه على الاصلاح بكلام كالسهام : والثاني الكتاب الطويل العريض الذي كتبه الفيلسوف الى المجمع المقدس يردُّ فيه على الحكم بحرمانه . ولم تجسر واحدة من الجرائد العربيه بعدُ على ترجمة هذا الكتاب بتمامه لانه يحتوي طعناً شديداً على تعاليم الكنيسة الروسية وانما نشر بعضها خاتمته وفيها يقول انه مسيحي حقيقي . والثالث جواب المجمع المقدس عن كتاب الكونتس تولستوي الذي نشرناه في الجزء الماضي . وقد نشرت هذا الجواب رصيفتنا المنار البيروتية . والظاهر ان وزير المعارف الروسية الجديد قد سكن افكار الطلبة الروس بسياسته الحكيمة المعتدلة فهمدوا وقد اصدر جلالة القيصر المشهور بالرأفة والحلم امراً بوجوب اصلاح التعليم في الكليات فكان ذلك فوزاً للطلبة

خاتمة السنة الثانية

نختتم في هذا الجزء السنة الثانية للجامعة بحمد الله تعالى على ما اسبغ من نعمه و بالشكر لحضرات الوكلاء والمشتركين والقراء الكرام الذين بلغت الجامعة بهمتهم ومساعدتهم في عامين ما لم يبلغه غيرها في اعوام . والحق يقال اننا لما اقدمنا على انشائها لم نتوقع لها ما تم لها لعلمنا بعجزنا وقلة بضاعتنا ولكن فضل الاصدقاء والمعارف والادباء وافاضل الشرقيين الذين عرفوا ان الجامعة تسد فراغاً في الصحافة الشرقية العربية اكمل ذلك النقص . وقد مرَّ الآن دور الطفولية على الجامعة وستظهر في سنتها الثالثه بمظهر الشباب ان شاء الله فتكون في عامها الآتي اكثر اتقاناً وضبطاً كما يدل على ذلك هذا الجزء

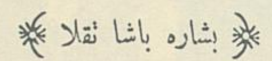
غير انه بالنظر الى تاخر صدور الاجزاء في آخر هذا العام للاسباب التي ذكرناها في حينه ولانتقال الجامعة من ادارتها في الميناء جعلنا اول سنة الجامعة اول شهر اغسطس القادم (آب) استرداداً لما فات من الوقت . وبناء عليه فالجامعة تصدر منذ الآن فصاعداً في اول كل شهر بالضبط التام ابتداء من شهر اغسطس الآتي وسندخل فيها في السنة القادمة تحسينات مهمة جداً

. . . .

هذا . ويسوؤنا الآن ان نطلع القراء على امر خصوصي . وهو اننا لما اقدمنا على انشاء هذه المجلة رغب الينا جناب ابن شقيقتنا الشاب الاديب مخائيل افندي كرم في ان يساعدنا فيها كرماً منه ومن حضرة والده فتولى ادارتها في هذين العامين . ولكن حضرته اضطر الآن من سوء الحظ الى ترك ادارة الجامعة والانسحاب منها للاهتمام باشغاله التجارية والسفر مع حضرة والدته الى لبنان تبديلاً للهواء فودعناه شاكرين له سعيه وهمته وان آلمنا فراقه كما آلمه فراقنا. ولا ريب عندنا ان الجامعة وقراءها لا ينسون ما له من الفضل عليها

وبناء على ذلك فاننا نرجو من جميع المراسلين والوكلاء ان يبعثوا منذ الآن فصاعداً جميع رسائلهم رأساً باسم « منشىء الجامعة » ولهم الفضل

مشاهير المتقدمين والمتاخرين



فقيد الشرق العظيم

بشاره باشا تقلا

صاحب جريدتي الاهرام والبيراميد

مات تقلا باشا . مات الرجل الذي علَّم الناس كيف يجب ان تكون الرجال . مات المقدام الذي وُلد صغيرًا في قرية صغيرة ثم بلغ به اقدامه وذكاؤه الى اقصى ما يمكن للشرقي بلوغه في بلاده : فشهرة طائرة طبقت الشرق والغرب . وثروة طائلة لم يجمعها احد من الصحافة قبله ولا يجمعها احد بعده . وجاه طويل عريض ساق اليه من كل جانب رتب الدول وساماتها . ومركز ادبي سام يشرف منه على ملايين الامم في الشرق والغرب ويخاطبهم بقلمه واقلام كتابه . فوق ذلك بنية قوية ثبتت في وجه عواصف الحياة حتى بلغت ذراها . ووجه صبوح باش كما تراه في رسمه يجتذب القلوب اليه ولو كانت متألمة منه . وامرأة فاضلة قلما نبغ في الشرق نساء في منزلتها من الفضل والذكاء ومعرفة واجبات الزوجة والام والسيدة

فماذا كان ينقص رجلاً تمت له هذه الصفات كلها لكي يعيش سعيدًا ويكمل العمل العظيم الذي بين يديه . حتى اذا بلغ ابنه الوحيد اشده القاه اليه ثم مات باطمئنان وسلام

كان ينقصه ان يكون البشر اقل رداءة وخبثًا مما هم عليه وان يكون هو اقل تأثرًا لاعتدائهم وحسدهم . ولكن قُدّر ذلك الامر فكان . ومات تقلا باشا في اطراف الكهولة قبل استيفاء ايامه كلها فمات بموته اعظم صحافي في الشرق منذ انشاء الصحافة فيه الى هذه الايام

ولما كان لهذا الفقيد العظيم على الجامعة وعلى منشئها فضل كبير فقد وجب علينا ان نذكر جملةً من سيرته واخلاقه واعماله مرجئين التفصيل الى حين تجتمع لدينا المواد اللازمة لذلك فنقول

﴿ ترجمته ﴾ ولد الفقيد رحمه الله في ٢٢ اغسطس من عام ١٨٥٢ في قرية كفر شيما من اعمال لبنان وهي القرية المشهورة بما نبغ منها من رجال الادب والفضل حتى لقد سماها بعضهم « ذات الماء الفضية » ثم قدم الى مصر في عام ١٨٧٦ مع شقيقه المرحوم سليم بك تقلا فانشئا فيها جريدة الاهرام . وكان عمر الفقيد يومئذٍ ٢٤ عاماً . ولا نسهب في ذكر المصاعب التي قامت في سبيلها لاول مرة والهمة التي قاوماها بها انما نكتفي بذكر كلمة للفقيد قالها قبل وفاته بخمسة اشهر في ادارة جريدته صدى الاهرام في الثغر . فان بعض اخصائه كتب اليه كتاباً شديد اللهجة يستعجله بشأن مطلب من المطالب فتأثر من ذلك الكتاب ولما اجتمع به قال له ما حرفيته « لا يرتقي الانسان هكذا! ولو كنت بحدتك وسرعتك لما قدرت ان اعمل شيئاً بل كنت اليوم حيث كنت امس بلا زيادة ولا نقصان »

فهذا الكلام يجوز ان يُتخذ كتاريخ لكل حياة الفقيد من اولها الى آخرها . فانه يدل دلالة صريحة على ان صاحبه كان راسماً لنفسه خطة يجري عليها بالتدقيق دون ان يدع للحدة او الاهمال او حوادث الزمان سبيلاً للتاثير فيها . اي انه منذ صباه رسم نصب عينيه نقطة في قمة جبل العلى ثم اخذ يسير نحو هذه النقطة بجدٍ وعناء دون ان يصرفه عنها شيء من المصاعب والعواطف والتصورات فبلغها وجلس مسروراً يستريح عليها

﴿ اخلاقه وصفاته ﴾ وقد ذكرنا في مقدمة الكلام اننا لا نفصل ترجمة الفقيد في هذا الفصل وانما نلم بها الماماً فقط ولذلك ننتقل بعد هذه الملاحظة الى صفات الفقيد واخلاقه لما لها من العلاقة بها . و يسوغ لنا ان نقول ان خصوم الفقيد كانوا غير قليلين في حياته وان كانوا من طيب الجبلة الانسانية قد انقلبوا الى الحزن والاسف عليه في مماته . وسبب ذلك مختلف فيه . فبعضهم يقول انهم لم يكونوا يحبونه من الحسد له وكم تثير المراكز العليا من حسد الناس سواء كانوا قريبين منها او بعيدين عنها . و بعضهم يقول بل لانه نصر الدولة العثمانية وايدها حتى في ابان الحوادث الارمنية والحرب اليونانية . و بعضهم يقول انه ما كان يداري احداً بل كان عنده الكبير والصغير على حدٍ سواء

غير ان الحقيقة ليست في شيء من كل ذلك . فقد ذكرنا ان الفقيد تسلّق بجده وكده قمة المركز الذي بلغه دون مساعدة احد الا بيتاً كريماً اعانه يوم نكبة الاهرام بحريقة حدثت فيها وقد حفظ الفقيد هذا الجميل الى آخر حياته . وهذا الارتقاء البطيء الطويل المدى يستلزم ان يكون صاحبه قد عاشر الناس واختبر اخلاقهم ورأى معاكساتهم ومشاكساتهم



المرحوم بشاره باشا نقلا

وما هم فيه من الدناءة حيناً والعدوان وحب الشر احياناً . فترك هذا الاختبار في نفسه اثراً شديداً حتى اذا ارتقى عن الناس واستغنى عنهم جاس يضحك منهم ويلاطفهم متى تقربوا منه وهو يقول في نفسه انهم غير اهل للمجاملة . فهذه الحالة انشأت في نفسه ثلاثة مبادىء (اولها) استغناؤُه عن الناس واعتبارهم آلات في يده (وثانيها) عدم الاهتمام بمن كان منهم لا ينفع وعدم مداخلة عواطف القلب في مصلحة عمله (وثالثها) وجوب ان يتعب العامل ويشقى كما تعب وشقي هو ليستحق اجرته وليس من العدل ان يُعطى فوق تعبه ولا نقول ان هذه المبادي مبادىء يحبها الناس ولكننا نقول انها مبادىء عملية مادية

وبها تُبنى المراكز العليا في هذه الحياة · وهي مبنية على قاعدة الضبط والتدقيق في العلائق بين العمل والاجرة ونبذ الضعف والمحاباة من طريق المصلحة ودوس كل صعوبة من اجلها · وكأنَّ الفقيد قد شعر رحمه الله ان عصره يستلزم ذلك وان هذه المبادئ ستكون مبادئ العصر القادم بدليل « سياسة المصلحة » التي افتتحتها المانيا وانكلترا في السنوات الخمس الاخيرة — فجعلها محورًا لادارته · و بناءً عليه فانه يجوز ان يُعدَّ الفقيد متقدمًا في هذا الامر ابناء العصر الآتي

هذا هو رأينا في التعليل الصحيح لميل بعض الناس عن الفقيد واذا سموا هذا الامر اثرةً واستقلالاً مضرًا فالذنب الكبير واقع على الهيئة التي خرج منها والناس الذين خبرهم قبل ارتقائه فجعلوه يتاثر تاثرًا سيئًا منهم بمعاكسته ومقاومته بدلاً من مساعدته · وفضلاً عن ذلك فان بسمارك والكونت بيلو مستشار المانيا والامبراطور غليوم والمستر تشمبرلن واللورد ملنر والمستر سسل رودس حتى اللورد سالسبوري نفسه كلهم يسمون هذه السياسة « سياسة المصلحة الواجب اتباعها على من يروم النجاح » و يسوغنا ان نقول ان هذه السياسة ستجعل المعيشة في القرن العشرين صراعًا هائلاً بين البشر كما تنبأ اللورد روزبري

﴿ منزلته ﴾ اما منزلة الفقيد فقد كانت من السمو في الشرق والغرب بحيث يعلم القراء · فانه تشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني غير مرة فاجمل جلالته ملاطفته · وقد اجترأ الفقيد في احدى مقابلاته لجلالته فقال له وكانت المسالة المصرية يومئذٍ في اشد حالاتها « مولاي ان افريقيا ستصبح ميدانًا واسعًا للاستعمار ولجلالتكم فيها ملايين عديدة من اخواننا المسلمين المطيعين لجلالة خليفتهم فهلا صرفتم شيئًا من عنايتكم الى استمالة افريقيا قبل اقتسام اوربا لها بدلاً من صرفها كلها في تركيا اوربا » وقد اخذنا هذا الحديث من فم سعادته · وذكره سعادته يومًا ما في احدى مقالاته وزاد عليه انه قاله لجلالة السلطان امام صاحب السماحة السيد ابو الهدى افندي

وكان الفقيد عالي المنزلة لدى الجناب الخديوي العالي وقلما يمر عام ولا يتشرف بتناول الطعام على مائدة سموه بضع مرات بدعوة خصوصية

وكانت جريدة الديلي ميل والتمس تستغربان بعد وفاة المرحوم الخديوي توفيق الاول الاخبار السرية السياسية التي كانت تنشرها جريدة الاهرام دون سواها وتتساءلان هل ان صاحب هذه الجريدة وزير انكلترا ام وزير مصر · ومن الامور العظيمة التي اقدم الفقيد عليها تنديده في الاهرام بالخديوي اسماعيل باشا يوم مدَّ يده الى الخزانة المصرية · فكان

ذلك منه منتهى الاقدام وكبر النفس لانه لم يكن احد يجسر في ذلك الزمان ان يقابل اسماعيل باشا ببسمة فضلاً عن طعنة · فاستدعاه اسماعيل باشا واساء اليه وسجنه ولكن هذه الاساءة زادته رفعة في نظر الناس لدفاعه عن حقوقهم · ومنذ ذلك الحين لجأ الفقيد الى الحماية الفرنسوية تخلصاً من مثل ذلك

وكان فصيح المنطق حلو الحديث واسع الاطلاع طلق اللسان كأن لسانه مركب فوق لولب فكان اذا جلس في مجلس تصدر فيه وصار منه كالمركز من الدائرة · وله صلات ومعرفة في اكثر بلاد اوربا لا سيما فرنسا التي كان كثيرون من رجال حكومتها واعاظم كتابها ومديري الصحف فيها من معارفه وكان بينه وبين بعضهم مكاتبات · وقد ذكر لنا مرة انه ورده من حضرة العالم المشهور سليم افندي دي نوفل الطرابلسي صاحب المكانة العليا في روسيا ملاحظة على مقالة نُشرت في الاهرام بتوقيع « سلامه » ··· وذكر لنا الملاحظة · فسألنا سعادته وهل ان المسيو دي نوفل صديقكم فقال انه اخص اصدقائي من ابناء الشرق · وبعد شهر سمعنا من احد اقارب المسيو دي نوفل انه يقول ان نقلا باشا هو اخص اصدقائه لانه الرجل الوحيد الذي عرف كيف يستفيد من الحوادث الشرقية واستخدم فيها مواهبه

﴿ وساماته ﴾ اما وسامات الفقيد ورتبه فقد نال منها من الدولة العلية رتبة روملي بكلر بكي وهي اعلى رتبة ملكية وليس فوقها غير رتبة الوزراء · ومن وساماتها وسام المجيدي الاول وهو اسمى الوسامات دون المرصعات · ونال ايضاً وسام جوقة الشرف (اللوجيون دونور الفرنسوي) ووسام الافتخار التونسي من عظمة باي تونس ووسام سان ستنسلاس من روسيا · ونال ايضاً وسامات غيرها من دول كثيرة

﴿ جرائده ومحرروها ﴾ وكان للفقيد اربع جرائد تطبع وتوزع وهذا مما لم يسبق له مثيل في الشرق · الاولى جريدة الاهرام وهي يومية · والثانيـة جريدة صدى الاهرام انشأها في الاسكندرية لما نقل الاهرام الى العاصمة وكانت يومية ايضاً · والثالثـة جريدة البيراميد الفرنسوية وهي يومية ايضاً وقد فاقت جرائد القطر الافرنجية كلهـا في عام واحد · والرابعة مجلة اسبوعية تصويرية ادبية فرنسوية اسمها " العائلة المصرية " توزع مجاناً على المشتركين في البيراميد · هذا ما عدا المطبعة الواسعة في القاهرة التي لا تقف آلاتها العديدة عن العمل ليلاً ونهاراً · واكبر آلاتها تُدار بالبخار

اما المحررون الذين اشتركوا في تحرير الاهرام في المدة الماضية فهذه اسماؤهم واذا كنا

قد نسينا احداً منهم فنرجو المعذرة وهم
عزتلو رشيد بك شميل صاحب البصير اليوم وكان مديراً لادارة الاهرام . واخوه المرحوم سبع شميل وخليل افندي مطران صاحب المجلة المصرية اليوم وخليل افندي زينيه وخليل افندي الجاويش واخوه نجيب افندي الجاويش وخليل افندي زيدان ونجيب افندي طراد والمرحوم نجيب افندي الحداد صاحب جريدة لسان العرب واخوه امين افندي الحداد وداود افندي بركات و يوسف افندي بستاني وطانيوس افندي عبده والمرحوم قيصر افندي زينيه ومحمد افندي توفيق فرغلي ونقولا افندي رزق الله

هؤلاء هم المحررون الذين بنيت الاهرام على اكتافهم واما الوكلاء والمخبرون والمراسلون والعمال فانهم جيش كثيف يستغرق عدهم صفحات عديدة . وانما يجب علينا ان نخص منهم الذين امتازوا بخدمة هذه الجريدة وهم امين افندي بدران مدير طبعها ومطبعتها وسليم افندي الحداد وكيلها في العاصمة وقسطاكي افندي توتونجي وكيلها في الاسكندرية وفيليب افندي زينيه وكيل ادارتها و رئيس حساباتها سابقاً وابرهيم بك زكا وكيلها في الولايات العثمانية ورشيد افندي سعاده وكيلها في الغربية . وفضلاً عن ذلك فان رسائل حضرة الفاضل ابرهيم افندي مظهر مراسلها الدمنهوري المتبرع بمراسلتها لما بينه و بين الفقيد من الصداقة كانت خدمة جليلة لها

﴿ وفاته وجنازته ﴾ ولكن كل هؤلاء الاصدقاء . كل تلك المنزلة السامية . كل تلك الثروة الطائلة لم تدفع المحذور . ولم ترد المقدور . ولم تمحُ ما هو مسطور . فقد اصيب الفقيد منذ بضعة اسابيع بمرض اختلف الاطباء فيه فمن قائل انه حمى معوية ومن قائل انه حمى تيفوئيدية ومن قائل انه احتقان في الدماغ . وقد رجح بعضهم هذا الاخير وزادوا عليه الشلل . وفي يوم الجمعة ١٤ يونيو اي بعد انقضاء ٢٠ يوماً على مرضه انتبه من غيبوبته فسأل الطبيب عن حالته فقال له الطبيب قولاً مسكناً ولكن الفقيد كان كأنه شعر بدنو اجله فاستدعى اهله و ولده الوحيد فودعهم واوصى ابنه بطلب العلم والادب وسلوك سبيل الاجتهاد . وما فرغ من ذلك حتى اصيب بنوبة شديدة افقدته النطق فجعل ينظر الى من كان حوله و يودعهم بعينيه الى ان انتصف الليل فدخل في الاحتضار . وفي الساعة الثانية والدقيقة ٣٥ لفظ روحه الكريمة رحمة الله عليه

ولما انتشر نعيه قامت له مصر وقعدت و بعث الجناب الخديوي المعظم رسالة يعزي بها اسرته الكريمة وعهد الى حضرة علي بك كامل التشريفاتي ان يسير في جنازة الفقيد من قبل

سموه وتقاطرت رسائل المعزين ومركباتهم من كل فج وصوب على المنزل الجميل الذي شاده الفقيد منذ عامين في العاصمة . وفي مساء ١٥ منه احتفل بتشييع جنازته احتفالاً عظيماً مشى فيه الباشوات ووكلاء الدول والموظفون وكبار الوطنيين والاجانب وجميع الادباء والفضلاء واصحاب الجرائد العربية والافرنجية ومحرروها وقدمت اكاليل الزهر الى نعش الفقيد عشرات عشرات . وبعد الصلاة في كنيسة الروم الكاثوليك على جثته الهامدة — تلك الجثة التي كانت تحمل حركة مستمرة وعزماً يدك الجبال نُقلت الى مدافن مصر العتيقة فابن الفقيد هنالك حضرة الكاتب المجيد يوسف افندي بستاني احد محرري الاهرام بالنيابة عن زملائه المحررين والمسيو بول منس رئيس تحرير جريدة البيراميد وعزتلو نقولا بك توما المحامي المشهور فكان لكلامهم وقع اليم في النفوس . ثم غُيب النعش في ظلمة القبر فغابت معه شمس ونزل معه بحر عجاج كان من قبل متلاطم الامواج

✵ مصير البيراميد والاهرام ✵ والآن قد انتهى الامر وحدث ذلك الفراغ العظيم في عمل كبير من اعمال الصحافة العربية الشرقية . فهل يدوم هذا الفراغ او يمن الله بسده رفقاً باسرة كريمة نزلت بها مصيبة ما بعدها مصيبة ؟

انه لما توفي المرحوم سليم بك تقلا موسس جريدة الاهرام استعظم الناس المصاب ولكنهم عادوا فاستصغروه لان الاهرام سارت بعده بادارة المرحوم بشاره باشا كما كانت قبله . والآن سيكون ذلك كذلك ان شاء الله . فانه كما ان تيبرس توفي عن زوجة فاضلة كانت قدوة للنساء في حلولها محل رجلها بعد وفاته في تربية اولادها وادارة طبع مؤلفات زوجها فكذلك ستكون تلك السيدة الفاضلة القادرة التي كسر الحزن قلبها على فقيدها . وان عمر وحيدها « جبرائيل بك » الذي لايدور ذكره في الفم حتى يجول الدمع في العين يبلغ الآن ١٢ عاماً فليمدها الله بمعونته لتحفظ له هذا المركز الكبير ولتجعل الناس يرون فيه بعد ثمانية او عشرة اعوام صورة ابيه فيقولون حينئذ « ان هذا الشبل من ذاك الاسد »

وليس يعلم احدٌ كم كان ذلك الاسد يحب هذا الشبل غير الذين شهدوه يقرأ كتاباً منه . ولقد شهدنا ذلك مرة فشهدنا عندها ناراً تتقد في عيني الاب الحنون على ولده . وكان ذلك الكتاب فرنسوي العبارة وهو وارد من باريز حيث بقي « جبرئيل » هناك مع حضرة والدته في صيف تلك السنة وعاد الباشا الى ادارته في الاسكندرية . وبعد ان اتم الباشا الكتاب قال خذ واقرأه فتعرف منه نباهة « جبرئيل » وماذا يكون في المستقبل واكد انه من انشائه وخطه وانما والدته اصلحت بعض اغلاط فيه ولا يزال موضع الاصلاح

ظاهراً . فتناولنا ذلك الكتاب ودهشنا لما قرانا اسلوبه الرقيق الصحيح الفصيح لان عمر جبرييل كان يومئذ لا يتجاوز السنة التاسعة ورايناان قلم الاصلاح لم يجرِ فيه الا في اربعة او ٥ مواضع هذا هو الصبي الذي سيدير ثروة ابيه وجرائده ويحتل ان شاء الله محله . وقد كان كتّاب الادارة حين زيارته لهم ينادونه « نوتر ديركتور نوتر ديركتور » اي مديرنا مديرنا . يقصدون بذلك ممازحته . اما الآن فقد صار هذا الامر واسفاه جداً لا مزاحاً

هذا ما اردنا الاقتصار عليه الآن وقبل ختام الكلام نسأل الله مبرد القلوب وواهب السلوان ان يعزي حضرة والدة الفقيد وقرينته الكريمتين وشقيقيه الفاضلين عزتلو حبيب بك وابرهيم بك وجميع اقربائه واصدقائه ورصفاءنا محرري جرائده عن هذا المصاب الاليم والرزء العظيم ونرجو ان يخفف من حزنهم ما شاهدوه من اجماع الناس على مشاركتهم فيه واعتباره حزناً عمومياً . وان يتغمد الفقيد بواسع رحمته وغفرانه ويحسن اليه في مماته بقدر ما احسن في حياته انه السميع المجيب .

المرحوم سبع شميل

كل يوم يختطف داء الصدر اديباً من الادباء . وقد فجعنا هذه المرة بالشاب المتوقد ذكاءً الكاتب الفاضل المرحوم سبع شميل مدير جريدة البصير قبلاً وشقيق صاحبها جناب عزتلو رشيد بك شميل وابن اخي الدكتور شبلي افندي شميل . وقد توفاه الله في قرية كفرشيما حيث ذهب في طلب الشفاء من داء متى استعصى فلا ينجع به دواء . فانطفأ هنالك بعيداً عن مركز عمله بالتدريج انطفاء سراج نفد زيته وحان اجله

وقد كان الفقيد رحمه الله من خيرة شبان الشرق همة وذكاء . فانه رحل قبل قدومه الى مصر نحو بلاد الانكليز وتعاطى التجارة فيها فاثرى ثراءً دلّ على عظيم همته وشدة براعته في عمله . ولكن دولاب الدهر لم يلبث ان دار فاضاع هناك في البورصة الوف الجنيهات التي كان قد ربحها منها . فعاد الى مصر يطلب الرزق من شق هذه القصبة . وكان ابرع محرري زمانه في تحرير الشؤون التجارية فاستدعته جريدة الاهرام لانشاء هذا القسم فيها . ثم انشأ جناب شقيقه جريدة البصير فعهد اليه ادارتها وتحريرها فاكب الفقيد على ذلك حتى جاءه الداء متدرجاً فاخمد همته وكسر قلمه . فقصد العاصمة مستشفياً ثم قدم منها وسافر الى كفرشيما طالباً للعافية فكانت القاضية . فنحن في هذا المقام نبعث بالتحية الى صديقنا سبع حيثما كان ونسال الله الرحمة لنفسه والعزاء لآله الكرام

فازداد شارني دهشة وقال للملك انك يامولاي تقول لي الآن اموراً خطيرة واخشى ان تندم جلالتك على انك قلتها . فاجاب الملك كلا لا اندم على ذلك و برهاني عليه اني ازيدك منه . انت تعلم ما لمدموازل برتين خياطة الملكة والمسيو لبونار رئيس مزينيها من التاثير عليها . وهذان الشخصان يبذلان قصارى الجهد بناء على تحريض رجال النمسا لجعل الملكة تسعى في عقد محالفة بين النمسا وفرنسا . ولكن النمسا كانت مشؤومة لفرنسا دائماً . وسياتي يوم تصبح فيه مشؤومة لنفسها ايضاً . فان هذه المملكة التي كانت كاثوليكية محضة قد اخذت تتمسك باهداب الفلسفة في حكم جوزيف الثاني . وقد نبذت التروي والحكمة فصارت تتخذ المجر سيفاً لها وهذا السيف سينقلب عليها (١) وقد صرفت وجهها الى محاربة الاتراك حلفائنا تاركة اوربا وشانها وجاعلة الغنيمة من تلك الحروب لروسيا وحدها . وفضلاً عن هذا وهذا فانها تركت الرهبان البلجيكيين يغصبونها احسن قسم من بلادها وهو بلجيكا . نعم نعم يامسيو دي شارني اني اكره النمسا ولا اطيقها

ثم سكت الملك قليلاً وبعد هنيهة اردف بقوله . لقد علمت الآن انني اكره الاستسلام الى النمسا وبين او الفرار على يدهم فاسمع الآن امراً آخر . اتعرف المركيز دي ففراس ايها الكونت . فاجاب شارني نعم يامولاي . فقال الملك ان المركيز دي ففراس جاءني من قبل اخي "مونسيو" (٢) يقترح عليّ الفرار . فما رأيك في هذا الرجل

فاجاب شارني رأيي ان الرجل شريف قد يبذل نفسه في سبيل الملك ولكني لا اظنه قادراً على ان يكون رئيساً لمشروع خطير كهذا المشروع

فقال الملك نعم وقد عرفت ذلك انا ايضاً لاني عرفت ان رئيس هذا المشروع هو اخي مونسيو لا ففراس وما ففراس الا اليد المنفذة

ففتح شارني عينيه فقال الملك وهل تستغرب ان يكون اخي ساعياً في اخراجي من باريز . لا تستغرب ذلك فانه يتمنى سفري من العاصمة حتى اذا ملّ الشعب طول غياب

---

(١) لقد صحت نبوءة ديماس في هذا الشان كما يعرفه القراء فان النمسا والمجر منقسمتان اليوم اشد انقسام والسياسيون يخشون من انفصالهما بعد وفاة الامبراطور فرنسوى جوزيف الحالي

(٢) مونسيو او مسيو لقب كان يُلقب به منذ بداية القرن السادس عشر اكبر اخوة الملك

الملك واحتاجوا الى من يقوم مقامه كان هو قريباً

فقال شارني مولاي انك تقول لي اموراً هائلة · فقال الملك كلا انني لا اقول لك الا ما كتبه لي اخوك من تورين فانه كتب اليَّ يقول ان الامراء اجتمعوا في تورين اخيراً وبحثوا في خلعي وتنصيب من يقوم مقامي · وفي هذه الجلسة نفسها اقترح ابن عمي المسيو دي كونده ان يزحف الجيش النمساوي على مدينة ليون مهما اصاب الملك · ومن اجل ذلك كله لا ارضى النجاة على يد النمسويين ولا على يد ففراس بل اختار ما ذكرته لك من النجاة على يد المسيو بوليه · فخذ الآن هذا الكتاب اليه وسافر على عجل واياك ان تطلع احداً على سبب سفرك حتى الملكة نفسها

ثم ان الملك اطلع شارني على الطريقة التي يخابر بها المسيو بوليه فخرج شارني من لديه مسروراً بان الملك اعتمد عليه · ولو ان الملك انعم عليه اسمى انعام لما استطاع استمالته اليه بقدر ما استماله بوضع ثقته فيه

الفصل العشرون

غضب الملكة وحبها

وخرج شارني من لدن الملك فخوراً معجباً بنفسه لان الملك كان كمن وضع يده على كتفه واستند اليه · واول ما صنعه انه ذهب الى غرفته ليكتب الى الملكة كتاباً يبلغها فيه انه مسافر من باريز · وذلك لانه كره مقابلتها بعد تلك المقابلة التي اظهر له الملك فيها كل ثقة ووداد

ولكنه لما وصل الى غرفته وجد ويبر خادم الملكة ينتظره ليذهب به الى الملكة على عجل بناءً على امر منها فذهب الكونت معه مضطراً لا مختاراً

وكانت الملكة قد عرفت انها اخطأت الى شارني بكثرة ما عذبته بسوء ظنها به وسوء معاملتها اياه مع حبها له فارادت في هذه المرة ان تغسل ما مضى ولذلك استعدت لتقابله احسن مقابلة · واما شارني فقد كان قادماً لهذه المقابلة وهو منقبض الصدر لرغبته عنها كما تقدم ولذلك لم يدنُ من الملكة حين دخوله عليها بل بقي واقفاً في عتبة الباب وقفة الاحترام والاحتشام

فالتفتت اليه الملكة وقالت بلطف · تقدم تقدم يامسيو شارني فنحن وحدنا

فدنا منها شارني باحترام ثم قال بلهجة رسمية هاءنذا يامولاتي طوع امرك

فالتفتت اليه الملكة مرة ثانية وقالت له . اما سمعت ايها الكونت انني اقول لك اننا هنا وحدنا

فاجاب الكونت نعم سمعت ذلك يامولاتي ولكني اعلم أن الانسان يخاطب ملكته بلهجة واحدة سواء كانت منفردة وحدها او على مرأى ومسمع من الناس

فاحست الملكة بما في هذا الكلام من المعنى المقصود فقالت ولكني لما استدعيتك يا كونت كنت أؤمل ان تخاطبني مخاطبة الصديق لصديقته لا مخاطبة رجل لملكته

فظهر هنا على شفتي الكونت شارني ابتسام لطيف

وكأن الملكة فهمت معنى هذا الابتسام فاردفت بقولها . انك تبتسم يا كونت ولعلي اعرف سبب ابتسامك واقرأ الآن ما تقوله في نفسك . انك تقول انني ظلمتك فيما مضى وعذبتك ولكن فلننس الماضي يا كونت واعلم انني كملكة لا استغني عن نصائحك وكامرأة لا استغني عن صداقتك

ثم مدت اليه يدها الجميلة فتناولها شارني وقبلها . ولما اراد تركها امسكت الملكة يده ثم اردفت بقولها

نعم قد ظلمتك يا كونت فانني رايت اخاك الذي تحبه يموت موت الابطال في سبيلي ولم اقل لك كلمة تعزية فيه . ولكن لا تلم المرأة فانها ضعيفة وقد اوقف الدمع في عينيَّ في تلك الايام ما كنا فيه من الخوف والغضب والهول . اما اليوم وقد اصبحت وحدي في هذا القصر فقد وفيتك دينك بالبكاء . ذلك اني بكيت في هذه الايام العشرة التي مرت عليَّ دون ان اراك وان كنتَ لا تصدقني فانظر الآن الى عينيَّ

قالت ذلك ثم رفعت راسها لتريه عينيها . فنظر شارني فيهما دمعتين منحدرتين على خدها انحدار لؤلؤتين على قطعة من الرخام . وقد كان انحدارهما في مسيل مفتوح انشأته كثرة الدموع التي انحدرت منهما

فلما نظر شارني دموعها كاد ينطرح على قدميها ولكنه ذكر في الحال وداد الملك وثقته فتمالك نفسه وقال مضطرباً . اشكرك ياسيدتي شكراً جزيلاً على ذكرك اباي وحزنك على اخي . ويحزنني جداً ان ليس لي وقت كافٍ لاشكر جلالتك

فرفعت الملكة راسها وقالت متعجبة . كيف تقول انه ليس لك وقت كافٍ . فقال شارني ذلك لاني مسافر ياسيدتي . فقالت الملكة باستغراب زائد . انت مسافر؟ ولماذا ؟ فقال اني مسافر ياسيدتي في مهمة لمولاي الملك . فسالته وكم يوماً تغيب عن باريز فاجاب

لا اعلم ياسيدتي . قالت والى اين تسافر

فتردد شارني في الجواب ثم قال — هذا سر مولاي الملك فاذا سالته ِ ياسيدتي اطلعك عليه

فبهتت الملكة ثم قالت باستياء ولكنه اذا كان سر الملك فهو سر الملكة ايضاً افلا تطلعني عليه . فقال شارني اذا سمعته ِ يامولاتي من فم الملك نفسه كان ذلك اكثر دلالة على امانتي لجلالتك ولجلالة الملك

ثم ان شارني انحنى انحناء من يستأذن الملكة بالذهاب . فبلغ الحنق من الملكة عند هذه الحركة مبلغه فاومأت اليه بيدها بنزق وقالت . فاذهب اذاً

الا انها كادت تختنق بالدمع عند ذكرها ان شارني مسافر الى مكان لا تعرفه ولا تعرف الاخطار التي تتهدده فيه

فخطا شارني نحو الباب بعد التسليم باحترام ثم فتحه ورام الخروج منه

واذا بصوت الملكة يناديه بحدة : شارني شارني

فالتفت الكونت الى الملكة . فقالت له ماري انطوانت تقدم تقدم . فتقدم منها . فقالت له تقدم ايضاً . فدنا حتى اصبح بينها وبينه مسافة ذراع فقط . فنظرت الملكة حينئذ في وجهه والدموع تجول في عينيها ثم سالته بلهجة ممزوجة باللين واللطف والكبرياء — الم تعد تحبني ياشارني

فلما سمع شارني هذا الكلام طار صوابه وكاد يُغمى عليه ويسقط جاثياً تحت اقدام الملكة . وكانت هذه هي المرة الاولى التي لانت فيها الملكة وخفضت راس كبريائها امام الرجل الذي تحبه

ولكن الكونت لم يلبث ان ثاب اليه رشده فانحنى امام الملكة باحترام لا مزيد عليه وقال : اكون دنيئاً ياسيدتي اذا كنت اظهر لك الآن شيئاً غير اخلاصي واحترامي بعدما اظهره لي الملك منذ ساعة من الثقة والوداد

فصرفت حينئذ الملكة وجهها عنه بكبرياء وقالت : انت حر ايها الكونت فاذهب واصنع ما تريد

فخرج شارني باضطراب شديد وبقيت الملكة في القاعة وهي في اشد حالات الهياج

وبعد خروجه بمدة قصيرة سمعت الملكة صوت مركبة فاندفعت الى النافذة فعرفت انها مركبة الكونت تسير نحو شارع كاروسل . فنادت خادمها ويبر في الحال وسالته اي

طريق توصل الى شارع كوك هيرون لمن يريد الذهاب اليه . فاجاب الخادم طريق كاروسل . فعضت الملكة شفتها وقالت في نفسها : انه سائر ليودع اندري زوجته . ثم جالت في الغرفة ذهاباً واياباً وقالت بحنق : يجب ان اعرف لهذه الامور نهاية . ثم نادت خادمها ثانية وقالت له . اذهب الآن الى منزل الكونتس شارني في شارع كوك هيرون وابلغها ان تاتي غداً لمقابلتي . فاجاب الخادم قد عينت جلالتك يوم غد موعداً لمقابلة الدكتور جيلبار . فاجابت الملكة دع مقابلة الدكتور جيلبار الى بعد غد . فانصرف و يبر الى منزل الكونتس دي شارني

ولما وصل و يبر الى منزل اندري كانت اندري تقرأ كتاباً وردها من شارني فلما دخل عليها و يبر خادم الملكة ضمت الكتاب الى صدرها كأن و يبر جاء لاخذه منها ولما ابلغها و يبر امر الملكة اجابت انها ستقابل جلالتها غداً . فعاد و يبر من حيث اتى اما اندري فانها فتحت الكتاب بعد ذهاب و يبر واتمت قراءته ثم رفعته الى شفتيها وقبلته وقالت : فليحرسك الله ياحبيبي . نعم انني اجهل المكان الذي انت مسافر اليه ولكن الله يعرفه وصلاتي تعرف اين الله

وفي المساء جاء مونسيو شقيق الملك وقابل الملكة ليباحثها في مسالة فرار الملك على يد المركيز دي ففراس فصرفت الملكة خاطرها الى هذا الامر . اما الملك فان فكره كان مصروفاً الى الجنرال بوليه الذي بعث اليه الكونت دي شارني . وهكذا مضت تلك الليلة: الملكة تفكر في مسالة ففراس والملك يفكر في مسالة بوليه . الا ان الملكة كانت تفكر ايضاً في امر غير مسالة ففراس وهو حبها للكونت دي شارني

وفي مساء هذا اليوم ابلغوا الملك ان المجمع الوطني قرر تغيير لقب الملك . فانه كان يلقب « ملك فرنسا ونافاريا » فجعل المجمع لقبه هكذا « ملك الفرنسويين »

الفصل الواحد والعشرون

﴿ امراة بلا زوج — وعشيقة بلا عشيق ﴾

وفي صباح اليوم التالي بكرت اندري الى قصر الملكة

وكانت الملكة مستعدة لمقابلتها ومع ذلك فانها لم تتمالك ان ترتعد فرائصها حين نداء و يبر معلناً : الكونتس دي شارني .

اما اندري فانها دخلت على الملكة ثابتة الجاش هادئة ناصعة البياض كالماس ولكنها مثله قاطعة قوية

فبادرتها الملكة بقولها : اهلاً وسهلاً بالكونتس اندري · وقد قالت الملكة ذلك بلهجة في غاية اللطف والمجاملة

فاجابتها اندري غير متقاتلة لهذا اللطف الذي كانت لا تتوقعه · لو كانت جلالتك تخاطبني دائماً بهذا اللطف لما بعثت تطلبني من خارج قصرها · وقد عنت اندري بذلك ان الملكة لو كانت لطيفة معها دائماً لما تركت هي قصرها · فكأنَّ اندري دخلت بكلمة واحدة في اساس الموضوع الذي ارادت الملكة مباحثتها فيه · فاجابت الملكة بشيء من الاسف

ان في كلامك يا اندري شيئاً من العتب والملام وربما كنت استحق ذلك في الزمن الماضي لان حوادثه الهائلة قد شغلتني عن اقرب الناس اليَّ · وهذا القول كافٍ ليدلك على ان ما حسبته اهمالاً وانكاراً للجميل انما هو في الحقيقة ضعف وعجز

فقالت اندري ان هذا القول يصح ياسيدتي اذا كنت قد سالتك شيئاً يوماً من الايام ولم تجيبيني اليه

فصاحت الملكة : وهذا هو الامر الذي يدهشني ايتها العزيزة ويجوز لي ان اشكو منه · فانني لا اراك تسالين شيئاً كانه لا يهمك امر من امور هذه الحياة بل كانك بشر فوق الطبيعة نفسها او مخلوق غريب حملته الزوابع من احد عوالم الفضاء وقذفته بيننا فسقط عندنا كما تسقط تلك الاجسام التي تاتينا من مكان مجهول والتي تطهرها النار في سقوطها · وحقاً يا اندري ان كل انسان يشعر بضعف لدى وقوفه امامك انت التي لم يعرفك الضعف قط · يشعر بضعف ولو كان ذا راس متوَّج · ولكنه بعد شعوره بالضعف يشعر بالاطمئنان ايضاً لان من كان مثلك بالغاً اقصى درجات الكمال البشري فانه يكون بالغاً درجات الحلم والصفح لانهما من جملة صفات الكمال · ولذلك فهو استناداً الى هذا الحلم والصفح يبعث في طلبك ليسالك تعزية لنفسه

وكانت الملكة تتكلم واندري جامدة كانها صنم · فلما اتت الملكة على كلامها قالت اندري بثبات جاشها المعروف : انني اخشى ياسيدتي ان لا تجد جلالتك في الامر الذي بعثت تطلبني من اجله · فان التي لا تطلب تعزية من احد لا يمكنها ان تكون قادرة على تعزية احد وخصوصاً اذا كانت مثلي لا تطلب تعزية حتى من الله نفسه لانها تعلم ان في بعض

الآلام ما لا تظن احدًا قادرًا على شفائه

فنظرت الملكة الى اندري واطالت النظر في وجهها ثم قالت بهيئة جدية : ما هذه الآلام التي لا يشفيها شيء . هل بقيت بك آلام لم تطلعيني عليها

فسكتت اندري

واما الملكة فاردفت قائلة بشيء من النزق . فلنتكلم الآن بحرية لانني بعثت اطلبك لهذا الغرض . قولي لي هل تحبين المسيو دي شارني

فاصفرت اندري حتى حاكت صفرتها صفرة الاموات ولكنها بقيت مثلهم جامدة هامدة

فاعادت الملكة سؤالها بنزق اشد : قولي مالك لا تتكلمين . هل تحبين المسيو دي شارني

فاجابت اندوي بهذه الكلمة المفردة : نعم

كلمة هائلة ما سمعتها الملكة حتى صرخت صرخة اللبوة الغضبى

ثم كظمت غضبها وقالت لها : اما انا فما كنت اتوقع ذلك . ولكن متى ابتدأ حبك فاجابت اندري : منذ رايته . فقالت الملكة وقد كتمت امرك كل هذا الوقت فقالت اندري انت ادرى بذلك ياسيدتي . فقالت الملكة ولماذا هذا الكتمان . فقالت اندري لانني عرفت انك تحبينه . فقالت الملكة وهل تعنين بذلك انك كنت تحبينه اكثر مما احبه لانك رايت ما لم ار فاجابت اندري بشيء من الالم . كلا ولكنك انت لم تري ما رايت لانه كان يحبك . فقالت الملكة تقولين "كان" فهل تعنين بذلك انه لم يعد يحبني

فسكتت اندري

فاستشاطت الملكة غيظًا من هذا السكوت وصاحت بها . مالك تسكتين . اقتليني بقولك انه لم يعد يحبني فذلك خير من هذا السكوت . قولي الم يعد يحبني

فقالت اندري ان حب المسيو دي شارني وعدم حبه امران تختصان به وهما من اسراره

فازدادت الملكة حنقًا فقالت ولكنهما من امرارك ايضًا لانه لابد ان يكون قد اطلعك على اسراره . فقالت اندري ان المسيو دي شارني لم يطلعني قط على حبه او عدم حبه لك . فسالتها الملكة ولم يطلعك على ذلك ايضًا في هذا الصباح . فاجابت اندري انني لم

اشاهد المسيو دي شارني في هذا الصباح

فنظرت الملكة الى الكونتس نظرة دلت على ارتيابها في هذا الكلام ثم قالت هل تريدين بذلك انك تجهلين سفر الكونت . فقالت اندري كلا لا اجهل انه سافر . فصاحت الملكة فمن اين عرفت انه سافر اذا كنت لم تريه . فاجابت اندري عرفت ذلك من كتاب كتبه اليَّ

وكما ان ريشار الثالث صاح في ساعة من ساعات يأسه « اعطي تاجي لمن يعطيني فرساً » كذلك صاحت ماري انطوانت في نفسها « اعطي تاجي لمن يعطيني هذا الكتاب » . وقد فهمت اندري ما كان يختلج في صدر الملكة فرامت ان تترك ضرتها هنيهة في ذلك العذاب .

وبعد هنيهة التفتت الملكة وقالت لاندري اظنك تركتِ هذا الكتاب في منزلك . فمدت اندري يدها الى جيبها وقالت بل هو معي ياسيدتي . ثم اخرجت يدها وفيها كتاب تفوح منه رائحة طيبة . فمدت الملكة يدها وتناولته وهي ترتعش ثم اخذت تقرأه

وكان هذا الكتاب يحتوي على خبر سفر الكونت دي شارني وقد ذكر فيه الكونت انه رفض المهمة الاولى لرغبته في البقاء في باريز قريباً من الكونتس ظناً منه انها توده وتعطف عليه اما وقد تحقق انها لا تعبأ به فقد طلب السفر ترويحاً لنفسه من حزنها

فعلمت الملكة من هذا الكتاب ان الكونت لا يزال يجهل حب اندري له ولكنها علمت منه انه قد بدأ يميل اليها

اما اندري فانها قالت للملكة بعد ان اتمت قراءة الكتاب : هل تحققتِ انني ما خنتكِ قط . فاجابت الملكة وقد سكن جاشها بعض السكون . عفواً يا اندري ولا تلوميني فانني قد تعذبت كثيراً ...

فصاحت اندري حينئذ وقد ظهر عليها الغضب لاول مرة . تقولين انك تعذبت ايتها السيدة ... فاذا كنتِ تقولين ذلك فماذا اقول انا ... انا لا اقول انني قد تعذبتُ لانني لا اريد استعمال كلمة قالتها امراة اخرى لتعبر بها عن شيء كالذي في خاطري . وانما اريد كلمة جديدة . كلمة هائلة تدلُّ على حقيقة العذابات والاهوال التي قاسيتها . تقولين انك تعذبت فهل احببتِ رجلاً كان لا يعبأ بحبك . هل رايت اخاك يبارز هذا الرجل ويجرحه جرحاً ظُنَّ مميتاً . هل سمعت هذا الرجل الذي تحبينه وهو في بحران الحمى وذهولها لا ينطق الا باسم ضرتك التي لا يحب غيرها . هل يئستِ في صباك من ذلك الحب

الشديد الذي يكوي و يشوي فدخلت ديرًا لتبردي في الوحدة والانفراد حرارته . ثم وانتِ في هذه الوحدة هل رايت ضرتك قد جاءت اليك تطلب منك باسم وداد قديم ان تكوني زوجة لذلك الرجل . زوجة بالاسم فقط وقطعاً لالسنة الناس لانها تحبه كما انه يحبها . هل رايت نفسك انك اصبحت زوجة لذلك الرجل وهو لا يعبأ بك ولا يلتفت اليك وانما كل التفاته الى ضرتك التي كانت تعيش قريبة منك . هل حدث لك شيء من كل ذلك ايتها السيدة ليجوز لك القول بانك تعذبتِ . اما انا فقد حدث لي كل ذلك كما تعلمين والسنوات الثلاث الماضية كانت سنوات عذاب طويل عندي

وكانت الملكة تسمع هذا الكلام وهي خائرة القوى ولما اتت اندري على كلامها وسكتت لتتنفس الصعداء مدت الملكة يدها لتاخذ يد اندري فجذبت اندري يدها واردفت بقولها : ومع ذلك فانني لم اعدك بشيء ايتها السيدة وفعلت ما فعلت . اما انت فانك وعدتني امرين

وكانت اندري قد دخلت بهذا الكلام في دور الشكوى من الملكة . وكان كلامها بلهجة شديدة تدل على النار التي كانت تتقد في احشائها . فنظرت اليها الملكة نظرة عتاب قائلة — اندري . فاردفت اندري بقولها من غير ان تبالي بعتاب الملكة . — انك وعدتني امرين ايتها السيدة دون ان اطلب منك هذا الوعد . الاول انك ما عدتِ ترين دي شارني

فعاتبتها الملكة مرة ثانية بقولها اندري . ولكن ذلك ما كان ليمنع اندري من اتمام الحديث الذي وطنت نفسها على الدخول فيه فقالت بجاش ثابت . واما الوعد الثاني فهو وعد بالكتابة فانك وعدتني بان تعامليني معاملة اخت لك

فقالت الملكة مرة ثالثة بصورة عتاب أيضاً اندري اندري . فاجابت اندري دون ان تصغي الى شيء

وهل تريدين ان اذكر لك العبارات التي وعدتني بها هذا الوعد . انك بعد عقد الزواج الذي كنت تطلبينه عرفتِ قدر العمل الذي عملته اخلاصاً لك فكتبتِ اليَّ ورقة هذا نصها

« لقد انقذتني يا اندري واعدتِ اليَّ شرفي وحياتي فباسم هذا الشرف وهذه الحياة اقسم لك انك اذا دعوتني اختاً لك فانني اسرُّ بذلك ولا اخجل منه . وقد كتبت لك هذا الكتاب ووضعته في يدك كدوطة لك . واني اعرف انك كريمة بين الكرائم ولذلك

لا اشك في كونك تقدرين قدر هذه الهدية »

فما اتت اندري على آخر هذه الكلمات حتى تنهدت الملكة تنهدًا دل على انسحاق نفسها تجاه هذه المراة القوية . اما اندري فانها اردفت بقولها . ولا اجهل انك كنت تحسبين انني نسيت هذه الورقة لانني مزقتها ولكن فاعلمي انني لم انسَ منها حرفًا واحدًا بل هي منقوشة على صفحات صدري

فصاحت الملكة عفوًا يا اندري فانني اذا كنت اسأتُ معاملتك فذلك لانني كنت ظننت انه يحبك

فصاحت اندري . وهل تحسبين ايتها السيدة ان من نواميس القلب انه اذا اصبح القلب اقل حبًا لشخص فذلك دليل على انه صار يحب شخصًا آخر

فلم تتمالك الملكة ان صاحت هنا ملءَ فمها . وانت ايضًا لمحتِ انه صار اقل حبًا لي مما كان قبلاً

فسكنت اندري ولكنها لما رات الملكة بذلك العذاب لم تتمالك ان ابتسمت ابتسامًا خفيفًا لرؤيتها ان التي عذبتها وقتًا طويلاً قد صارت تتعذب ايضًا . اما الملكة فصاحت مرة ثانية

ما العمل يا رباه . كيف السبيل لحفظ ذلك الحب فانه اذا ذهب ذهبت حياتي معه اتعلمين لذلك طريقة يا اندري . يا اختي . يا عزيزتي

ثم ان ماري انطوانت مدت ذراعيها الى اندري لتضمها اليها فخطت اندري خطوة الى الوراء واجابت . كيف اعرف ذلك مع ان الكونت لم يحبني قط . فاجابت الملكة ولكن سياتي يوم يحبك الكونت فيه و يسألك العفو عما مضى . فانقبضت اندري وقالت ان ذلك اليوم يوم شؤم عندي . فدهشت الملكة واما اندري فاردفت بقولها . نعم هو يوم شؤم لانك لا تجهلين ايتها السيدة ان السر الذي لديَّ يقتل حب المسيو دي شارني متى اطلعته عليه

فسالتها الملكة بدهشة . وهل تقولين للمسيو دي شارني ان جيلبار اعتدى عليك في صباك ? وان لك منه ولدًا ?

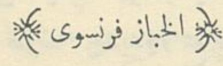
فصاحت اندري ومن تحسبينني ايتها السيدة حتى ترتابي في ذلك

فتنفست الملكة الصعداء كمن استراح بعض الاستراحة . اما اندري فقد ظهرت عليها لوائح الانقباض الشديد لان هذا الكلام وضع نصب عينيها استحالة بلوغها

الهناء في هذه الحياة . فشعرت ماري انطوانت بذلك فزادت في ملاطفتها ومجاملتها لاسيما وانها عرفت ما كانت تريد معرفته من امرها واما اندرى فانها كانت تستثقل تلك المجاملة فسلمت بفتور وخرجت وفي نفسها مرارة اليأس

وبعد خروجها قالت الملكة في نفسها كمن يتهدد ويتوعد : يا ذات القلب الماسي والنفس النارية لا اكره احدًا في العالم كما اكرهك . آه .. ولكنه لا بد ان يحبك يومًا من الايام

ثم انها نادت خادمها ويبر واستفهمت منه متى ياتي الدكتور جيلبار ودخلت الى غرفة النوم بعد ان اوصت نساءها ان لا ينبهنها اذا استغرقت في النوم . لانها كانت قد توقعت لنفسها في تلك الليلة ارقًا شديدًا



الفصل الثاني والعشرون

الخباز فرنسوى

حادث هائل

وفي الحقيقة ان الملكة ارقت في تلك الليلة ارقًا شديدًا وقد صرفت قسمًا طويلاً من الوقت في البكاء . ولذلك لم تنتبه من النوم الا في الساعة التاسعة

غير انها عند انتباهها من النوم سمعت في القصر حركة اقدام كثيرة فنادت احدى نسائها وسالتها الخبر فاخبرتها ان الشعب في فتنة وهياج في باريز فلبست ملابسها وحدها ثم استدعت خادمها ويبر وسالته عن سبب الفتنة فاجابها ان التقارير متناقضة ولذلك لم يعرف احد سببها بعدُ فامرته الملكة ان يذهب بنفسه ويطلع على اسباب الفتنة وان يوصي نساء القصر بادخال الدكتور جيلبار اليها حال حضوره لانه لا بدَّ ان يكون مطلعًا على هذه الحادثة

فخرج ويبر من القصر يقصد مكان الفتنة فكان في طريقه يجد الشعب راكضًا الى ذلك المكان افواجًا وهم يصرخون ويصخبون

وما زال ويبر سائرًا حتى بلغ ساحة كنيسة نوتردام فابصر هناك شعبًا هائلاً متجمهرًا وهو يصرخ صراخًا طبق العنان فكان يُسمع من الوف من الافواه هذا النداء : هذا تجوع الشعب .. اقتلوه اقتلوه .. شنقًا بالمصباح

فمد و يبر بصره فابصر الوفًا من الناس مجتمعة وهي تتقاذف رجلاً وتتلاعب به تلاعب الاولاد بالاكر · ولا معين لهذا الرجل التعيس الا رجل آخر ممسك به يتبعه حيثما سار وهو يخاطب الناس و يحضهم على السكون · وكان الرجل الثاني هو الدكتور جيلبار

فاندس و يبر بين الناس حتى وصل الى الدكتور والرجل الذي تجمهر الشعب حوله هذا التجمهر الهائل فسمع و يبر الدكتور جيلبار يصيح بمن حوله : ايها الاخوة · ان هذا الرجل فرنسوي مثلكم فمن الواجب ان تحاكموه قبل الفتك به فخذوه الى مركز البوليس وحاكموه هناك ثم افعلوا فعلكم فيه

فلما سمع و يبر ذلك تقدم من الدكتور جيلبار فعرفه الدكتور فسلم عليه باختصار فقال له و يبر دافع دفاعًا حسنًا ايها الدكتور فانا ذاهب لاخبار رجال البوليس في المركز القريب

قال ذلك ثم اندس ثانية بين الجمهور قاصدًا مركز البوليس

وكأن شهامة الدكتور جيلبار ووقوفه وحده وقفة المدافع عن ذلك الرجل المسكين قد استفزا بعضًا من اصحاب النفوس الابية فانضموا اليه يطلبون ما طلبه ولكن الشعب ما كان يسمع لهم · وبعد برهة يسيرة علت ضوضاء جديدة وسمع بعضهم يقولون جاء الضباط جاء الضباط · ثم بعد هنيهة ظهر الضباط فتفرقت الجماهير عن الرجل لا خوفًا ولكن لان دعاة الفتنة لم يكونوا بعدُ قد اصدروا الامر بارتكاب الجناية

فساق الضباط ذلك الرجل الى المجلس البلدي ووراءه الوف مؤلفة من جماهير الشعب فدخلت تلك الجماهير كلها الى ساحة المجلس وانضم اليها من جميع الاحياء الوف اخرى من المتشردين والجياع والذين لا عمل لهم فازدادت الضوضاء والغوغاء واشتد صراخ المتجمهرين طالبين قتل ذلك الرجل الذي يجوّع الشعب

واما قصة هذا الرجل فهي من الغرابة بمكان ولا باس ان نوردها هنا ببعض التفصيل لانها حادثة تاريخية من اشهر حوادث الثورة · فنقول

يُدعى هذا الرجل « دنيس فرنسوى » وكان خبازًا ينشئ مخبزًا في مكان على مسافة مائتي متر من دار رئاسة الاساقفة في باريز · وكان المجمع الوطني يعقد جلساته في هذه الدار بعد عودة الملك الى باريز فكان اعضاؤه اذا جاعوا في اثناء الجلسات الطويلة التي يعقدونها يبعثون الى الخباز فرنسوى فيجدون عنده ارغفة صغيرة يصنعها لهم خاصة من الخبز الابيض الجيد فياكلون مسرورين بسد جوعهم مع ان الوفًا من اهالي باريز كانوا جياعًا في تلك الايام لندرة الخبز وقلة الدقيق

وبسبب قلة الخبز كانت الحكومة قد عينت اربعة رجال من رجال البوليس لكل فرن من افران باريز خوفاً من هجوم الشعب على الافران كما حدث غير مرة . وكانت الافران لا تتم خبز الخبز حتى تتخاطفه الايدي

ففي هذا اليوم وهو يوم ٢١ اكتوبر قصدت امرأة طاعنة في السن مخبز فرنسوى وطلبت منه خبزاً . وكان فرنسوى قد اتم بيع الخبزة السادسة وهو يعمل في خبز الخبزة السابعة فاجابها انتظري قليلاً لتنضج الخبزة السابعة فتاخذي خبزاً طريئاً . فصاحت العجوز كلا بل اريد خبزاً الآن وهذا ثمنه . فاقسم لها الخباز انه قد باع جميع الخبز الذي لديه فقالت له دعني اذاً ادخل وافتش حانوتك فادخلها فرنسوى فجعلت تفتش جميع الخزائن فعثرت في تفتيشها على ثلاثه ارغفة كان عمال المخبز قد خبئوها ليقتاتوا بها اذا لم يفضل من الخبز شيء فلما ابصرت العجوز هذه الارغفة تناولت احدها وخرجت من دون ان تدفع ثمنه . واذ طلب الخباز ثمنه منها اخذت تصيح في السوق — يا مجوع الشعب . يامخفي الخبز . فركض الناس على صراخها فقصت عليهم ان ذلك الرجل يخفي الخبز في مخبزه ولا يبيعه للشعب الذي يموت جوعاً ثم اعادت ذلك الصياح . فخرج على صراخها من حانة قريبة من هناك ضابط من قدماء الضباط واخذ يصيح صياحها : امسكوا مجوع الشعب فهرول الناس من كل جانب وتجمهروا عشرات ومئات

وكانوا في ذلك الوقت وقت الضيق والمجاعة اذا لقبوا احداً مجوع الشعب ونادوا عليه ذلك النداء فذلك بمثابة طلبهم الفتك به لانهم كانوا قد آلوا على انفسهم ان يقتلوا كل خباز يخفي الخبز ويجوع الشعب

فلما اجتمع الناس امام مخبز الخباز فرنسوى طلبوا ان يدخلوا ويفتشوا حانوته ليعرفوا صحة تلك الدعوى او كذبها فادخلهم الرجل الى حانوته ففتشوه فوجدوا في خزائنه الرغيفين اللذين اخذت العجوز ثالثهما وعشرات من الارغفة الصغيرة التي كان يصنعها لاعضاء المجلس الوطني

فلما عثروا على هذه الارغفة هاجوا وماجوا واخذ كثيرون يصيحون — اقتلوا المجوع اقتلوا المجوع

وفي الحال هجم بعضهم عليه وزحموه من كل جانب وصاروا يلطمونه ويتخاطفونه ويتقاذفونه صارخين « اشنقوه اشنقوه » وفي هذه الساعة اتفق مرور الدكتور جيلبار قاصداً قصر الملك فهجم على الشعب واستخبر الخبر ثم شق الجمهور حتى وصل الى الخباز وصار يدافع

عنه كما تقدم الى ان ساقوه الى دار المجلس البلدي

وكان الوقت صباحاً فلم يكن بالي ولافاييت قد قدما بعد الى المجلس · وكان ذلك في علم مثيري هذه الفتنة وذلك مما كان يزيدهم جرأة ووقاحة · فبعثوا دعاتهم من جديد بين الجماهير ليضرموا نار الغضب والحقد في نفوسها · فكانوا يقولون لهم من كل جانب « ان هذا المجوع صنع ما صنع بامر البلاط ولذلك يسعون لانقاذه » فكان الشعب يزداد صراخاً « اشنقوه اشنقوه »

فالفوا في الحال محكمة وقتية في دار المجلس البلدي لمحاكمة الرجل لان الشعب فرغ صبره فظهر من شهادات جيران هذا الخباز انه من اشد الخبازين نشاطاً واحسنهم اخلاقاً فانه كان من بداية الثورة يخبز عشر خبزات في النهار بسرعة غريبة و يبيعها لكل من يطلب منه ذلك · ولما كان بعض زملائه الخبازين ينفد منهم الدقيق (الطحين) كان يعطيهم من دقيقه ورغبة في الاسراع في العمل قياماً بحاجات الشعب لم يكتفِ بفرنه بل استاجر فرناً آخر ليجفف فيه الحطب تسهيلاً للعمل

فلما سمعت المحكمة كل هذه الشهادات تحققت ان هذا الرجل برىء وانه يستحق مكافاة على حسن عمله لا عقاباً

اما الجماهير التي كانت مجموعة هناك فانها لم ترد ان تفهم شيئاً من ذلك ولما طال عليها الانتظار ولم يسلموها فريستهـا هجمت مئات والوفاً كالبحر الزاخر الى قاعة المحكمة فدفعت الحراس والحاضرين واخذت الخباز المسكين وخرجت به تجره جراً على درج السلم وارض المجلس فتهشم وجهه تهشماً مخيفاً وصار في حال يرثي لها من الالم والخوف فبعد ان كان يصرخ طالباً الحياة صار الآن يصرخ طالباً الموت للاستراحة من هذا العذاب

وكان ملاك الموت قريباً في ذلك الزمان فما كان يناديه احد الا ويسمع نداءه ويُسرع اليه · ولذلك لم يصرخ فرنسوى بقوله « اقتلوني ولا تعذبوني » حتى مُدّت الايدي اليه من كل جانب فما هي الا لحظة حتى فُصل راسه عن جسده ووُضع على راس رمح حمله احد الحاضرين

فلما ابصر الدكتور جيلبار ذلك خرج من المجلس صارخاً : بيلو بيلو ما اسعدك لانك سافرتَ من باريز

ثم سار في طريقه منقبض النفس وهو يتامل في الحادث الفظيع الذي حدث · ولكنه لم يصل الى جسر بالاتيه حتى شعر بان شخصاً يمس ذراعه · فالتفت ليرى هذا الشخص

فما وقع بصره عليه حتى اجفل جيلبار واراد الوقوف والكلام معه لانه عرفه . اما الرجل المجهول فانه وضع اصبعه على فمه يساله بهذه الاشارة ان يسكت ثم تناول ورقة ووضعها في يد الدكتور وسار في طريقه قاصداً دار رئاسة الاساقفة

وكانت امراة واقفة هناك فلما وقع نظرها عليه صاحت برفيقاتها : هوذا « ميرابو » نصير الشعب

فصاحت رفيقاتها حينئذ « ليحيى ميرابو » فانتبه حينئذٍ الشعب الحاضر للرجل المجهول واخذوا يصيحون عشرات ومئات « ليحيى نصير الشعب . ليحيى الوطني العظيم »

ولما سمعت مؤخرة الجماهير التي كانت تحمل راس الخباز فرنسوى هذا الصراخ ركضت الى حيث كان ميرابو فاحاطت به احاطة السوار بالمعصم واخذت تصيح « ليحيى ميرابو » وما زالت به حتى اوصلته الى دار رئاسة الاساقفة حيث كان يقصد حضور جلسة المجمع الوطني

الفصل الثالث والعشرون

الفوائد التي تحصل من راس مقطوع

ولما غاب ميرابو عن نظر الدكتور جيلبار فتح الدكتور الورقة التي كان قد دفعها اليه ميرابو وقرأها مسرعاً ثم اعاد قراءتها بامعان . وبعد ذلك سار نحو التويلري بخطى واسعة فوجد ان لافاييت قد زاد عدد حراس القصر حين حدوث الفتنة زيادة في حراسة الملك فابلغ الحراس اسمه فاذنوا له في الدخول . ولما صار داخل القصر سار تواً الى غرفة الملكة بناءً على امرها

ولكنه ما دخل عليها ووقع نظرها عليه حتى صاحت صيحة من صميم قلبها

ذلك انها ابصرت نقطاً من الدماء على قميص الدكتور جيلبار ورات سترته ممزقة من احد جوانبها

اما الدكتور فانه انحنى امامها باحترام وقال . عفواً يامولاتي اذا كنت اقابلك بهذه الهيئة فانني كرهت الذهاب لتغيير ملابسي خوفاً من اطالة انتظارك لي

فقالت الملكة وماذا حدث لذلك الرجل التعيس ياموسيو جيلبار فقال انهم قتلوه ياسيدتي وقطعوه ارباً اربا . فقالت باضطراب وهل كان مجرماً قال بل كان بريئاً فصاحت

الملكة : هذه هي ثمرة ثورتكم يامسيو جيلبار . انهم كانوا في البداية يقتلون الاشراف والموظفين والحراس اما الآن فانهم صاروا يقتتلون فيما بينهم . اما من سبيل لمعاقبة اولئك الجناة والاشقياء

فقال جيلبار سنبذل الجهد في ذلك ياسيدتي ولكنني انا افضل تدارك الامور قبل وقوعها على المعاقبة عليها بعد وقوعها . قالت وما السبيل الى ذلك فانه لا شيء احب من ذلك الي والى الملك . قال السبيل الى ذلك ياسيدتي ان نولي زمام الاحكام الى رجال يثق الشعب بهم فان هذا الهياج لا منشأ له غير سخط الشعب على القابضين على ازمة الاحكام وعدم ثقته بهم

فقالت اظنك عدت الى مسالة تولية لافاييت وميرابو . فقال كنت اظن ياسيدتي انك دعوتني لتبلغيني انك استطعت اقناع الملك بان يرضى بتاليف الوزارة التي عرضتها على جلالته . قالت انك بقولك هذا يامسيو جيلبار تقع في خطاء وقع فيه جميع الناس وهو ظنهم انني ذات سلطان على الملك احمله على ما اشاء . والحقيقة ان التي لها عليه سلطان انما هي مدام اليزابت . فقال جيلبار ومع ذلك فانني مقتنع بان الملكة لو قاومت انفتها لاستطاعت اقناع الملك بهذا الامر . قالت وهل لا تحسب انفتي في محلها ايها الدكتور فاجاب جيلبار

في السياسة لا انفة ولا كراهة ياسيدتي وانما فيها مصالح او مبادىء فمتى جمعت المصلحة قوماً من الساسة انشات بينهم تضامناً ولو كانوا لا يحبون بعضهم بعضاً . وكذلك المبادىء . غير انني اصرح بشيء فيه عار لرجال السياسة في اكثر الاحيان والازمان وهو ان رباط المصالح قد يكون اشد واقوى من رباط المبادىء

فقالت الملكة وقد نظرت الى الدكتور بهيئة جدية . كيف تشير علي ايها الدكتور بان اثق بالرجل الذي اثار الشعب علي في ٥ و٦ اكتوبر وان احالف الخطيب الذي اهانني من منبر الخطابة

فاجاب جيلبار : صدقيني ياسيدتي ان ميرابو لم يثر الشعب في ٥ و٦ اكتوبر وانما الذي اثار الشعب في ذينك اليومين قوة هائلة . يد سرية صنعت ما صنعت تحت جنح الظلام . وقد آلت هذه اليد السرية على نفسها ان تهدم كل عرش في العالم لا عرش فرنسا فقط . وربما استطعت بعد حين مقاومتها وجهاً لوجه متى قبضت عليها . اما ميرابو فانه لم يعرف باخبار ٥ و٦ اكتوبر الا من المجمع الوطني نفسه

قالت وهل تنكر ايضاً انه اهانني وهو يخطب في منبر المجمع

فقال جيلبار اسمحي لي ياسيدتي ان اعرفك بميرابو لانك لا تعرفين اخلاقه . فان هذا الرجل هو من الرجال الذين يقدرون نفوسهم قدرها و يعرفون مبلغ قوتهم وكثرة الفوائد التي يجنيها الملوك من استخدامهم . ولذلك فهم يسخطون كل السخط كلما رأوا الملوك لا يعبئون بهم مع عظم الفوائد التي تنتج عنهم . وهذا سبب سخط ميرابو . فلا تعجبي ياسيدتي ان يكون ميرابو قد اتخذ كل طريقة حتى طريقة الاهانة لاستلفات نظرك اليه . لانه يعتبر انك اذا التفتِ اليه وانت غضبي من تلك الاهانة فذلك خير له وادعى الى كبريائه من ان لا تلتفتي اليه ابداً

اما الملكة فاعجبها هذا القول فلبثت مبهوتة ثم قالت . اذاً انت معتقد ان هذا الرجل يرضى بالانحياز الينا. فاجاب جيلبار لا ريب في ذلك عندي يامولاتي فمثل ميرابو والملكية مَثل جواد سائر في طريقه واذا حاد الجواد عن الطريق فبجذبة واحدة بعنانه يعود اليها. فقالت الملكة ولكن اذا رضيت انا موافقة هذا الرجل فانني لا اضمن موافقة الملك لان الملك يحسبه عدواً . فقال جيلبار كلا يامولاتي ان ميرابو ليس بعدو للملك . فاني نظرته على طريق فرساليا لما كان الملك عائداً منها الى باريز . فقطعت الملكة كلامه قائلة . اظنك نظرته مسروراً بظفره معتزاً بقوته . فقال بل رايته مرتاعاً للاخطار التي كانت تتهددكما من كل جانب . وهذا ما قاله لي يومئذ بهذا الشان . قال « اذا كنتَ قادراً على اقناع الملك والملكة بالخروج من باريز فالتك تخدمهما وتخدم فرنسا خدمة نافعة . ومتى عزما على ذلك فاخبرني الخبر لانقذهما بطريقة لديَّ »

فبهتت الملكة وقالت هل ان المسيو دي ميرابو يعتقد بوجوب سفرنا من باريز ايضاً . فقال جيلبار كان يعتقد بوجوب ذلك من قبل اما الآن فقد غير رايه . قالت ومن اين علمت ذلك قال من ورقة دفعها اليَّ في هذا الصباح بعد حادثة الخباز فرنسوى . فدهشت الملكة وسالت جيلبار : ورقة من ميرابو نفسه . قال نعم ياسيدتي واليك هذه الورقة . انما ارجو المعذرة لانها غير مرتبة ولا لائقة بجلالتك لانها كُتبت على مائدة بائع خمر فاجابت لا بأس باس فان كل شيء على غير ترتيب ولانظام في هذا الزمان ثم تناولت الورقة وقرأت فيها ما يلي

« ان الحادثة التي حدثت اليوم غيرت مجرى الامور

« يمكن الحصول على فوائد كثيرة من هذا الراس المقطوع

« فان الخوف سيستحوذ على المجمع الوطني فيطلب اعضاؤه اقامة الاحكام العسكرية
« والمسيو دي ميرابو قادر على جعل المجمع يقرر اقامة الاحكام العسكرية
« وهو قادر ايضاً ان يحمل على ناكار الوزير الاول ويسقط وزارته
« ومتى سقطت هذه الوزارة فليعهدوا الى ميرابو ولافاييت ان يؤلفا وزارة جديدة والمسيو دي ميرابو يضمن حينئذٍ تحسن الاحوال من كل وجه »

ولما اتت الملكة على هذه الورقة التفتت الى جيلبار وسالته ما رايك في هذا يامسيو جيلبار . فاجاب رأيي ياسيدتي ان ميرابو مصيب وانه لا ينقذ فرنسا الا الوزارة الجديدة التي يقترحها

فسكتت الملكة هنيهة ثم قالت فليبعث الي اذاً ببيان اسماء الرجال الذين يريد ان تتالف منهم الوزارة الجديدة وليكتب لي تقريراً عن الحالة السياسية الحاضرة

فقال جيلبار وهل اطلب منه الآن مقدمةً لهذا الاتفاق ان يسعى في اقامة الاحكام العسكرية واعادة السلطة للقوة التنفيذية . قالت فليسعَ ولكنني اعيد عليك قولي بانني لا اضمن موافقة الملك اما انا فموافقةٌ كما ترى . فسكت جيلبار عن هذا القول لانه كان يعتقد بانها ذات سلطان على الملك فمتى شاءت حملته على ما تريد . ثم سالها وهل تاذنين لي جلالتك بان ابلغ ميرابو بانك تطلبين منه بياناً باسماء الوزراء وتقريراً عن الحالة الحاضرة فقالت الملكة قل ما له شئت ان تقوله ولكن اذكر انك تباحث رجلاً حديث العهد في صداقتنا وربما عاد فانقلب وصار عدواً لنا

فقال جيلبار اما هذا الامر فكوني خلية البال منه ياسيدتي لاني اعرف الناس باخلاق ميرابو . فاذني لي الآن ان اسرع الى المجمع الوطني لاطلب من ميرابو ان يعمل بما تم عليه الاتفاق

ثم ان جيلبار سلم وخرج مسرعاً . فلما وصل الى قاعة المجمع الوطني راى الاعضاء في هياج شديد لان الخباز فرنسوى الذي قتلته العامة في ذلك النهار هو رجل المجمع وخادمه لانه كان يعدُّ الخبز لاعضائه فضلاً عن حدوث هذه الجناية على مقربة من مكان المجمع . وكان الاعضاء يجولون في القاعة ذهاباً واياباً الا ميرابو فانه كان جاثماً في كرسيه جثمة الاسد في عرينه وهو ثابت الجاش هادىء البال

ولما دخل جيلبار الى قاعة المجمع استنار وجه الاسد فاشار اليه جيلبار براسه اشارة عمودية من فوق الى اسفل دلالة على نجاح مهمته ثم انه مزق ورقة من دفتر بجيبه وكتب

عليها بقلم رصاصي ما ياتي

« ان احد الفريقين الذي تحسبه واحسبه اشد سلطانًا ونفوذًا قد وافق على اقتراحك

«وقد طلب بيانًا بمشروع الوزارة الجديد وتقريرًا عن الحالة السياسية الحاضرة .
فابعث الآن بالاول واكتب الثاني غدًا

« اسعَ في اعادة السلطة للقوة التنفيذية والقوة التنفيذية تعتمد عليك »

ثم ان جيلبار طوى هذه الورقة وكتب عليها هذه الكلمات « الى المسيو دي ميرابو »
ونادى احد حراس المكان فدفعها اليه ليوصلها الى صاحبها

فتناولها الحارس وسار توًا الى ميرابو فدفعها اليه

فتناولها ميرابو بعدم اكتراث كانه يتناول شيئًا لا يهمه ثم اخذ يقراها بعدم اكتراث
ايضًا كانه غير عابئ بموضوعها

ولم يظهر على وجهه في اثناء قراءتها لا دليل على رضاه ولا دليل على سخطه . فمن
نظره يقرأها لم يعلم اذا كان ساخطًا منها او راضيًا عنها

وبعد ان اتم قراءتها مزق ورقة من دفتر بجيبه وكتب عليها بقلمه سطورًا كثيرة
بهيئة لا شيء من الاكتراث والمبالاة فيها . ثم طوى الورقة ودفعها الى الحارس وقال له:
اوصلها الى الذي اعطاك الورقة التي جئتني بها . فاخذها الحارس الى الدكتور جيلبار
ففتحها الدكتور باهتمام شديد فوجد فيها هذه الاسطر التي لو عُمل بها لغيرت مستقبل
فرنسا كلها . وهذا نصها

« ساسعى

« غدًا ابعث بالتقرير اليك

« اما اسماء الوزراء فهذا بيانها

« المسيو ناكار . وزير اول (يجب ابقاؤه في الوزارة انتفاعًا بشهرته لدى الشعب
وافناء لقوته)

« رئيس اساقفة بوردو . لوزارة العدلية (ونطلب منه ان يحسن اختيار عماله)

« الدوق دي ليانكور . لوزارة الحرب (وهو رجل ذو شرف وعزم وحزم فضلاً عن
حبه للملك وهذا مما يضمن لنا سلامة الملك)

« الدوق دي لاروشفوكول . لقصر الملك ولمدينة باريز (ويكون " توريت "معه)

« الكونت دي لا مارك . لوزارة البحرية (لا يمكن تعيينه لوزارة الحرب لان هذه الوزارة للدوق دي ليانكور . والمسيو دي لامارك مشهور بالامانة والحزم والجد في العمل)

« اسقف دوتين . لوزارة المالية

« الكونت ميرابو . من مستشاري الملك . من غير وزارة . (لم يبقَ محل في هذا الزمان للاوهام وبناء عليه يجب على الحكومة ان تصرح علانية بانها لا تستند منذ الآن فصاعداً الا الى المبادىء الصحيحة ولا تتخذ اعواناً لها الا من اصحاب المواهب والاخلاق)

« تارجه . يعين محافظاً لباريز

« لافاييت . من مستشاري الملك . يرقى الى رتبة مارشال ويعين قائداً عاماً للجيش رغبة في تنظيمه . وقيادته الى اجل

« المسيو دي مونمورين . والٍ . ودوق . (وتوفى ديونه)

« المسيو دي سكور . لوزارة الخارجية

« المسيو مونيه . لادارة مكتبة الملك (١)

ولما اتى جيلبار على قراءة هذه الورقة تامل في سطورها فظهر له ان احرفها مضطربة بعض الاضطراب مما يدل على ان ميرابو كتبها ويده ترتجف قليلاً من تاثره وان كان لم يبدُ في وجهه شيء من هذا التاثر . ثم ان جيلبار كتب ثانية الى ميرابو الورقة التالية

« اني عائد الى صاحبة المنزل الذي اعتمدنا على استئجاره لابلغها الشروط التي اقترحتها بشان الاستئجار

« ابعث اليَّ حين انتهاء الجلسة بورقة تحتوي على نتيجتها

ثم عاد جيلبار الى التويلري وكان ويبر يقص في هذه الساعة على الملكة بشان الخباز فرنسوى قصة اثرت فيها اشد تاثير وبيانها ان الجماهير التي كانت حاملة راس ذلك الخباز المسكين كانت سائرة به في احد الشوارع واذا بها تسمع امراة تصيح صيحة عظيمة فالتفتوا اليها فراوها تسقط على الارض مغشياً عليها

---

(١) بعد وفاة ميرابو وجدوا ورقة كهذه الورقة في جملة اوراقه وفيها الاسماء والشروح المتقدمة وذلك مما جعل المؤرخين يرجحون ميل ميرابو الى الملكية في آخر ايامه بعد اذ كان من اشد مقاوميها

وكانت هذه المراة زوجة ذلك الخباز وقد وقع نظرها على راس زوجها المقطوع قبل وقوفها على الحادثة . ومن سوء حظها انها كانت حاملاً

فلما سمعت الملكة ذلك بكت وصاحت بو يبر : اذهب واستخبر خبر هذه المراة . فاذا كانت لم تمت بعد فقل لها ان تأتي لمقابلتي . واذا كانت حاملاً كما تقول فابلغها انني ساكون عرابة ولدها

ولكن الملكة لم تتم كلامها حتى دخل جيلبار وكان قد سمعه وفهم معناه فصاح من صميم قلبه : ليت جميع الفرنسويين يسمعونك الآن ياسيدتي ليعلموا رقة قلبك وشرف اخلاقك

اما الملكة فبقيت مبهوتة لهذا الكلام لانها ذكرت الكونت دي شارني الذي كان كثيرًا ما يقول لها مثله

ثم ان جيلبار دفع ورقة ميرابو الى الملكة فتناولتها وسالته ان يبقيها لها لتنظر فيها . ثم مدت اليه يدها مودعة ليقبلها . فدهش لذلك جيلبار وقبلها

وقد دهش لانها كانت المرة الاولى التي اذنت له الملكة فيها بتقبيل يدها

ولما عاد جيلبار الى منزله وجد فيه الكتاب التالي وهو من خط ميرابو

« كانت المناقشة شديدة في الجلسة

« ولكنه تقرر مع ذلك اقامة الاحكام العسكرية

« وقد طلب روبسبيير وبوزوت تاليف محكمة عليا لمحاكمة الذين يجنون على الامة جناية كجناية هذا الصباح فجعلت المجمع يعين محكمة الشاتله الملكية للنظر في جميع القضايا المختصة بالجناية على الوطن والامة

« وقد قلت من غير تمهيد ولا محاولة ان سلامة فرنسا متوقفة على قوة الملكية . فصفق لهذا القول ثلاثة ارباع الاعضاء

« نحن اليوم في ٢١ اكتوبر فاذا قابلت يوم ٦ اكتوبر بهذا اليوم ظهر لك ان الملكية تقدمت تقدماً محسوساً »

الفصل الرابع والعشرون

﴿ مظالم الاحكام في تلك الايام ﴾

الشاتله

قال ميرابو في كتابه السابق انهُ جعل المجمع الوطني يعين محكمة « الشاتله » لمحاكمة الذين يجنون على الوطن والامة ٠ وقد اتخذ هذا التعيين دليلاً على تقدم الملكية ٠ فما السبب في ذلك

يعرف السبب متى عُرفت ماهية الشاتله واهميته ٠ ولبيان ذلك نقول

ان الشاتله كان في القرن الثالث عشر سجناً ومحكمة وقد بناه الملك فيليب اغسطس وفي سنة ١١٨٩ اصيب هذا الملك بالجنون الذي كان فاشياً في تلك الايام (١) وهو الحروب الصليبية لاسترجاع اورشليم فخالف هذا الملك الملك ريكاردوس قلب الاسد وسافر واياه الى الاماكن المقدسة

ولكنه قبل سفره خاف ان ينقسم شعبه بعضه على بعض في مدة غيابه كما انقسم الشعب الانكليزي في غياب الملك هنري الثاني فاراد ان يشغله بشيء يصرف فكره عن الانقسام فامر المهندسين ان يشرعوا بعد سفره ببناء سور كبير حول باريز ٠ وقد ترك لهم رسم هذا السور

الا ان المهندسين لم يعتدوا بهذا الرسم لانه كان ضيقاً وقد خافوا ان يضيق عن باريز بعد بنائه لان هذه العاصمة كانت آخذة بالنمو بسرعة غريبة ولذلك توسعوا في بناء هذا السور وادخلوا فيه جميع القرى والبلدان الصغيرة التي كانت في ضواحي باريز

وكان لكل ناحية من هذه النواحي محكمة خاصة بها وامير خاص يحكمها وهو مستقل عن باقي الامراء زملائه ٠ فكانت هذه المحاكم المختلفة تحكم احكاماً متناقضة متباينة ٠ فلما استفحل هذا الامر وكان ذلك في عهد لويس التاسع اصدر هذا الملك امرًا بتعيين محكمة « الشاتله » لاستئناف جميع القضايا التي تصدرها تلك المحاكم اذا شاء اصحابها استئنافها ٠ وهكذا صارت محكمة الشاتله منذ ذلك اليوم محكمة عليا

وبديهي ان لويس التاسع لو لم يكن واثقاً بمحكمة الشاتله لما خولها هذه السلطة ٠ وبناء عليه كانت هذه المحكمة معتبرة على مدى الاجيال محكمة ملكية

(١) الحروب الصليبية

ولذلك عدَّ ميرابو تعيينها للفصل في الدعاوى الوطنية فوزاً للملكية . لان المجمع الوطني لو كان كارهاً للملكية وغير مريد لها لما رضي الشاتله محكمة وطنية

وكانت القضية الاولى التى عُهد الى هذه المحكمة النظر فيها قضية مقتل الخباز فرنسوى . فاحيل اليها الضابط الذي خرج من الحانة على صوت العجوز وصار يحرض الشعب . فحكمت المحكمة بتجريده من رتبه واعدامه فجرد منها واعدم

وكانوا قد اعدموا قبله ايضاً رجلين من القتلة وذلك من غير محاكمة مكتفين باشتهارهم بالاشتراك في تلك الجناية

ثم احيلت اليها قضيتان . الاولى قضية اوجار المتهم بانه دفع مالاً كثيراً الى حاشية الملكة لتتمكن به من جمع الجند في ساحة مارس وقضية بيير فيكتور بزنفال الذي كان يقود الجند الالماني في باريز والمتهم بانه امر باطلاق الرصاص على الشعب

اما الشعب فانه كان لا يعبأ بالمتهم الاول ولكنه كان شديد الاهتمام بالمتهم الثاني لما ذاقه منه ومن جنوده من مر العذاب . واما الملك والملكة فانهما كانا يلحان على المحكمة بوجوب تبرءة ساحة هذين الرجلين لانهما من المخلصين للبلاط

فنظرت المحكمة في قضية الاول وبرأت ساحته . فلم يهتم به الناس كثيراً

الا انها لما شرعت في محاكمة الثاني غصت قاعة الشاتله بسكان باريز خاصتها وعامتها وكانوا كلهم ينتظرون بصبر فارغ نتيجة المحاكمة . ولكن ذلك لم يمنع المحكمة من تبرءة بزنفال ايضاً

فاستاء الشعب من هذا الظلم الظاهر

وقبل انصراف الناس من قاعة المحاكمة اخذ احد الحاضرين ورقة وكتب عليها بضعة اسطر ثم ادارها كما تدار الاسطوانة وقذف بها الى كرسي رئاسة المحكمة . فوقع نظر الرئيس عليها فمد يده وتناولها . ولما فتحها قرأ فيها الابيات الاربعة التالية

Magistrats qui lavez augeard
Qui lavez Besenval, qui laveriez la peste,
vous êtes du papier brouillard :
Vous enlevez la tache, et la tache vous reste

وهذا معناها تقريباً

« ايها القضاة الذين برأتم ساحة اوجار و بزنفال

« والذين تبرئون الطاعون ايضاً

« انتم كورق النشاش

« ترفعون البقعة القذرة ولكنها تبقى فيكم

وكان في ذيل هذه الابيات اسم ناظمها

فلما قرأها الرئيس التفت ليجد صاحبها . فرآه واقفاً على مقعد في وسط القاعة وهو يشير اليه باصبعه اشارة معناها : انا هو

فلم يجسر الرئيس ان يامر بالقاء القبض عليه . وذلك لسببين . الاول ان هذا الرجل كان « كاميل ديمولين » الصحافي الشهير واحد زعماء الثورة في تلك الايام والثاني ان الحق كان في جانبه

وهذه احدى نتائج الظلم في كل زمان ومكان

ثم انصرف الناس افواجاً افواجاً وهم يتحادثون بنتيجة الحكم . وكان الدكتور جيلبار في جملة الحاضرين فخرج معهم . الا انه ما كاد يُدرك الباب حتى شعر بيد توضع على كتفه وسمع قائلاً يقول : ما رايك في هذين الحكمين ايها الدكتور

وكان الرجل الذي خاطب الدكتور يلبس ملابس تدل على انه من اوساط الناس اما الدكتور فقد ارتعدت فرائصه عند سماعه ذلك الصوت فالتفت الى صاحبه واذ تحققه أجاب : الحكم في ذلك موكول لك يا معلم لانك تعرف الحاضر والماضي والمستقبل

فقال الرجل المجهول اما انا فاني اقول « الويل للبريء الذي يساق الى هذه المحكمة بعد هذين الحكمين »

فقال جيلبار ولماذا تحسب المتهم الذي يأتي بعدهما بريئاً

فضحك الرجل المجهول وقال « لان من نواميس هذا العالم انَّ الاشرار يأكلون الحصرم والاخيار يضرسون .

ولا ريب ان القارىء قد عرف ان هذا الرجل الذي وصفناه بالمجهول انما هو كاليوسترو الرجل الهائل الذي تقدم ذكره في غير هذا الموضع .

فلما سمع جيلبار الكلمة التي قالها صاحبه واظهر فيها كل ما في نفسه من الارتياب والشك في عدالة هذه الحياة رام التخلص من البحث في هذه الشؤون فمد يده الى كاليوسترو وقال استودعك الله يا معلم

فقال كاليوسترو لقد اسرعت في المسير . فاجاب جيلبار ضاحكاً لدي اشغال يجب

عليَّ الاسراع اليها · قال اظنك ذاهباً الى موعد · فقال جيلبار نعم · فقال كاليوسترو وهل تقابل ميرابو او لافاييت او الملكة في هذا الموعد

فدهش جيلبار ووقف وقفة القلق الحائر لانه وجد كاليوسترو عالماً بوجود شؤون هامة بينه وبين من تقدم ذكرهم ثم قال · انك تخيفني باقوالك في بعض الاحيان · فقال كاليوسترو لا اخيفك ولا تخيفني هل لك ان تسير معي لاطلعك على امور سرية تتعلق بالامور السرية التي تخابر بها اصحابك · فازداد جيلبار دهشة فقال انني سائر معك حيثما اردت فقد اقلقت بالي بكلامك

واتفق حينئذ مرور مركبة في الطريق فنادى كاليوسترو السائق ثم ركب المركبة مع الدكتور · فالتفت السائق الى كاليوسترو كأنه عرف ان هذا الرجل هو الذي يدير حركة الاثنين فسأله · اي مكان تقصدان · فاجاب كاليوسترو خذنا الى حيث تعلم · ثم اشار الى السائق اشارة ماسونية مخصوصة

فدهش السائق لما رأى الاشارة فاجاب باشارة مثلها ثم قال · عفواً عفواً يا مولاي فانني ما عرفتك لاول مرة

فقال كاليوسترو بهيئة العظمة · اما انا فانني عرفتك لاول نظرة لانني مع كثرة رعيتي أعرف كل واحد منها

ثم ان السائق غمز خيله فسارت بالمركبة خبباً وما زالت سائرة حتى وصلت الى قصر لكاليوسترو وهو قصر دخله جيلبار قبل الآن · فنزل كاليوسترو وضيفه من المركبة ثم سال كاليوسترو السائق هل لديك شيء تقوله · فقال السائق نعم ولو لم القَ مولاي لرفعت اليه تقريراً في هذا المساء · فقال كاليوسترو تكلم · قال لا استطيع ذلك امام الغريب ·

فابتعد الدكتور جيلبار لما سمع هذا القول · فدنا حينئذ السائق من كاليوسترو واسرَّ اليه اموراً لم يسمع منها الدكتور عن بعد سوى هاتين الكلمتين : ففراس : ومونسيو ولما انتهى الحديث مدَّ كاليوسترو يده الى جيبه واخرج منها ذهبين ليعطيه اياهما · فامتنع السائق وقال لا يجهل مولاي انه لا يجوز لنا اخذ المال جزاء على تقاريرنا · فقال كاليوسترو ولكني اعطيك ما اعطيكه اجرة لمركبتك لا جزاء لتقريرك فقال السائق · اما اجرة المركبة فانني اقبلها · ثم مد يده وتناول الذهبين وذهب مسروراً

اما جيلبار وكاليوسترو فانهما دخلا الى ذلك القصر ليغير كاليوسترو ملابسه

الفصل الخامس والعشرون

﴿ في قصر كاليوسترو ﴾

وكان هذا القصر قائماً في شارع سان كاود وقد تقدم ان جيلبار يعرفه لانه دخل اليه منذ ١٧ عاماً

غير انه دخله في ذلك الزمان وهو شاب فقير لا يملك شروى نقير اما الآن فهو رجل كبير . ومع ذلك فانه لم يتمالك ان يضطرب حين دخوله اليه لذكره ايامه الماضية وما كان قد شاهده فيه من غرائب الامور .

ولما صار جيلبار وكاليوسترو في القاعة التفت كاليوسترو اليه وقال ضاحكاً . اتذكر هذه القاعة ياجيلبار . فقال جيلبار كيف لا اذكرها فانها تذكرني جميلاً صنعته معي . فقال كاليوسترو دعنا من ذكر ذلك فانني لم اصنع معك شيئاً من الجميل كما تقول لانك رددت الي ما كنت اخذته . فقال جيلبار وهل تحسب قليلاً ان ياتيك فتى فقير فتعطيه مائة الف ريال دفعة واحدة . فقال كاليوسترو وهل تحسب انت قليلاً ان يرد ذلك الفتى المائة الف ريال بعد اخذها دون ان يستعمل منها سوى ذهبين فقط

فاجاب جيلبار ان ذلك الفتى لم يصنع سوى صنع الرجل المستقيم . اما انت فانك كنت رجلاً كريماً

فقال كاليوسترو ضاحكاً ولكن اعلم ياجيلبار انه اهون على الانسان في هذا الزمان ان يكون كريماً من ان يكون مستقيماً . فانه من السهل عليه ان يهب من ماله مائة الف ريال اذا كان يملك ملايين ولكنه ليس من السهل عليه ان يرد مائة الف ريال اذا كان لا يملك شيئاً

فقال جيلبار دعنا من هذا ولنعد الى موضوعنا . فقال كاليوسترو ضاحكاً . نعم فلنعد الى مشروع الوزارة . فقال جيلبار مدهوشاً اي وزارة تعني . فقال كاليوسترو وزارة يتولاها ميرابو ولافاييت . اتنكر هذه الوزارة يا دكتور . انك اذا انكرتها اضطررتني ان اعيد على مسامعك ذكر جميع الامور التي اتيتها توصلاً اليها هل تريد ذلك . فقال جيلبار وقد ازدادت دهشته نعم اريد ذلك فتكلم

فقال كاليوسترو اسمع ايها الرجل الذي لا تصدق احداً . منذ ١٥ يوماً قابلت الملك ورمت اقناعه باستمالة ميرابو اليه . ثم خرجت من لدنه ساعة دخول المسيو

دي ففراس عليه

فقال جيلبار نعم وذلك يدل على انه لم يقتل بعد كما تنبأت له

فقال كاليوسترو ولماذا لا تمهل المسكين مدة اخرى فاني لا اعهدك قاسياً الى هذا الحد . امهل نفسه قبل الخروج من جسده بقدر ما يمهل المستاجر للخروج من المنزل الذي يقيم فيه اي ثلاثة اشهر فقط . و بعد ثلاثة اشهر ترى اذا كان ما قلته صدقاً او كذباً . اما الآن فدعنا من ذلك ولنعد الى موضوعنا . فبعد مقابلتك الملك قابل الملك الملكة واستشارها فلم تعارض في ذلك الامر بقدر ما عارض الملك . هل اخطأت بشيء الى الآن يامسيو جيلبار . فقال جيلبار كلا . قال و بعد ذلك قابلت الملكة ايها الدكتور واسهبت في قولك ان خلاص المملكة متوقف على ميرابو

فقال جيلبار نعم هـذا رايي . قال كاليوسترو وهو رايي انا ايضاً ولذلك سيسقط مشروعك . فصاح جيلبار كيف يسقط . فقال كاليوسترو نعم انه سيسقط لانني لا اريد خلاص الملكية ولكن دعني الآن اكمل . فلما الححت على الملكة وجدت انها اقتنعت من كلامك فسرك ذلك وحسبت الفضل فيه راجعاً الى قوة براهينك وقد جهلت الاسباب التي حملتها برهة على التسليم

فقال جيلبار وما هي هذه الاسباب في رايك . فقال كاليوسترو ان الملكة كانت قبل محادثتها اياك بهذا الامر مجروحة جرحاً حبياً فلما جئتها بهذه المؤامرة السياسية وجدت فيها تسلية وتعزية عما بقلبها من الشجن والحزن فرات ان تهتم بها . وفضلاً عن ذلك فانها كثيراً ما سمعت ان ميرابو كاره لها وانه يهينها في منبر الخطابة وان له جرأة الاسود ومنظرها فاحبت ان ترى هذا الرجل الغريب وتتلذذ برؤيته خاضعاً لها جاثياً تحت قدميها بعد ان كان من مهينيها حاسبة انها تنتقم لنفسها بذلك . افهمت الاسباب التي حملتها على الرضى بمشروعك . وقد قلت لك ان هذا المشروع سيسقط لان ميرابو مدبون والبلاط لا يفي ديونه

فقال جيلبار ولماذا لا تفيها انت يا معلم فانك وفيت قبلها ديون الكردينال دي روهان

فقال كاليوسترو انني وفيت ديون الكردينال دي روهان لان ذلك عاد علي بفائدة كبرى . فقال جيلبار وما هي هذه الفائدة قال مسالة عقد الملكة . فليحدث ميرابو حادثة كحادثة عقد الملكة وانا افي ديونه (١) ومع ذلك فهو الآن لا يعتمد علي وانما يعتمد على لافاييت

(١) مسالة « عقد الملكة » مسالة مشهورة في الدنيا كلها وقد اهتم بها جميع المؤرخين

الذي وعده بتسليفه ٥٠ الف فرنك وهو ينوي ان لا يسلفه اياها بل يتركه يركض وراءها كما تركض الكلاب في طلب الخبز

فقال جيلبار منزعجاً لهذا التشبيه · ما هذا ايها الكونت · اما كاليوستر و فانه اردف بقوله كانه يخاطب ميرابو امامه

— مسكين انت يا ميرابو · فان جميع هؤلاء الحمقى والبله الذين لك صلات بهم يحملون عقلك الكبير تبعة التبذير والجنون اللذين اصبتَ بهما في شبابك · وغير بعيد ان يكون للعناية دخل في ذلك تكفيراً عن ذلك الجنون · فان مونسيو يقول « ميرابو رجل لا يعرف الادب » والكونت دارتوى يقول « ميرابو رجل مبذر » وقد وفي اخوه اي اخو دارتوى ديونه ثلاث مرات · ويقول ريفارول « ان ميرابو ثرثار كبير » ويقول كيلرمي " ميرابو لص " ويقول الراهب موري " ميرابو قاتل " ويقول تارجه " ميرابو رجل ضائع " ويقول بللتيه " ميرابو خطيب يصفر له سامعوه اكثر مما يصفقون له " ويقول شمبز نتز " ميرابو مصاب بالجدري في نفسه " ويقول لمبزك " يجب سجن ميرابو سجناً ابدياً " ويقول مارات " يجب شنق ميرابو " — مع انك ياميرابو اذا متَّ غداً احتفل بك الشعب احتفالاً ما وراءه احتفال ورأيت هولاء الاقزام الذين تُشرف عليهم من سماء عظمتك والذين يضغط عليهم مجرد وجودك يمشون في جنازتك صارخين " ويل لك يا فرنسا لانك فقدتِ خطيبك · وويل للملكية لانها فقدت سندها "

فقال جيلبار وهل يخطر في بالك ان تتنبأ ايضاً بموت ميرابو

اهتماماً شديداً للوقوف على صحيحها وفاسدها · ويقول بعضهم انها من اشد الاسباب التي حملت الفرنسويين على كراهة ملوكهم والقيام للثورة عليهم · ولذلك قال كاليوسترو آنفاً ما قاله عنها

وبيان هذه المسالة الغريبة التي شغلت اوروبا كلها في ذلك الزمان ان بومر وباسانج وهما صائغا البلاط الفرنسوي شرعا في عهد الملك الخامس عشر في ابتياع انفس الجواهر التي في فرنسا واوروبا ليصيغا منها عقداً نفيساً لم يُصنع مثله في الدنيا ويبيعاه الى مدام دي باري محظية الملك لانها كانت مولعة بالجواهر ولعاً شديداً · ولكن الملك لويس الخامس عشر توفي من سوء حظ الصائغين قبل شرائه العقد لعشيقته وخلفه الملك لويس السادس عشر الذي تزوج بالملكة ماري انطوانت فعرض الصائغين عقدهما على الملكة · وكانت قيمته مليون وستمائة الف فرنك ...

فالتفت كاليوسترو الى جيلبار وقال · وهل تعتقد حقيقة ان ميرابو يحيى بعد اليوم حياة طويلة · انظر الى دمائه التي تغلي غلياناً في عروقه · انظر الى قلبه العظيم الذي تخنقه رغائبه · انظر الى نفسه المتقدة التي تاكل بعضها اذ لا تجد ما تاكله· انظر الى كل ذلك واحكم بعد هذا اذا كان صاحبها يبقى في الحياة وقتاً طويلاً · الا تعلم ان قوى الانسان مهما كانت عظيمة فانها تنحل شيئاً فشيئاً وتضعف قليلاً قليلاً اذا استمر اصطدامها بالمصاعب التي لا يمكن اجتيازها · اتحسب ان الرجل الكبير يستطيع مقاومة الناس الصغار الى ما لا نهاية له دون ان تخور عزائمه · وهذا ميرابو يقاوم عبثاً صغار الناس منذ سنتين فانهم يسحقونه كل حين بهذه الكلمة « رجل ردئ السمعة » وكأن هذه الكلمة صخرة هائلة كلما وثب ميرابو ودفعها عن كتفيه الكبيرتين عادت فسقطت عليه وسحقته · اتعلم ماذا قالوا للملك حين رضي برفع ميرابو الى منصب الوزارة · لقد قالوا له « انكم اذا استوزرتم ميرابو ياذا الجلال صاحت باريز انه سيئ السمعة فتردد فرنسا كلها انه سيئ السمعة وحينئذ تنادي اوروبا كلها ايضاً ان ميرابو الوزير الفرنسوي رجل سيئ السمعة ولا يخفى ما في ذلك من الضرر بسمعة فرنسا نفسها » وقد قالوا ذلك كانهم يعتقدون ان الله يصنع الرجال العظام في ذات القوالب التي يصنع بها باقي الناس اوكأن الدائرة العظيمة التي يصنعها ويوسعها لتسع الفضائل الكبرى لا تحتوي ايضاً بحكم الطبع على الرذائل الكبرى · فاقصر يا جيلبار انك تسعى عبثاً في جعل ميرابو وزيراً · ميرابو لا يكون وزيراً ابداً · وانما يكون وزيراً رجل بليد مثل تيرغو ورجل كبير الدعوى مثل ناكار ورجل احمق مثل دي كالون ورجل جاحد مثل دي بريين · اما ميرابو فانه استدان مائة الف فرنك وخطف امراة رجل بليد فذهبت هذه المراة واحبت ضابطاً جميلاً ثم تسممت لان هذا الضابط هجرها · ومن اجل ذلك كان ميرابو سيئ السمعة وحرم من الوصول الى الوزارة : حقاً ان الحياة رواية محزنة · ولو لم اكن قد وطنت النفس على الضحك منها والاستهزاء بها لكنت ابكي كثيراً عليها

فلما رأته الملكة اولعت به ولكن خزانة الدولة كانت فارغة من المال فكرهت شراءه فاخذه الصائغ بومر احد صاحبيه وذهب به سائحاً في عواصم العالم يعرضه على ملوكه وملكاته لانه كان قد جاذف بكل ثروته لجمعه وصنعه فلم يبتعه منه احد بسبب ثمنه الهائل فعاد الى باريز واليأس ملئ صدره فخطر له ان يعود الى عرضه على الملكة فدخل عليها في عام ١٧٨١ وانطرح على قدميها قائلاً انه عازم على الانتحار اذا كانت لا تبتاع عقده

فقال جيلبار وقد اعجبته بلاغة صديقه ولكن ماذا تستنتج من كل ذلك . فقال كاليوسترو الم تعلم بعد ما استنتجته منه . قلت واقول لك ان ميرابو الرجل العظيم . السياسي الكبير . الخطيب الذي لا مثيل له . سيصرف عمره ولا يكون وزيرًا . فان ذكاء المرء محسوب عليه

فقال جيلبار وهل ذلك لان الملك يعارض في هذا الامر . فقال كاليوسترو اذهب غدًا الى المجمع الوطني واسمع ما يقال هنالك . فقال جيلبار ولماذا لا توقفني على ذلك الان اذا كنت واقفًا عليه فقال كاليوسترو لكي لا احرمك لذة سماع الامر الجديد غدًا . فقال جيلبار ولكن غدًا لناظره بعيد . قال فاذا كنت تستبعد غدًا فاذهب معي في هذا المساء الى نادي اليعقوبيين وهنالك اوقفك على امور ذات شان

فاتفقا على الذهاب الى نادي اليعقوبيين

الفصل السادس والعشرون

✵ نادي اليعقوبيين ✵

وهو النادي الثوري الشهير

وكان هذا النادي يومئذ في بدء عهده اذ لم يكن قد انقضى بعد ثلاثة اشهر على انشائه ومع ذلك فقد بلغ عدد المشتركين فيه اكثر من ٦٠ الف عضو وبعد انقضاء سنة على انشائه بلغ عدد اعضائه اربعمائة الف رجل

فاستاءت الملكة منه وقالت له جزىء العقد وبعه اجزاء فان الناس يشترونه منك ثم امرته بان لا يزعجها مرة ثانية بمثل هذا السؤال . ولكن الملكة مع ذلك كانت شديدة الميل الى العقد وكان الصائغ عالمًا بميلها هذا . وذلك سبب الحاحه

وهنا بدأت الحادثة الغريبة التي حدثت في مسالة شراء هذا العقد . فقد كان السفير الفرنسوي في فيينا رجلاً يدعى الكردينال دي روهان من اسرة روهان الشهيرة فسخط عليه الملك والملكة فعزلاه من السفارة فعاد الى فرسايل وفي نيته استرضاء الملك . فعرف في سنة ١٧٨١ في سافرن امراة تدعى الكونتس دي لاموت فاحبها وصار يهبها الاموال الطائلة من صندوق الفقراء . فاتخذت الكونتس دي لاموت هذه الاموال سبيلاً

وكان اعضاؤه من خاصة الناس وفيهم كثيرون من ضباط البر والبحر . وكان هذا النادي بمثابة نقطة مركزية لجميع الجمعيات السرية التي كانت تعمل في فرنسا في ذلك الزمان من الجمعية الماسونية فنازلاً . وقد لقبوه بالنادي اليعقوبي لانه كان قائماً في دير قديم يدعى دير اليعقوبيين في شارع سان اونوره

ولما وصل الدكتور جيلبار وصديقه كاليوسترو الى النادي سال كاليوسترو صديقه اتدخل الى قاعة النادي ام تصعد الى مقاعد الزائرين . فاجاب جيلبار لست عضواً في النادي لا دخل الى قاعته فقال كاليوسترو ولكنك تعلم انني من اعضائه كما اني من اعضاء جميع الجمعيات السرية وبما انك صديقي فانك تدخل معي . فقال جيلبار بل افضل الصعود الى مقاعد الزائرين فاننا ننظر منها جميع الحاضرين . فصعد كاليوسترو وجيلبار الى المقاعد

وكانت هذه المقاعد غاصة في كل مكان بجماهير الزائرين فلم يكن فيها مكان واحد خالياً . ولكن كاليوسترو لم يبالِ بذلك بل دنا من الصفوف المتقدمة وقال كلمة امام اثنين كانا جالسين في الصف الاول فنهضا في الحال بكل احترام واكرام وتنازلا عن مقعديهما لكاليوسترو ورفيقه . فجلس جيلبار وكاليوسترو واطلاً من ذلك العلو على تلك القاعة الواسعة

الى الظهور والدخول الى البلاط فدخلت اليه وصارت من نساء الملكة

فحينئذ اخذ الكردينال روهان يلح على صديقته بان تسترضي الملكة عنه وتستأذنها بمقابلته . وكان الكردينال يومئذ عضواً في الاكادمي الفرنسوية ومديراً لكلية السوربون واسقفاً لستراسبورج وكان في نحو الخمسين من العمر . الا انه كان مع ذلك يعتقد الظرف واللطف في نفسه ويرجو ان تحبه الملكة . وكان الكونتس دي لاموت رات هذا الامر مورداً غزيراً للمال فاخذت تُطمع روهان وتبلغه عن الملكة وميلها اليه اموراً لا اصل لها حتى اجترأ الكردينال وسالها ان تطلب من الملكة مقابلته على انفراد

فدبرت الكونتس دي لاموت لذلك طريقة شيطانية . فانها كانت تعرف فتاة تدعى مدموازل ديسينيين وهي شديدة الشبه بالملكة فاستدعتها ودبرت الحيلة معها على ان تدفع لها ١٥ الف فرنك ثم ذهبت الى الكردينال وقالت له ان الملكة تقابلك في هذه الليلة في احدى جوانب الحديقة المظلمة . فطار الكردينال فرحاً . وفي الساعة المعينة ادخلوه

وكانت القاعة منارة بنور ضئيل فكان الاعضاء لا يظهرون فيها الا كاشباح بعيدة وكانوا كلهم يخطرون في صحن القاعة ذهاباً واياباً وكل ملابسهم تدل على انهم من الطبقة الخاصة

وكان في جملتهم جمهور غفير من ضباط البر والبحر بملابسهم العسكرية وكثيرون من رجال الادب والفنون . فمنهم لاهارب وشنيه واندريه وسيدين وشمفور ولاكلو . ومنهم « تالما » الممثل المشهور ودافيد الرسام الطائر الصيت الذي لا يبعد ان يكون الان قد ابتاع ذلك القلم الذي رسم به رسمين واحداً من اجمل ما خطه قلم الانسان والثاني من اقبح ما رسمه الرسامون . الاول رسم « اليمين في ملعب المدينة » — انظر الجزء الاول من نهضة الاسد الصفحة ٤٦ — والثاني رسم « مارات مقتول في حمامه » . ومنهم « فرنه » الذي عُين عضواً في الاكادمي مكافاة له على رسمه رسم « فوزُ بول واميل » والذي يجهل وجود ضابط كورسيكي كان في هذه الساعة مستنداً الى ذراع تالما مع ان هذا الضابط سيجعله في المستقبل يرسم خمسة رسوم من اجمل ما خطه قلم الانسان وهي « اجتياز جبل سان برنارد » « معارك ربفولي » « واقعة مارانجو » « واقعة دوستريتز » « واقعة واكرام » ذلك ان هذا الضابط يدعى الضابط بونابرت

تحت جنح الظلام الى المكان المعين في الحديقة وهو مكان مظلم محفوف بالازهار فانتظر الكردينال فيه قدوم الملكة . وبعد هنيهة راى خيالاً ناصع البياض له قامة الملكة وهيئتها متقدماً منه فطار صوابه وخف لاستقباله فتناول الخيال وردة وقدمها اليه قائلاً « فلننسَ الماضي » ولكن الخيال لم يفه بهذه الكلمة حتى ركضت الكونتس دي لاموت قائلة « لقد جاءوا لقد جاءوا » تعني بذلك اناساً مفاجئين . ثم قبضت على ذراع الكردينال وذهبت به وهو في اشد حالات التاثر والانفعال

اما الشخص الذي دفع الوردة الى الكردينال فلم يكن سوى المدموازل ديسينين التي تقدم ذكرها . واما الملكة فالمؤرخون العارفون يرجحون انها كانت واقفة في مكان بعيد تفرج همومها بمشاهدة ذلك المنظر المضحك . ولكن اعداءها يزعمون ان الشخص الذي قابل الكردينال كان نفس الملكة وهو امر مستحيل كما ان اصدقاءها يزعمون ان الملكة كانت جاهلة كل هذه الحادثة وهو امر بعيد ايضاً لاسباب لا محل لذكرها

وبعد هذه الحادثة صار الكردينال يكتب للملكة رسائل حب ووداد فكانت الكونتس دي لاموت تاخذ منه هذه الرسائل وتاتيه باجوبتها زاعمة انها من خط الملكة

ومنهم « لاريف » الممثل الذي كان مناظرًا لتالما والذي كان يفضل فولتير على كورنيل وبلوى على راسين · ومنهم لايس المنشد الشهير ولافاييت ولامث وديبور وسياياس وتوريت وشابليه ولانجينه ومونلوزيه وكلهم من مشاهير الرجال · وفي وسطهم كلهم رجل شامخ الانف عالي الجبهة وهو الخطيب « بارناف » نائب كرنوبل الذي كان بعضهم يعتبرونه مناظرًا لميرابو في الخطابة مع ان ميرابو كان يسحقه سحقًا كلما خطر له ان يضع قدمه عليه

فاجال جيلبار نظره في اولئك الرجال مرتاحًا لما كان يشاهده عليهم من دلائل الارستوقراتية ثم قال لكاليوسترو · اي رجل بين هؤلاء الرجال يبغض الملكية بغضًا حقيقيًا

فقال كاليوسترو هل انظر الى ذلك بعيني ام بعيون الناس ام بعيني المسيو ناكار او الراهب موري · قال بل انظر بعينيك فقال كاليوسترو هنا رجلان كما ذكرت · فقال جيلبار ليس كثيرًا ان يكون بين ار بعمائة رجل رجلان يكرهان الملكيه

فقال كاليوسترو بل ذلك كثير اذا كان احدهما يقتل لويس السادس عشر والثاني يخلفه

فارتعدت فرائص جيلبار عند هذا الكلام ثم قال اذًا انت تزعم وجود بريتوس وقيصر هنا · فقال نعم وقد صدقت فقال جيلبار ارني اذًا هذين الرجلين · فقال كاليوسترو بايهما نبتدئ · فقال جيلبار لنتبع الترتيب ولنبدأ بالذي يهدم اولاً · فمد كاليوسترو اصبعه مشيرًا وقال انظر الى ذلك الرجل

والحقيقة انها كانت من خط عشيق للكونتس كان يدعى ريتو دي فيلييت وفي ذات يوم ورد على الكردينال كتاب من الملكة كما كانت تقول الكونتس وهي تساله فيه ان يبعث اليها بمائة وخمسين الف فرنك لانها محتاجة الى المال · فدفع الكردينال هذا المبلغ الى الكونتس دي لاموت في الحال · ومنذ هذا الحين صارت الكونتس وزوجها يسرفان ويبذران · واذا سالهما احد من اين لكما كل هذا المال اجابا انه من فضل الملكة

فظهر من ذلك للناس علو مكانة الكونتس وزوجها في البلاط فجاءها في ذات يوم احد اقرباء الصائغ باسانج احد صاحبي العقد وسال الكونتس ان تتوسط لدى الملكة في شرائه فلم تعده الكونتس بشيء ولكنها عادت فراجعت فكرها فوجدت لنفسها في هذا الامر ربحًا عظيمًا فقصدت صاحب العقد بعد انقضاء بضعة اسابيع وابلغته ان الملكة تريد شراء العقد

فنظر جيلبار الى المكان الذي اشار اليه كاليوسترو فوقع نظره على رجل مستند الى المنبر وجسمه محجوب بالظلام وليس فيه شيء ظاهراً سوى وجهه الذي كانت تنيره بعض الاشعة الضئيلة . فتأمل جيلبار هذا الوجه فوجده نحيفاً اصفر وفيه لوائح الجمود والسكون . فقال ليس هذا الوجه وجه بريتوس او كروموبل . فضحك كاليوسترو وقال نعم ان هذا الرجل لا يشبه بريتوس ولا كروموبل ولكن اذكر قول قيصر « انني لا اخشى اولئك الرجال السمان الذين يصرفون نهارهم على المائدة وليلهم في الملاهي وانما اخاف اولئك الرجال النحاف الاجسام الصفر الوجوه الذين يكثرون من التامل والافتكار » فانظر . الا ينطبق هذا القول على هذا الرجل . فقال جيلبار بلى فقال كاليوسترو وهل عرفته قال اظنني عرفته اما هو نائب داراس في المجمع الوطني فقال كاليوسترو هو هو فقال جيلبار اما هو ذلك الرجل الذي لا يصغي اليه احد كلما وقف في منبر الخطابة فقال كاليوسترو هو هو فقال جيلبار اليس اسمه مكسيميليان دي روبسبيير فقال نعم . قال جيلبار فاي شان يكون في المستقبل لرجل ضعيف خامل كهذا الرجل

فقال كاليوسترو وهل تظنه انت ايضاً خاملاً قاصراً كما يظنه باقي الناس . نعم انه ليس لروبسبيير منظر ميرابو الاسدي ولا جرأة بارناف ولا منطق سياياس ولكنه رجل قانوني مستقيم بل انه الاستقامة المتجسدة . فلا تستغرب ان يصل الى الدرجة التي ذكرتها

فقال جيلبار ولكن من اين اتى هذا الرجل وما هو اصل عائلته .

فاجاب كاليوسترو على الخبير بها سقطت فانني اعرف الناس بعائلة روبسبيير . ان

ولكنها تكره شراءه بنفسها ولذلك عهدت هذا الامر الى رجل كبير الشان فعلى صاحب العقد ان يتفق معه ويكون على حذر فيما يختص بثمنه . وكان ذلك في ٢١ يناير من عام ١٧٨٥

وفي ٢٤ منه قصد الكردينال دي روهان محل الصائغين لشراء العقد كأن الكونتس دي لاموت ابلغته ان الملكة لا يكمل ميلها اليه الا متى ابتاع ذلك العقد لها

فابلغه الصائغان ان ثمن العقد مليون وستمائة الف فرنك فرضي الكردينال بشرائه بهذا الثمن واقترح عليهما أن يدفع لهما عند استلام العقد ٤٠٠ الف فرنك وما بقي من الثمن يدفعه اقساطاً متتابعة في كل اربعة اشهر قسطاً واحداً الى حين استيفاء الثمن . فرضي بذلك الصائغان ووقعا مع الكردينال على شروط الاتفاق في ٢٩ يناير . وبعد انقضاء يومين اخذا اليه العقد فاراهما صك الاتفاق موقعاً عليه من الملكة نفسها وكتاباً من الملكة تقول

اصل هذه العائلة ايرلندي وربما كانت من جملة العيال التي هجرت ايرلنده في القرن السادس عشر وجاءت الى شواطىء فرنسا الشمالية فاقامت في ديورها ومناسكها . وكان جد روبسبيير مسجلاً فجاء فرع من هذه العائلة واقام في مدينة اراس التي هي مركز من مراكز الاشراف والاكليروس فولد لهذه العائلة اخوان واختان وكانت ولادة الرجل الذي امامنا في سنة ١٧٥٨ ولما بلغ الحادية عشرة توفي ابواه فاصبح في هذا السن كبير العائلة ففهم مقامه منها على صغر سنه وصار يعنى باخوته . وقد درس في مدرسة اراس ثم ارسل الى مدرسة لويس الكبير في باريز فاتمّ دروسه فيها . وكان يقضي اوقاته حزيناً منفرداً لانه بلا عائلة تسلي حزنه وتؤنس وحشته ولما خرج من المدرسة عُين قاضياً في محكمة جنائية فرفعت اليه في ذات يوم قضية قتل فحكم على القاتل بالاعدام . ولكنه بعد الحكم بكته ضميره على انه حكم باعدام نفس بشرية وراى ان وظيفته تقضي عليه بذلك فاستعفى منها وجعل نفسه محامياً . فجاءه في ذات يوم بعض الفلاحين وسألوه ان يدافع عنهم في قضية اقاموها على اسقف اراس فنظر روبسبيير في اوراق القضية فوجد الحق في جانبهم فدافع عنهم وربح القضية . وكان سكان اراس ينظرون يومئذ في تعيين نائب عنهم لارساله الى باريز فانتخبوه وبعثوه فاصبح عضواً في المجمع الوطني

فقال جيلبار وماذا عمل منذ ذلك الحين فاجاب كاليوسترو . انه لم يعمل بعد عملاً كبيراً ولكن كفاه انه اشد الاعضاء نصرة للشعب . فانه لما قصد مليار جنرال النساء قاعة المجمع في فرساليا وعرض على اعضائه مسالة المجاعة وما يقاسيه الشعب منها سكت جميع الاعضاء حتى اشدهم جرأة الا روبسبيير فانه نهض وايد طلب النساء

فيه انها ابتاعت العقد . فاطمان الصائغان وسرا بانقضاء هذه المشكلة

وفي ذلك اليوم نفسه (اول فبراير) ذهب الكردينال الى التويلري منشرح الصدر ومعه العقد فقابلته الكونتس دي لاموت ومعها رجل زعمت انه من حراس قصر الملكة قادم لاستلام العقد منه فدفع الكردينال العقد اليها فدفعته الى حارس امامه وعاد الكردينال من حيث اتى

وفي ٢ فبراير ذهب الصائغان الى القصر لمشاهدة العقد في جيد الملكة فوجدا انها لم تتقلده فاستاءا وابلغا ذلك الى الكردينال فقال لهما الكردينال ان الملكة تروم مخاطبة الملك بشان هذا العقد قبل ان تتقلده لئلا يسالها من اين اتى . ثم اوصاها بان يُبلغا شكرهما الى الملكة على ابتياعها العقد منهما

فقال جيلبار ومن يضمن لنا ان هذا الرجل لا يغير افكاره في المستقبل فقال كاليوسترو ان هذا الرجل سيسمى في المستقبل" الرجل الذي لا يرتشي ولا يتغير" وهو الآن اضحوكة لدى المجمع فانه اذا خطب لا يسمعونه واذا تكلم ضحكوا منه واستهزءوا به . وكل رصفائه الاعضاء يعتقدون انه بليد قاصر لا شان له الا ميرابو فانه يقدره قدره وقد قال لي اول امس" ان هذا الرجل يعتقد ما يقوله ولذلك فهو سيسير شوطًا بعيدًا »

فقال جيلبار ولكن قد قرأت خطب هذا الرجل فلم ارَ فيها شيئًا يستحق الذكر . فقال كاليوسترو : كما ان الاعضاء لا يصغون اليه فان الطباعين لا يعبأون بخطبه بل يتصرفون فيها كما يشاؤن . وقد يسميه كتاب الجرائد المسيو (ب) او المسيو (م) لانهم يجهلون اسمه وليس يعلم غير الله ما ينشأ ذلك في نفسه من الحقد والبغض . فان رفاقه الاعضاء يستخفون به والصحافيين يهملونه والاكليروس يبغضه لانه دافع في القضية التي اقيمت ضد اسقف اراس والاشراف يعيرونه بانه تعلم في المدرسة على نفقة المحسنين اليه . وزد على ذلك انه بلا عائلة تسلي نفسه وهو يكره الاجتماعات والملاهي فلا ينفك فكره مشتغلاً بموضوعه . ولذلك تتكاثف في نفسه غيوم الحقد الى ان يجيء ذلك اليوم الهائل الذي تنشأ فيه الصاعقة . وليس يعلم غير الله مقدار الدماء التي سيهرقها هذا الرجل في ذلك اليوم

فقال جيلبار لقد احزنني بريتوس فان لم يسرّني قيصر فانني ربما نسيت الموضوع الذي جئت من اجله الى هذا المكان . فاين قيصر ؟

فمد كاليوسترو اصبعه مشيرًا وقال . انظر الى ذلك الشاب الذي يحادث رجلاً لا يعرفه فانه كورسيكي يُدعى بونابرت والرجل يُدعى باراس وسيكون له تاثير عظيم

واصبح الكردينال بعد شراء العقد يعلل نفسه بالوصول الى دست الوزارة . وكان يومئذ مصادقًا لكاليوسترو الذي كان يقيم في منزله فكان كاليوسترو يغريه اشد اغراء فيما يختص بمسالة العقد لعلمه بصير هذه المسالة

ولما دنا ميعاد الدفعة الاولى جاءت الكونتس دي لاموت الكردينال بكتاب فحواه ان الملكة مغبونة بالثمن فطلب الكردينال من الصائغين انقاص ٢٠٠ الف فرنك من ثمن العقد على ان يدفع لها في القسط القادم اي في اول اغسطس ٧٠٠ الف فرنك بدلاً من ٤٠٠ الف فرنك فرضي الصائغان . ثم كرت الايام واستحق القسط الاول فرهنت الكونتس دي لاموت جواهرها بقيمة ٣ الف فرنك ودفعتها الى الكردينال فدفعها الكردينال الى الصائغين كفائدة لمالها الذي تأخر دفعه . فداخل الصائغين ريب من هذه الامور

على مستقبله

فنظر جيلبار الى الرجلين وقال لقد احسنت اختيار قيصر يامعلم فان جبهة هذا الشاب الواسعة جديرة بان يوضع التاج عليها . اما عيناه فانني لم اتحققهما بعد . فقال كاليوسترو ذلك لانه ينظر الى داخل المكان . على ان هذا الشاب ينظر بهما في وجه المستقبل نظراً بعيداً

فقال جيلبار وماذا يقول لرفيقه باراس قال انه يقول له انه لو كان هو مدافعاً عن الباستيل يوم هجوم الشعب عليه لما تمكن الشعب من فتحه . فقال جيلبار فليس هذا الرجل اذاً وطنياً مخلصاً . فقال كاليوسترو ان من كان مثله يكون كل شيء . فقال جيلبار بشيء من الجد وهل تعتقد حقيقة ان هذا الضابط الصغير سيكون رجلاً كبيراً ام انت تمزح . فاجاب كاليوستر بحدة . جيلبار جيلبار كلا لا امزح فانه كما ان ذلك الرجل سينصب في فرنسا آلة القتل التي سيعدم بها الملك ويهدم العرش كذلك سيعيد هذا الشاب ذلك العرش و يبني مملكة اوسع من مملكة شارلمان

فصاح جيلبار مضطرباً فلماذا نسعى اذاً في نصرة الحرية اذا كنا لا نحييها اليوم الا لتموت غداً . فاجاب كاليوسترو بعظمة ومن قال لك ان كل واحد من هذين الرجلين لا يخدم الحرية خدمة عظيمة احدهما بآلته والثاني بعرشه

فقال جيلبار وكيف يكون ذلك هل ان هذا الرجل اله قادم للعالم لانشاء مملكة السلام فيه

فقال كاليوسترو ان هذا الرجل رجل تجسمت فيه نفس اسكندر وانيبال . اسے

كلها فبعثوا في الحال وابلغوا الامر الى الوزير برتويل

وكان الوزير برتويل معادياً للكردينال روهان فبعث وابلغ الملكة خبر العقد وذكر لها ما كان في باريز وفرساليا للاشاعات عن مقابلتها الكردينال في الحديقة تحت جنح الظلام من التاثير والتأويل . فصعقت الملكة عند بلوغها هذا الخبر بواسطة الوزير واعلنت انها تجهل كل تلك الامور . ثم طلبت من الصائغين ان يقدما لها تقريراً مطولاً عن تلك الحادثة فكتبا لها تقريراً في ٩ اغسطس فلما امعنت الملكة النظر في التقرير ذهبت مسرعة الى الملك واوقفته على ذلك أمر . فبلغ الغيظ من الملك مبلغه فارسل يطلب الكردينال وكان ذلك في يوم عيد الصعود والكردينال متشح بملابسه الكهنوتية استعداداً للقيام بالقداس في القصر . فاحضره الملك قبل القداس بملابسه الكهنوتية فجاء

انه مهاجم ومدافع معاً . لقد ولد في وسط الحرب وسيعظم بالحرب ويسقط بالحرب . قلت لك انك لا تستطيع تقدير الدماء التي يهرقها روبسبيير في حياته . نخذ الآن هذه الدماء . ضاعفها عشر مرات بل مائة مرة بل الف مرة ومع ذلك فانها لا تبلغ نصف البحر العظيم الذي سيجريه هذا الشاب منها . فانه سيجمع جيوشاً لا يقل احدها عن خمسمائة الف رجل ويحارب في معارك تدوم الواحدة منها ثلاثة ايام ويطلق فيها ١٥٠ الف مدفع

فقال جيلبار وماذا ينتج عن ذلك كله . فقال كاليوسترو ينتج عن ذلك تغيير وجه العالم . فاننا نحن الان ندفن العالم القديم وسيستقبل اولادنا عما قريب عالماً جديداً . وهذا الرجل هو بواب العالم الجديد وسينسب اليه القرن القادم الذي يعيش فيه

فقال جيلبار وماذا يكون اسم هذا الرجل . فقال كاليوسترو انه يسمى الان بونابرت ولكنه سيسمى نابوليون

فاخذ جيلبار يتامل وجه الكورسيكي ويفتكر في الماضي والحاضر والمستقبل . ولم يكن مصدقاً لما قصه عليه كاليوسترو ولكنه كان يفكر فيه رغماً عنه

وبقي ساعة يفكر وهو يجيل نظره في القاعة وعقله شارد ولذلك لم يفطن الى افتتاح الجلسة وصعود خطيب الى منبر الخطابة . وبعد برهة شعر بيد شديدة تضغط على ذراعه فالتفت فلم يجد كاليوسترو ولكنه وجد ميرابو مكانه

وكانت لوائح الغضب بادية في وجه ميرابو . فنظر اليه جيلبار نظرة استفهام عن هذا الغضب . فقال ميرابو اما علمت ما جرى . فقال كلا قال لقد هزءوا بك وبي وضحكوا منك ومني فان البلاط لا يريدني . فقال جيلبار لم افهم كلامك بعد يا كونت . فقال ميرابو

وهو يرتعد ويرتعش . فقابلته الملكة بالعنفوان والكبرياء ونظرت اليه نظر بريئة من الذنب . اما الملك فانه لطف لهجته حين رأى شدة منظر الملكة وقال له اجلس الى المائدة واكتب دفاعاً عنك . فجلس الكردينال يكتب بيد مرتجفة وقد استهل دفاعه بقوله « كنت احسب ان المرأة التي كنت اراها هي الملكة » ولما قرأ الملك كتابة الكردينال قال له « لا اقدر يا موسيو الا ان ابقي شخصك في قبضتي لان اسم الملكة عزيز علي فيجب ان اتحقق كل تفاصيل هذه المسالة » يعني انه يريد سجنه . فاخذ الكردينال يتذلل ويلتمس منه ان لا يصعقه بهذه الضربة الفجائية امام جميع الناس الذين كانوا ينتظرونه في الكنيسة فرام الملك اطلاق سبيله فغضبت الملكة لذلك وسالت الملك باكية ان يصون شرفها فطاوعها الملك وكان الكردينال قد سار يريد العودة الى الكنيسة فصاح الوزير

أما سمعت القرار الذي قرروه الان · فقال كلا قال كيف لم تسمعه فهل كنت نائماً · فقال لا وانما كنت اتفكر واتأمل · فقال ميرابو

لقد اقترحت اليوم اقتراحاً مآله انه يجوز للوزراء حضور جلسات المجمع فلم يرضَ الاعضاء المعروفون بالميل الى البلاط عن هذا الاقتراح بل قاوموه وسيقترحون غداً على المجمع اقتراحاً آخر مآله انه لا يجوز لكل عضو من اعضاء المجمع الوطني ان يكون وزيراً · وهكذا يهدمون بامر جلالته ما بنيناه وينقضون ما ابرمناه · ثم رفع ميرابو صوته ومدَّ قبضته القوية متهدداً كجبار يناطح جباراً وقال : ولكنني اقسم باسم ميرابو انني اردّ لهم هذه الضربة · فان ايديهم اذا كانت تنقض وزارة فان يدي تهدم عرش مملكة

فقال جيلبار وهل عدلتَ عن الدفاع عن مشروعنا في المجلس فاجاب ميرابو كلا بل سادافع واناضل لانني ممن لا يُدفنون الا تحت الردم والانقاض

قال ذلك ثم نهض وعلى جبهته غضب ينير وجهه كما تنير الصاعقة الغيوم في كبد الظلام· وكان منظره حينئذ هائلاً ومهيباً معاً

وفي اليوم التالي اجتمع المجمع الوطني فاقترح العضو لانجينه « انه لا يجوز لاعضاء المجمع ان يكونوا وزراء » فقام ميرابو وقعد وحمل على هذا الاقتراح حملات شديدة ولكنه سعى عبثاً فان المجمع وافق على الاقتراح باكثرية عظيمة

فلما وافق المجمع على هذا الاقتراح انتصب ميرابو وقال بغضب : انني اقترح ان يزاد على هذا الاقتراح عبارة لا تغير شيئاً منه وهي : « يجوز لكل اعضاء المجلس ان يكونوا وزراء ما عدا الكونت دي ميرابو »

برتوبل بالحرس « ايها الحراس اقبضوا على الكردينال » فاسرع الحراس وقبضوا عليه وارسلوه الى الباستيل

وكانت الكونتس دي لاموت قد سافرت من فرساليا قاصدة المانيا بامر من الكردينال ولكنها لما وصلت الى بار في فرنسا اقامت فيها غير متنكرة ولا خائفة ولما علمت بسجن الكردينال لم تفرَّ كانها كانت واثقة بالنجاة بناء على ما تعرفه من البلاط · فالقي القبض عليها في ١٨ اغسطس وزُجت في الباستيل ايضاً · ثم القي القبض على كاليوسترو صديق الكردينال وعلى ريتو دي فيلييت عشيق الكونتس دي لاموت الذي كان يكتب لها رسائل الملكة وعلى مدموازل ديسيني او مدموازل اوليفا كما كانوا يسمونها وهي التي كانت تشبه الملكة

فصعق الاعضاء من هذه الجسارة واخذوا ينظرون بعضهم الى بعض . اما ميرابو فانه نزل من منبر الخطابة بخطى الظافر وجميع الاعضاء سكوت كالاصنام ثم خرج بعظمة وكبرياء من قاعة الجلسة

فكان فشله شبيهاً بالانتصار

وقد صدق ميرابو في ظنه فانه ما من احد اسقط مشروعه ومشروع الدكتور جيلبار غير الملك والملكة

الفصل السابع والعشرون

﴿ الملك ومشروع الفرار ﴾

قدوم بوليه

وانما اسقط الملك والملكة مشروع ميرابو لان كل واحد منهما كان يطلب النجاة في الفرار من باريز وكان الملك ينتظر نتيجة رحلة شارني والملكة تنتظر نتيجة مشروع ففرأس تمهيداً لهذا الفرار

غير ان الملك لم يطل انتظاره فان شارني لما وصل الى متز وابلغ الجنرال دي بوليه ارادة الملك بعث هذا الجنرال في الحال ابنه الى باريز لمخابرة الملك وتدبير طريقة لفراره من عاصمته

وكان الجنرال دي بوليه من اقرباء لافاييت فلما علم لافاييت بوصول نجل الجنرال الى باريز بعث يدعوه اليه وهو يجهل بالطبع السبب في مجيئه فقابله الشاب بوليه وجعله يفهم

وفي ٥ سبتمبر من عام ١٧٨٥ احيلت هذه القضية على البرلمان لينظر فيها . وكان خبرها قد ملأ الدنيا باسرها . اما الشعب الفرنسوي فانه كان منتصراً للكردينال على الملكة وقد شاعت يومئذٍ اشاعات كثيرة عنها

وكان تارجه مدافعاً عن الكردينال فاظهر براءته لدى ابرلمان واثبت ان الكونتس دي لاموت خدعته بما ابلغته عن الملكة وانها اي مدام دي لاموت هي المجرمة الحقيقية اما الكونتس دي لاموت فانها انكرت مقابلة الحديقة وقالت ان الكردينال وكاليوسترو سرقا العقد وباعاه وانها وزوجها بريئان . وكان الشعب المجتمع حول البرلمان لانتظار الحكم يزيد على ١٠ الاف نفس . وكان ذلك في ٣١ مايو من عام ١٧٨٦

ان السبب في مجيئه الى باريز رغبته في الالتقاء بباريزية يحبها

فانطلى محال هذا الكلام على الجنرال لافاييت

ثم ساله لافاييت اذا كان يرغب في مواجهة الملك فقال الشاب بوليه في نفسه ان التقادير قد ساعدتني ثم أجاب انه مشتاق لمواجهة الملك فعزما في ذلك النهار على مواجهته.

ولما جاءت الساعة المعينة لذلك ذهب به لافاييت الى التويلري فلما دخلا حيتهما الجنود تحية عسكرية وهي لا تعلم انها كانت تحيي في ذلك الوقت نصير الثورة وعدوها لافاييت نصيرها و بوليه عدوها

وقد جعل لافاييت و بوليه زيارتهما الاولى للملكة فلما ابصرت الملكة الشاب بوليه نهضت اليه كابوة وجدت اشبالها بعد ان فقدتها ثم مدت اليه يدها صارخة . هذا انت يا مسيو دي بوليه

وكانت الملكة تجهل ان الملك راسل المركيز دي بوليه فيما يختص بمشروع الفرار فلم يكن ذلك اذاً بالسبب الذي دفعها هذا الاندفاع وانما السبب رؤيتها نبيلاً من نبلاء مملكتها قادماً لزيارتها وعرض اخلاصه عليها في زمن كان الناس يفرون من الملكية و يبتعدون عنها

وقد قالت الملكة ذلك القول دون ان تعبأ بلافاييت او تنظر اليه فلم يرق هذا الامر الشاب بوليه غير انه تقدم بالرغم عنه وجثا على الارض ثم اخذ اليد الممدودة اليه وقبلها باحترام شديد

فانقبض لافاييت هنيهة ثم ابتسم وقال : حقًا يا ابن عمي انه كان يجب عليك ان

و بعد فحص البرلمان جميع تفاصيل القضية حكم ببراءة الكردينال روهان وكاليوسترو و بنفي ريتو دي فيليت الذي كان يكتب الرسائل نفياً مؤبدًا و بسجن الكونت دي لاموت سجناً مؤبدًا و بجلد الكونتس دي لاموت وكيها في كتفيها بحديد محمي دلالة على العار وسجنها في مستشفى السالبتريير

فغضب الملك والملكة لهذا الحكم غضباً شديدًا لانه يحصر الذنب كله في نساء الملكة فنفي الكردينال روهان الى ديرله في اوفرنيا . وقد هاجر من فرنسا في ايام الثورة الى انتهيم وتوفي فيها في عام ١٨٠١ . اما الكونتس دي لاموت فقد نفذ الحكم فيها ولكنها استطاعت الفرار من السالبتريير في عام ١٧٨٧ فوصلت الى لندرا في ٤ اغسطس منه وهناك كتبت

تقدمني انت للملكة لا ان اقدمك انا اليها

فاحست الملكة بما في قول لافاييت فالتفتت اليه لتزيل تأثير ذلك الاندفاع وقالت عفواً يا جنرال فانني لم ارَ الكونت منذ سنوات طوال ولذلك سررت الان برؤيته

فاجاب لافاييت : ان للملكة يامولاتي ان تظهر عواطفها كما تشاء . فقالت الملكة بل قد اخطأت يا جنرال فاصفح عن خطاءي ولنتصافح الآن على الطريقة الانكليزية او الاميركية

ثم مدت اليه يدها لتهز يده فمد لافاييت يده ببطء وقال انني آسف ياسيدتي لانك تذكرينني دائماً بالطريقة الانكليزية والاميركية مع علمك انني فرنسوي

وقد ارادت الملكة بقولها « على الطريقة الاميركية » الاشارة الى ما عمله لافاييت في اميركا ايام الثورة الاميركية

ثم جلست الملكة متعبة كأنَّ هذه المحادثة انهكت قواها . وسالت لافاييت هل عندك خبر جديد ايها الجنرال

فاغتنم لافاييت هذه الفرصة للانتقام وقال كم قد اسفت يامولاتي لانك لم تحضري امس جلسة المجمع الوطني . فانك لو حضرتها لشهدتِ مشهداً مؤثراً . فلقد حضر الى قاعة المجمع شيخ طاعن في السن ليشكر المجمع والملك فقالت الملكة ومن يكون هذا الشيخ فقال لافاييت . هو كبير الانسانية في هذا الزمان . هو شيخ له من العمر ١٢٠ سنة وقد قدم الى المجمع ووراءه خمسة اعقاب من ابنائه واحفاده ليشكر المجمع على التقرير الذي اصدره في ٤ اغسطس وفحواه المساواة بين جميع بني الانسان . فان هذا الرجل عاش عبداً رقاً في حكم لويس الرابع عشر ومضى عليه منذ ذلك الحين ٨٠ سنة وهو كذلك فلما تقررت

تاريخ حياتها واودعته من الطعن في الملكة وعزت اليها من الامور ما يكره كل كاتب نقله . وقد توفيت الكونتس دي لاموت في عام ١٧٩١ وذلك ان لصوصاً دخلوا منزلها لقتلها في الليل فالقت بنفسها من النافذة فراراً منهم فلقيت منيتها

اما العقد فلم يظهر له بعد ذلك اثر . واما ثمنه فقد راح الصائغان وورثتهما يطالبونه من ورثة الكردينال دي روهان على غير جدوى . وقد حطت هذه الحادثة من شان الملكية في فرنسا حطاً شديداً فكره الفرنسويون ملوكهم بسببها . ولذلك قال كاليوسترو بلسان ديماس انه يفي ديون ميرابو كما وفى ديون روهان اذا كان ميرابو يحدث له حادثه كحادثة العقد تحط من شان الملكية وتعود بالنفع على مشروعه الجمهوري

المساواة والغي الرق جاء المجمع ليشكره على هذا العمل باسم الاعقاب الماضية والمقبلة فقالت الملكة وماذا صنع المجمع به · فقال لافاييت · لما دخل هذا الرجل على الاعضاء نهض جميع الاعضاء احتراماً له وجعلوه يجلس و يلبس قبعته وهم وقوف مبالغة في اكرامه فتنهدت الملكة لانها فهمت مراد لافاييت واجابته لتنتقم منه ايضاً · اما انا فانني قابلت شخصاً آخر بينما كان المجمع يقابل ذلك الشيخ · فقال لافاييت ومن هو هذا الشخص يا سيدتي · قالت هو زوجة الخباز فرنسوي المسكين الذي قتلوه ظلماً · وقد وعدتها بان اكون عرابة لولدها بعد ولادتها هذا اذا لم يكن الولد قد مات في بطنها من الخوف والحزن · فاسالك ايها الجنرال هل من مانع يمنع من اقامة حفلة العماد في كنيسة نوتردام·

فاجاب لافاييت · ان هذا الكلام يا سيدتي يجعل سامعيه يظنون انك اسيرة في قصرك وقد انتشرت هذه الاشاعة كل الانتشار فرجائي يا سيدتي ان لا تظني ذلك وان تقنعي الملك بالعودة الى التنزه والصيد ليعلم الناس في فرنسا وفي اوروبا ايضاً فساد تلك الاشاعة ·

فابتسمت الملكة هنا ابتساماً دل على عدم تصديقها الكلام الذي سمعته واما لافاييت فانه اردف بقوله · واما مسالة العماد فالامر فيها وفي كل الشؤون لجلالتك · فمتى شئت اختاري الكنيسة والوقت واصدري اوامرك تنفذ في الحال

فابتسمت الملكة للجنرال وللشاب بوليه ابتسام الوداع فخرجا من لدنها وقصدا منزل الملك

وكان لويس السادس عشر حينئذ في معمل الحدادة فلما بلغه قدوم لافاييت بعث يرجوه ان يوافيه الى هذا المعمل · ذلك ان الملك خصص قاعة من قاعات التويلري وجعل فيها كل آلات الحدادة من السندان والمنفخ فنازلاً لانه كان شديد الولع بهذه الصناعة كما تقدم

وكانت هذه القاعة قائمة فوق القاعة المخصصة بنومه

فلما وصل لافاييت وبوليه الى باب المعمل سال الحارس بوليه عن اسمه ليبلغه الى الملك مع اسم لافاييت فاجابه لافاييت ابلغ الملك حضوري وانا اقدم رفيقي الى جلالته

وكان الشاب بوليه حينئذ كثير الافتكار في المحادثة التي دارت بين لافاييت والملكة لانه لم يلحظ من كلام الملكة انها عارفة بالسبب الذي جاء من اجله ولم تظهر له منها حركة ولا اشارة في هذا الموضوع · فدخل الشاب مع لافاييت على الملك وهو يتاهب لملاحظة كل

حركات الملك وسكناته

ولما وقعت عين الملك على لافاييت قال له ضاحكاً : اعذرني ايها الجنرال لاني استقبلتك هنا ٠ ولكن الحداد يؤكد لك انه مسرور بزيارتك معمله ٠ وقد كان احد الفحامين يقول لجدي هنري الرابع « ان الفحام سيد في محله » اما انا فاقول لك انك سيد في محل الملك ومحل الحداد ايضاً »

وكان في هذا القول اشارة الى سلطة لافاييت العظيمة في ذلك الزمان فانهم كانوا يسمونه « ملك الملك » رمزاً الى ان الملك لم يكن يستطيع ان يعمل عملاً لا يريده لافاييت

وكان الملك حينئذٍ وراء مائدة العمل وامامه المبارد وآلات الحدادة وهو بلباس العمل ويداه ملطختان بآثار الحديد الذي كان يعالجه في يده

فاجابه لافاييت : انني حيثما تشرفت بمقابلة الملك سواء كان ذلك في معمل الحدادة او في قاعات القصر فانه يبقى دائماً ملكي وابقى دائماً خادماً لجلالته

فقال الملك نعم وانا لا اشك في ذلك ايها المركيز

وقد كان الملك يلقب لافاييت مركيزاً مع ان لافاييت كان قد تنازل عن هذا اللقب كما تنازل يومئذ جميع انصار الشعب والحرية عن القابهم ومراتبهم

ثم سال الملك لافاييت هل غيرت ياورانك ايها الجنرال فاني ارى معك ضابطاً جديداً

فاجاب لافاييت ان هذا الشاب يامولاي هو الكونت لويس بوليه نجل المركيز دي بوليه وقد جئت لاقدمه لجلالتكم

فاجفل الملك اجفالاً خفيفاً شعر به الشاب ولكن لم يشعر به لافاييت ثم قال ٠ آه ٠ هذا انت يامسيو دي بوليه ٠ اعذرني لانني لم اعرفك ايها الكونت وقل لي هل فارقت متز منذ زمن طويل

فاجاب الشاب منذ خمسة ايام يامولاي

وقد علم الشاب من سؤال الملك « هل فارقت متز منذ زمن طويل » انه يقصد بذلك سؤاله هل التقيت بشارني وعرفت منه سبب رسالته ٠ فاجابه جواباً فهم منه الملك كل شيء وهو « فارقتها منذ خمسة ايام » اي انني حضرت وصول الكونت شارني اليها وعلمت سبب سفارته

فاصبح الملك والشاب منذ هذا الحين يتخاطبان بلغة سرية يفهمانها ولا يفهم لافاييت منها شيئاً .

ثم ان لافاييت سال الملك عن الشيء الذي يصنعه في يديه فاجاب الملك انني اصنع قفلاً من اصعب الاقفال . وقد اتعبني جداً حتى انني لا شك في انني استطيع اتمامه وحدي . وذلك لان هذا النوع من الاقفال أصعب الانواع كلها . فكم كنت اتمنى ان يكون الآن المعلم «كامين» عندي ليريحني منه . فقال لافاييت ولماذا لا يجيء المعلم كامين يا مولاي . فضحك الملك وقال لانه يخشى ان يُساء الظن به اما علمت ايها الجنرال ان الدنو من الملك في هذا الزمان صار مدعاة الى اساءة الظن والتهمة . وفضلاً عن ذلك فان حراسك يفتشون الواردين الى القصر والصادرين عنه فهو يخشى حين دخوله او خروجه ان يفتشوه فيحسبوا المبارد التي تكون في جيوبه خناجر وهناك المصيبة الكبرى . ثم ضحك الملك ضحكاً لطيفاً

فقال لافاييت انني اذا شددت كل هذا التشديد في حراسة الملك يا مولاي فانما اقصد بذلك القيام بواجب عليَّ لانني مسئول عن حياة الملك لدى فرنسا بل لدى اوروبا كلها . اما فيما يختص بالرجل الذي يعنيه الملك فمتى صدر امره بادخاله الى القصر ينفذ امره في الحال

فاجاب الملك اشكرك يا مسيو دي لافاييت فلا حاجة للاسراع في ذلك وانما احتاج الى هذا الرجل بعد بضعة ايام فقط . وهو يقيم في فرساليا في شارع الزرزفوار فمتى احتجت اليه بعثت في طلبه

ثم ان الملك نظر الى الشاب بوليه نظرة خصوصية كأن معناها «فتش عن هذا الرجل وجئني به» ففهم بوليه من نظرة الملك معنى كلامه فاغمض عينيه مشيراً الى انه قد فهم الكلام

وبعد ذلك سأل الملك الشاب بوليه هل انت عازم على الاقامة وقتاً طويلاً في باريز ام انت عائد الى ابيك . فاجاب الشاب انني ساقيم في باريز بضعة ايام يا مولاي ثم اقصد فرساليا لزيارة جدة لي تقيم في شارع الزرزفوار فيها وبعد ذلك اعود الى باريز لمقابلة شخص انتظر اوامره ثم اسافر الى متز

فلما قال الشاب ان عمته تقيم في شارع الزرزفوار في فرساليا حيث كان يقيم المعلم «كامين» تحقق الملك ان الشاب فهم كلامه حق الفهم

فابتسم له الملك وودعه مع لافاييت فخرج الرجلان من لدنه . وبعد خروجها قال الملك في نفسه « لقد فهم الشاب مرادي فبعد بضعة ايام سياتيني المعلم كامين ليساعدني على وضع هذا القفل السري في الخزانة السرية »

الفصل الثامن والعشرون

﴿ مشروع الفرار الثاني ﴾

والايدي السرية

ظهر من الفصل المتقدم ان المشروع الذي اعده الملك للفرار من باريز قد دخل في دور العمل بعد اذ كان في موضع البحث والنظر . بقي المشروع الثاني الذي هو مشروع الملكة وهذا اوان البحث فيه

في مساء ذلك اليوم الذي قابل فيه الملك لافاييت و بوليه حدث حادث مهم في منزل حقير قذر في الطبقة الاخيرة من دار قائمة في حي الجويفري في باريز . و بيانه ان رجلاً كان جالساً في ذلك المنزل يكتب وراء مائدة وامامه امراة في الخامسة والثلاثين من العمر تفكر في امور الدنيا وغلام صغير ياكل قطعة من الخبز . و بعد هنيهة رمى الولد الخبز من يده وقال لامه . اماه لا اريد خبزاً وانما اريد قضيب سكر . فالتفتت الام بغضب الى الرجل الذي كان جالساً الى المائدة يكتب وقالت له . اما سمعت طلب ابنك فانه يريد قضيب سكر

فمد الرجل يده الى جيبه كانه يروم ان يتناول منها شيئاً ثم انه اعاد يده عن جيبه قبل ان تصل اليها لعلمه ان جيبه فارغة . وبقي مكبًا على الكتابة

فصاحت به المراة بغضب اشد ما لك لا تسمع . فالتفت الرجل الى الغلام وقال له انتظر الى الغد فاعطيك ما طلبت . فاستشاط الغلام غيظاً واخذ يبكي و يصيح قائلاً بل اريد قضيب سكر اليوم اليوم

فانتهره الاب وقال له اصمت والا قمت وضربتك . فنهضت المراة كاللبوة وقالت جرب واضربه اذا استطعت ايها الرجل السكير لاريك كيف يكون الضرب

فقال الرجل ولكن ما العمل يا مدام اوليفا فانني لا املك الآن فلساً واحداً فلينتظر الى الغد فانني قد قلت لك انني ساصبح غد او بعد غداً صاحب ملايين . فازداد الولد

بكاء وطلباً لقضيب السكر فمدت امه يدها الى جيبها واخرجت منها قطعة صفراء من النقود وهي تتمتم وتدمدم ودفعتها اليه فاخذها الولد وهرع ليبتاع بها قضيب السكر

ولما خرج الولد التفتت المراة الى الرجل وقالت له ما اقل عقلك واكثر وهمك هل تعتقد حقيقة انك ستربح غداً ملايين . فقال الرجل اذا كنت لا تصدقين ذلك فغداً ترين . قالت وما هذا العمل الذي سيرفعك في يوم واحد من الفقر الى الغنى فقال غداً ترين فتنفست المراة الصعداء وقالت آه لو كان ريشيلو لم يمت بعد . فقال ماذا تقولين قالت ولو كان الكردينال روهان لم يخسر جميع ماله . قال ما هذا الكلام . قالت ولو كانت مدام دي لاموت لم تفرّ الى انكلترا . قال ماذا تقولين . قالت اقول انه لو كان هؤلاء الذين ذكرتهم لا يزالون كما كانوا لما احتجت ان اقاسم واحداً تعيساً مثلك شظف العيش بل كنت قادرة على كسب المال بقدر ما اشاء

وكانت هذه المراة هي المدموازل ديسينيي التي كانت تدعى مدام اوليفا وهي الفتاة التي كانت تشبه الملكة والتي قابلت الكردينال دي روهان في الحديقة وهو يظن انها الملكة . راجع ما ورد عنها في «عقد الملكة» في هامش الرواية في هذا الجزء

اما الرجل فهو زوجها المسيو دي بوزير الذي كان غنياً و بذر ماله

فلما سمعها تتمنى ذلك التمني ضاق صدره فصاح بها . ولكن قلت لك انتظري الى الغد فاجيئك بملايين

فضحكت اوليفا وقالت ارني معك عشر قطع من الذهب اولاً لاصدق بوجود الملايين فقال بوزير ولكنني اقول لك ان العناية ستعطينا . فازداد ضحك اوليفا وقالت انت تتكل على العناية فابقَ متكلاً عليها . قال وهل تنكرين العناية ايضاً . هل انت جاحدة

فرفعت اوليفا كتفيها دلالة على عدم اهتمامها بهذا السؤال

فقال بوزير اذاً انت من راي المسيو فولتير الذي ينكر العناية . فقالت اوليفا حقاً انك ابله يا بوزير

فهز بوزير راسه وقال اما انا فانني لا انكر العناية ابداً . بل اعتقد انها اذا ارادت سعادة انسان اعطته من غير حساب بواسطةٍ ومن غير واسطة . وهكذا اعتقد ان ابني الذي نزل الان ليبتاع قضيب سكر قد يعود الينا وفي يده كيس طافح بالذهب اذا كان الله يريد ذلك

وما اتى بوزير على كلامه حتى دُفع الباب وظهر الغلام صارخاً . اماه اماه معي ذهب

فاسرعت المرأة والرجل فابصرا في يمينه قطعة ذهب وفي يساره قضيب سكر فسالته امه من اين جئت بالذهب فقال رآني رجل عند بائع السكر واعطاني اياه

ولم يتم الولد عبارته حتى ظهر في الباب رجل حسن اللباس مهيب المنظر فسلم ببشاشة قائلاً · مساء الخير يا مدموازل نيكول · مساء الخير يا موسيو دي بوزير

فصاح الولد هذا هو الرجل الذي اعطاني الذهب

اما الرجل وزوجته فانهما صاحا من فم واحد · الكونت كاليوسترو · ما جاء به

وكان هذا الرجل هو كاليوسترو نفسه · واما سبب قدومه الى هذا المكان فهو سر من الاسرار التي سيرد الكلام عنها والتي كان لها تاثير عظيم على مشروع الملك والملكة

تم الجزء الاول من " وثبة الاسد "